



لِلْمَوْلَى الْقَبِيرِ
مُسْتَعِجِ بْنِ عَقِيلٍ

وقائع السفارة

الجزء الخامس

بين المسجد ودار طوطة - الحرب الاخيرة

تأليف

الشيخ علي السيستاني

الطبعة الثالثة



المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام

المجموعة الكاملة

السيد علي جمال أشرف الحسيني

أشرف الحسيني ، سيد علي

العنوان : المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام ، وقائع السفارة - المجموعة الكاملة ج ٥

السيد علي السيد جمال أشرف الحسيني

مشهد : إعتقادهما ، قم : مكتبة الإمام الحسين عليه السلام التخصصية

٥٩٩ ص ٢ : الطبعة الأولى . ١٤٣٦ ق = ١٣٩٤ ش = ٢٠١٥ م ٨ أجزاء . المجلد الخامس .

طبعت المجموعة كإجزاء متفرقة من سنة ١٤٣٠ إلى سنة ١٤٣٥ هـ .

ISBN : ٩٧٨-٧٧١٢-٣٦-٨ ج ١ : ISBN : ٩٧٨-٧٧١٢-٣٩-٠ دورة ٩٧٨ : ISBN :

ج ١ . مسلم بن عقيل عليه السلام ثائر أم سفير - قصة التطير . ج ٢ . وقائع دخول الكوفة .

ج ٣ . قصة معقل - قصة محاولة اغتيال ابن زياد . ج ٤ . معركة القصر .

ج ٥ . بين المسجد الأعظم ودار طوعة - الحرب الأخيرة . ج ٦ . وقائع الشهادة .

ج ٧ . ناصرة سفير الحسين عليه السلام - الخاتمة (مختصر في وقائع السفارة) .

ج ٨ . أولاد المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام

الفهرسة طبق نظام فيبا . المصادر بالهامش .

١ . مسلم بن عقيل عليه السلام ، ٦٠ هـ ج ٢ . واقعة كربلاء ٦١ هـ

٣ . الحسين بن علي عليه السلام ، الإمام الثالث ، ٤ - ٦١ هـ - الأصحاب

الإيداع في المكتبة الوطنية :

٣٨٨١٧٤٨ • ٢٩٧ / ٩٥٣٧ • Bp ٤٢ / ٤ / م ٥٥ ح ٥٥ ، ١٣٩٤

الطبعة : الأولى ، ذوالحجة ١٤٣٦ هـ

المطبعة : ذاكر

الكمية : ٥٠٠ نسخة

مركز التوزيع :

قم : شارع چهارمردان ، فرع ٦ رقم ١٥٣ +٩٨ ٩٣٦٩٨٩٤٤٧٢

مشهد : تقاطع شهداء ، شارع بهجت ، نشر إعتقاد ما (رستگار) +٩٨ ٩٣٥٢٢٢٤٦٢٩

تهران : سوق السلطاني ، رقم ٩٩ ، دار الكتب الإسلامية +٩٨ ٢١٥٥٦٢٧٤٤٩

البريد الإلكتروني للمؤلف : saliashraf@hotmail.com



مكتبة الإمام الحسين عليه السلام التخصصية
للنشر والتوزيع

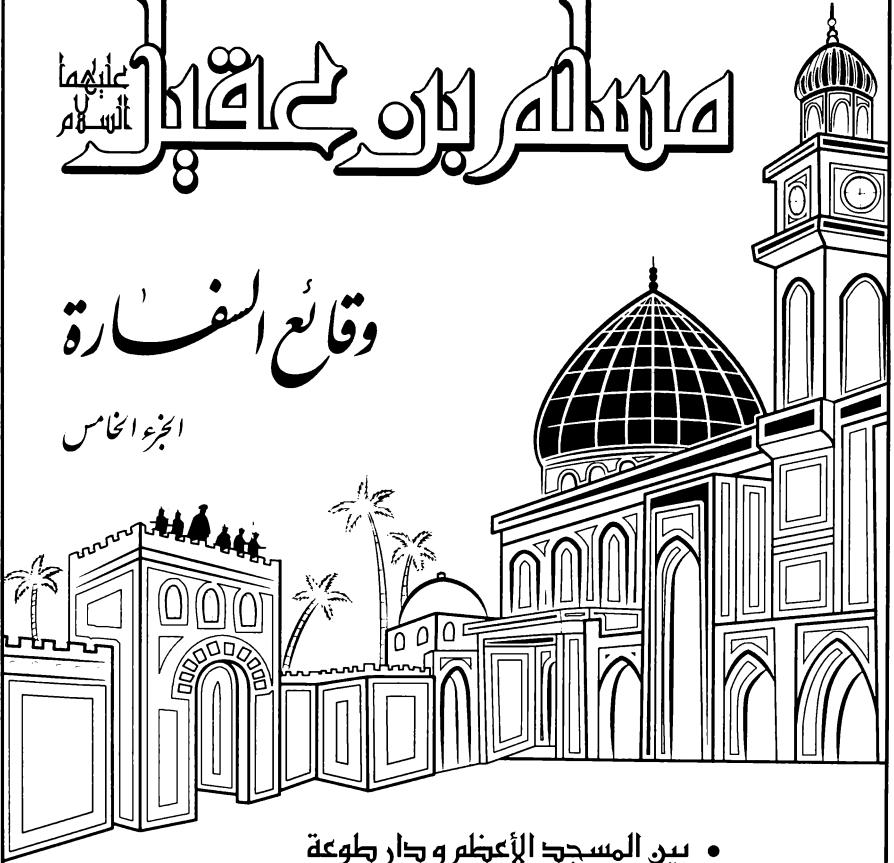
ketabashura@hotmail.com



مسلمین کے اقبال

وقائع السفارة

الجزء الخامس



- بين المسجد الأعظم و دار طوعة
- الحرب الأخيرة

السيد علي السید جمال أشرف الحسيني

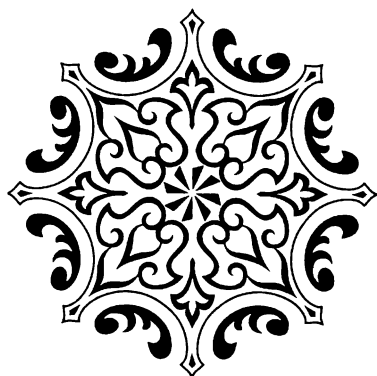
• الفهرس الإجمالي

بين المسجد الأعظم ودار طوعة

١١	خبر الساعة الأخيرة
٥٩	إستكشاف المواقف
١٠٧	مشاهد لتصوير موقف المولى مسلم بن عقيل عليه السلام
١٥٥	طوعة واللقاء
٢١٧	ولدها
٢٣٣	موقفها
٢٣٥	نهايتها

الحرب الأخيرة

٢٩٩	القسم الأول: مصادر لم تذكر القتال
٣٠٥	القسم الثاني: مصادر ذكرت القتال
٣١٩	عدد العسكر
٣٢٩	أين وقع القتال؟
٣٣٧	موقف المولى عليه السلام حينما علم بوصول الخيل والرجال
٣٤٧	موقف طوعة
٣٥٥	قوة المولى عليه السلام وشجاعته
٣٧٧	الحرب بالحجارة والنار والنبال
٣٨٣	جراحاته عليه السلام
٣٨٥	الأسر
٤٢١	سلبه عليه السلام
٤٢٩	رسالة المولى للحسين عليه السلام
٤٤٥	رجزه عليه السلام
٥٠٣	عطشه عليه السلام



بين المسجد الأعظم

ودار طوعة

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين
محمد وآله الطاهرين واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين من الأولين
والآخرين:

أما بعد:

تواجهنا ثغرة مهمّة، ومنطقة غائمة، ومسافة زمنيّة معتم عليها
بالكامل في الأيام الأخيرة من حياة الشهيد الغريب مسلم بن
عقيل عليه السلام، تمتد من نزول الظلام عشية حصار القصر! إلى وقوفه على
باب طوعة رضوان الله عليها.

ويرى السائر على صفحات التاريخ اختفاءً مفاجئاً ومحيراً للجماعة

من المقربين والأعمدة الذين كان يعتمد عليهم المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام، لا يمكن أن يقرّر في حقّها أنّها خذلت سفير خامس أصحاب الكساء مسلماً بتاتاً، من أمثال مسلم بن عوسجة وأبي ثمامة الصائديّ وحبيب بن مظاهر وغيرهم ممّن التحق فيما بعد بركب سيّد الشهداء عليه السلام، وفاز بالشهادة بين يديه.

* * * * *

فقد جرى ما جرى بعد حصار القصر! وخروج الناس إلى حوالي القصر، وهروب الجرو الأمويّ ابن زياد واعتصامه بالقصر، ففرّق الناس تحت جناح الليل، وخلف ستار الظلام الهابط عند الغروب، وآثار الدعاية والحرب النفسيّة والوعد والوعيد، والاستسلام للخوف والدعة وشلل الإرادة وغير ذلك ممّا ذكرناه عند دراستنا لمعركة القصر! وعادة العساكر - يومذاك - أن تترك الحرب إذا جنّها الليل البهيم.

ولكن رجال سيّد الشهداء عليه السلام لا يداخلهم خوف، ولا يعترهم شكّ ولا ريب، ولا يخرجون من دائرة القدس، وهم يستأنسون بالموت دون إمامهم وسفيره استئناس الطفل بصدراّمه، فأين صار في تلك الساعات الرهيبة هؤلاء الأطياب الأطهار الذين شروا أنفسهم لله، وخرجوا إلى سيّد الشهداء عليه السلام مخاطرين بأنفسهم وأهلهم.

لم يحدّثنا التاريخ بصراحة عمّا جرى بعد معركة القصر! ويترك لنا

الثغرة التاريخية التي تغطي المسافة الزمنية بين حصار القصر! وتفرّق أصحاب المولى الغريب مسلم عليه السلام المقربين.

والصورة التي ينقلها لنا التاريخ قابلة للتأمل والمراجعة، وتحتاج إلى وقفة طويلة نستكشف خلالها - ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً - أربعة مواقف:

الموقف الأول: موقف أنصار المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام المقربين والشيعية المخلصين.

الموقف الثاني: موقف الغوغاء والأكثرية التي خانت العهد ونكثت البيعة وخذلت المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام.

الموقف الثالث: موقف ابن زياد وأعوانه.

الموقف الرابع: موقف المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام وما جرى له تلك العشيّة.

خبر الساعة الأخيرة

لقد امتلأت الكوفة خلال ساعات بالخييل والرجال وارتفعت فيها الزعقات وأصوات الأبواق وصهيل الخيل وقعقة السلاح، وازدحمت واكتظت بالأحداث والمفاجآت، واختلطت فيها المواقف والاتجاهات، وتداخلت فيها العساكر واشتبكت فيها الأهالي والمدنيين والجيوش والعساكر من نظاميين وغير نظاميين، وتعالَت فيها أصوات الخطباء محدّرين ومنذرين يتوعّدون ساعة ويهدّدون، ويمنّون أخرى ويخدّلون. وعلى حين غرة «أمسى ابن عقيل» وصلى المغرب وما معه إلا ثلاثون نفساً في المسجد.

فلَمَّا رأى أنّه قد أمسى وما معه إلا أولئك النفر، خرج من المسجد متوجّهاً نحو أبواب كندة، فما بلغ الأبواب ومعه منهم عشرة، ثمّ خرج من

الباب فإذا ليس معه إنسان، فالتفت، فإذا هو لا يحسّ أحداً يدلّه على الطريق، ولا يدلّه على منزله! ولا يواسيه بنفسه إن عرض له عدوّ. فضى على وجهه متلدّداً في أزقة الكوفة لا يدري أين يذهب، حتّى خرج إلى دور بني جبلة من كنده، فمشى حتّى انتهى إلى باب امرأة يقال لها: «طوعة»...

وهكذا ينتهي العسكر الذي ملأ الكوفة خيلاً ورجالاً، وهزّ الأجواء ضجيجاً وعجيجاً، وأربع ابن الأمة الفاجرة ابن زياد حتّى اعتصم بالقصر، وامتلكته الوحشة، وداخلته الهيبة والرهبّة، تفرّقت الجموع، وتشتّت العساكر، وانخرمت كما تنسلّ الحرز من السلك إذا انقطع...

فكيف يبقى المولى الغريب مسلم عليه السلام وحيداً لا يحسّ أحداً يدلّه على الطريق، ولا يدلّه على منزله! ولا يواسيه بنفسه إن عرض له عدوّ؟ وهل كان هؤلاء النفر الذين بقوا معه من الصادقين الأوفياء من أمثال مسلم بن عوسجة، فكانوا ثلاثين، ثم صاروا عشرة، ثم ذابوا على حين غرة، وكأنّ الأرض ابتلعهم، أو السماء رفعتهم؟!

وكيف لا يعرف البطل الطالبيّ مسلم بن عقيل عليه السلام طريق منزله، وهو منذ أيام طويلة في الكوفة، وقد سكنها من قبل مع عمّه أمير المؤمنين عليه السلام؟

وأسئلة أخرى كثيرة تدور حول هذه الساعات التي اكتنفها

الغموض، وشوَّشها المؤرِّخ بقلمه وحديث رواته، وصوَّرها لنا كما يشاء
بعد أن صفت له الكوفة، ولم يعد فيها من ينقل مجريات الأحداث إلَّا
من اتَّخذوا لعب القرد الأمويّ دواة وذيله مداداً.

ثغرات الخبر

يلاحظ المراجع للتاريخ بأدنى تأمل ثمة ثغرات في خبر بقاء المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام وحيداً تدعوه للريب في الخبر والاطمئنان بوجود التعمية والتلاعب في سير الأحداث بما يحقق غرض المؤرخ أو من استأجره!

قال الشيخ أسد حيدر رحمته الله في كتابه مع الحسين عليه السلام في نهضته:

«ظهر التصدّع في صفوف جيش مسلم، وبان الانقسام بعد التخاذل الذي أحدثته الدعاية والحرب النفسية، ولم يبق معه إلا خمسمائة رجل - كما قدّمنا - وهنا تقع أسئلة واستفسار عن مجرى الحوادث في هذا المجال، من محاصرته للقصر إلى أن حوصره في محلة كنده، عندما وافاه جيش الكوفة بقيادة

محمّد بن الأشعث.

فهل يصحّ أنّ مسلماً عندما تفرّق أصحابه وأتباعه وبقي في خمسمائة من أصحابه، صلّى المغرب وليس معه إلا ثلاثين، فلمّا خرج من المسجد ليس معه إلا عشرة، فلمّا خرج من كندة وليس معه رجل يدلّه على الطريق؟! أجل! أين المخلصون من أنصاره» (١)؟! ...

ثمّ يسترسل ويقول بعد قليل:

«ونعود إلى الحلقة المفقودة من تاريخ هذا الحادث العظيم، فحين نترك مسلم بن عقيل يخوض معركة قويّة، وقد ضرب الحصار على ابن زياد، وأقام الكوفة وأقعدّها، فمن حقّنا أن نتساءل: إنّ زعيم جبهة قويّة، وقائد جيش عربيّ فيه أبطال من رجال الكوفة، كيف انهارت تلك الجبهة بهذه السرعة، ويهزم ذلك الجيش ويبقى مسلم بمفرده، وليس معه أحد يدلّه على الطريق؟!«

فلنطو صفحة هذا العرض ونلتقي ببطلنا المجاهد في حرب الشوارع» (٢)!!!

(١) مع الحسين عليه السلام في نهضته: ١١١.

(٢) مع الحسين عليه السلام في نهضته لأسد حيدر: ١١٣.

الثغرة الأولى: وحدته عائلاً في الازدحام

كيف يبقى وحده لا يجد من يدلّه على الطريق في خضمّ تلك الساحة الملتهبة، والعساكر المتشابكة، والمنطقة المزدحمة بالخيّل والرجال والنساء والعوائل - وفق روايات «أنّ المرأة كانت تأتي ابنها وتأخذ بيده» (١) - والكبار والصغار والمدنّيين والعسكريّين ...

فلأندري كيف يمكن للمؤرّخ أن يصوّر لنا وحدته على باب مسجد الكوفة، وعلى مقربة من قصر الخبال الذي تدور حوله رحي الأحداث، وتحيطه الخيل والرجال!؟

والحال أنّ بعض العبارات تعرضه وكأنّه عائلاً يمشي في الكوفة وقد دخلها على حين غفلة من أهلها، وكأنّ ليس في الكوفة ديار أبداً، كقول الطبري مثلاً:

«فلَمّا رأى مسلم أنّه بقي وحده يتردّد في الطرق أتى باباً...» (٢).

وقول الدينوري:

(١) انظر: تاريخ الطبري: ٥ / ٣٦٨، مقاتل الطالبين لأبي الفرج: ٦٦.

(٢) انظر: تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٠، الأمالي للشجري: ١ / ١٩١، تهذيب الكمال

للمزي: ٦ / ٤٢٦، تهذيب التهذيب لابن حجر: ٢ / ٣٥١، سير أعلام النبلاء

للذهبي: ٣ / ٢٠١ ...

«فأخذ نحو كندة فلماً مضى قليلاً التفت، فلم يرمهم أحداً، ولم يصب إنساناً يدلّه على الطريق» (١)..
وقول من وصفه يتلدد في الطرق يفيد بوضوح خلّو الطرقات من المارّة ...

الثغرة الثانية: تشخيص البطل الهاشمي مسلم عليه السلام

كان سليل إبراهيم الخليل البطل الطالبي مسلم بن عقيل عليه السلام مميّزاً في كثير من صفاته وخصاله، فهو من حيث الصورة والهيئة ذو وجه صبيح مليح تشعّ منه الأنوار الحمديّة، والتقاسيم الهاشميّة، والمعالم الطالبيّة، والسحنة الحجازيّة.

فقد روى البخاري في التاريخ الكبير عن أبي هريرة، قال:

«ما رأيت من ولد عبد المطلب أشبه (٢) بالنبي صلّى الله عليه وآله من مسلم ابن عقيل» (٣).

(١) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣٩.

(٢) يحمل كلامه على النسبيّة وقصد التوصيف للمولى الغريب، وإلا فالمشبهون بالنبي صلّى الله عليه وآله أكثر من ذلك، كالإمامين الحسنين، وأمهم سيّدة نساء العالمين فاطمة بنت النبي صلّى الله عليه وآله، وجعفر بن أبي طالب وعلي بن الحسين الأكبر..

(٣) التاريخ الكبير للبخاري: ٧ / ٢٢٦.

فكيف يغيب من كان أشبه بني عبد المطلب برسول الله ﷺ بين الناس، وهو المطلوب الأول لابن الأمة الفاجرة ابن زياد وجنده، بل ومن انقلب عليه من الخائنين؟

وكيف يغيب عنهم وهو لا زال فارساً في زيّ المحارب، وقد لبس لامته وتدرّج بدرعه، واعتدّ بعدّته، وأُخِن بالجراح كما في رواية ابن أعثم.

قال الشيخ أسد حيدر رحمته الله في كتابه مع الحسين عليه السلام في نهضته تحت عنوان «الحلقة المفقودة» بعد كلام له:

«أجل أين المخلصون من أنصاره؟

ثمّ كيف يستطيع مسلم أن يخرج بمفرده وجواسيس ابن زياد تلاحقه، فكيف غفلوا عنه ويخرج سائراً في أزقة الكوفة، ولا يعرفه أحد» (١)؟

الثغرة الثالثة: لِمَ لم يقتلوه وهم يطلبونه؟

بناءً على ما ذكر في الثغرة الأولى والثانية يكون المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام مميّزاً بين تلك الجموع بالشكل والهيئة واللهجة والسحنة وصباحة الوجه والجراح التي أثخنه.

(١) مع الحسين عليه السلام في نهضته: ١١١.

وتكون الساحة التي أحاطت بالمسجد وقصر الخبال - ميدان الحدث - مزدحمة غاية الازدحام، وعساكر الجرو المسعور ابن زياد السابقة والمسوخ المتخاذلة التي تخلّفت عن البيعة والتحقّت بعسكر السقيفة، بل حتّى المتفرّجين والمتخاذلين والناس كلّهم أجمعين في تلك اللحظة يطلبون المولى الغريب، فكيف غفلوا عنه؟ ولم يتكاثروا عليه ويقاتلوه أو يأسروه إن استطاعوا إلى ذلك سبيلاً؟

وهذا ابن الأمة الفاجرة يأخذ على الظنّة والتهمة، ومشهد المولى الغريب هنا يدعو إلى الريبة والشكّ حتّى لو لم يعرفوه، فهو خارج عسكر السقيفة، مثقل بالجراح بيّزته الحربيّة!

الثغرة الرابعة: فرية التلدد

ورد في المصادر التاريخيّة التعبير عن البطل الهاشمي أنّه خرج من المسجد متلّداً في شوارع الكوفة وأزقتها، ويمكن أن يناقش هذا الزعم من خلال عدّة ردود:

الردّ الأوّل: معنى التلدد

في لسان العرب لابن منظور:

«تَلَدَدَ: تَلَقَّتْ يَمِيناً وَشِمَالاً وَتَحَيَّرَ مُتَبَلِّداً».

وفيه أيضاً:

«التلذّد: التلقت يميناً وشمالاً تحيراً».

في كتاب العين:

«التلذّد في التلقت: أن يعطف بعنقه مرّة كذا ومرّة كذا».

والتلذّد فعل يحصل نتيجة لباعث ما، وتصرف يبرز على الأطراف والحواس، كغاية لما يعتمل في الكوامن، ويجيش في الوجدان والضمير، وتعبير عن الباطن الذي يكتشف بمثل هذه الأفعال.

ومن هنا ينبغي أن نعرف البواعث على التلذّد لنعرف هل يصحّ نسبته إلى كبير آل عقيل؟

الباعث الأول: الخوف والتماس موضع للاختفاء:

في هذا المعنى يرسم المؤرّخ للبطل الهاشمي الطالبي صورة الفزع الخائف الذي يبحث عن مفرومهرب يؤمنه من الموت ومواجهة الرجال، وينجّيه من أهوال القتال، كما صرح بذلك ابن سعد وغيره حينما عبّروا عنه أنّه هرب - نستغفر الله ممّا يقول الجاهلون المعتدون - .
صورة يتنكر لها المؤرّخ الجبان ولا يقبلها لنفسه، ويأبى أن يُعرض فيها، وتأبأها كلّ نفس أبيّة.

أجل! حتّى الرعيّد الخائف يتجلّد في مثل هذا الموقف، فكيف بالبطل الحسيني الذي أذاق جرذان السقيفة الموت غصصاً مصبّرة، ولا

زالت الكوفة إلى اليوم تختزن له في أعماقها الإكبار والإجلال وتهابه ولا تنسى بطولاته.

يكفي لردّ هذه الأقوال الخائبة والافتراءات التافهة مجرّد نسبتها إلى بطل يسمّى: «مسلم بن عقيل عليه السلام».

الباعث الثاني: الحيرة والتهيه والتردد

قد تكون الحيرة والتهيه والتردد بأحد معنيين:

المعنى الأول:

ربما يحار الإنسان ويتهيه عن مكان يقصده، وهو يعرفه ولو إجمالاً، وهو في وضع عاديّ وحركة مسترسلة.

ومثل هذا لا يتلدد إلا أن يكون ملاحقاً خائفاً وجلاً يتمنى أن يصل إلى جحره ليختفي فيه.

وهذا لا يصدق على مولانا المعظم مسلم عليه السلام، وذلك لأنه إن كان قاصداً مكاناً بعينه وهو في حالة الاسترسال والوضع الآمن العاديّ، فسيكون حاله - على أقلّ التقادير - حال أيّ فرد آخر ذكرناه في بداية الفرض.

ولا يصدق عليه أيضاً باللحاظ الثاني، ونستغفر الله ونتوب إليه من ذكر هذا اللحاظ، ولكن ضرورة البحث اقتضت ذلك، وإلا فمن يخال في

مولانا مسلم عليه السلام لحاظ الخوف والبحث...؟؟؟

ولو كان خائفاً لما صلى الفريضة في المسجد الأعظم وهو بين
الأعداء! كما ذكرنا في دلالات صلاته في المسجد.

المعنى الثاني:

وربما يحار حيرة من لا يدري ما يعمل ولا يفقه ما يفعل، ويتبه لأنه
لا يستطيع أن يعزم ويصمم ويقرّر ويختار، لأنه لا يعرف النهاية، ولا
يهتدي إلى غاية، وهو ما يبدو من ظاهر كلام المؤرخ، ويلوح من إشارات
التي يريد إيصالها من خلال عبارته للمتلقي.

وهذا الفرض أيضاً لا يمكن تصوّره في مولانا مسلم بن عقيل عليه السلام
وذلك للموانع التالية:

المانع الأول:

كيف يثور! الإنسان مهما كان، وهو لا يعرف المدينة التي يريد
الخروج فيها، ولا يعرف طرقها وأزقتها؟ ولا يلقي نظرة على الجغرافيا التي
يريد أن يتحرّك عليها ولا يدّخر لنفسه دليلاً إن كان لا يعرف الطرقات
ولا يهتدي إلى سبيل في المنطقة التي يريد اقتحامها.

المانع الثاني:

كيف يثور! الإنسان، وهو في بلد غريب دون أن يأمن طرق تحرّكه

وتنقلاته، ويمسح ميدانياً الطرق والميادين التي يريد أن يتحرك فيها؟ والفرق بين هذا المانع والمانع السابق في الإعداد النظري والتطبيقي.

المانع الثالث:

كيف يتحرك أي متحرك ضدّ نظام الحكم، ويخرج الخارج ولا يرتب لنفسه طريق الانسحاب، ومثل مولانا الخبير العالم مسلم كان يعلم وفق الوثائق التاريخية أنّ بيت هاني محاصر، وليس فيه سوى نساء أرامل وفتيات ثواكل، وصراخ وعويل، وقد خرج منه وهو على هذه الحال.

روى الطبري عن عبد الله بن خازم في خبر طويل قال:

«... فلما ضرب - يعني هاني - وحبس ركبت فرسي، وكنت أوّل أهل الدار دخل على مسلم بن عقيل بالخبير، وإذا نسوة لمراد مجتمعات ينادين: يا عثرتاه! يا ثكلاه! فدخلت على مسلم بن عقيل بالخبير» (١) ..

فكيف يخرج للقتال ولا يحدّد لنفسه مكاناً آمناً يرجع إليه؟! وهو في هذا الجوّ الملتهب؟!

المانع الرابع:

الصورة المعروضة في التاريخ تكشف عن حالة من الهلع والفرع

والترقب والتوجس، وهي صورة لا تنسجم مع الوقار والسكينة والطمأنينة والثبات والشجاعة والبصيرة وغيرها من الخصال التي نجزم دون أي تردد بأنها من جبلة مولانا مسلم بن عقيل عليه السلام، وهي طبيعة وجبلة فطر عليها المولى الغريب لا تتخلف ولا تختلف عنده في الحرب والسلم والسخط والرضا.

ومن كان مطمئناً واثقاً ثابتاً راسخاً قويّ الجنان رابط الجأش لا يتلدد.

الرّد الثاني: تجاوز حدود الأدب

استخدام هذه المصطلحات في حق مثل مولانا مسلم بن عقيل عليه السلام تجاوز لحدود الأدب، وتعدي على حریم المقدّسات، فليس التردد من شيم العالم العارف المتيقّن الواثق المقدم، وإنما يحار من لا يتبصّر ولا يهتدي ولا يعرف موطن قدمه، أمّا الثابت العازم الذي خرج من مكّة وهو يعلم عاقبته، وقد رسم الموعد مع سيّد الشهداء عليه السلام، فلا يكون متردداً ولا متلدداً.

أجل! ربما يقال - بناءً على الروايات التاريخية التي يمكن الإفادة منه - أنه كان يقاتل في الليل حتّى وصوله إلى بيت طوعة - رضوان الله عليها - فيكون معنى التلدد أنه كان كثير التلفت في الحرب، وهي خصلة ممدوحة في المقاتل، حيث عرف بها عمّه أمير المؤمنين عليه السلام وبطل

البشريّة أجمعين، غير أنّ هذا الفرض تحميل يصعب انسجامه مع النصوص التاريخيّة، لأنّها تصرّح بوضوح أنّه كان يتلقّت متلّداً لوحده وحيثه.

الرّد الثالث: إقامة المولى الغريب مسلم عليه السلام بالكوفة عدّة

سنوات

لقد عاش المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام في الكوفة مع عمّه أمير المؤمنين عليه السلام زهاء خمس سنين، وكان مركز الخلافة يومها وموقع الحكومة مسجد الكوفة، وبيت الإمام عليه السلام لا يبعد كثيراً عن المسجد الأعظم، وهو على أطراف قصر الخبال، وقد دارت أحداث الساعة الأخيرة في نفس الموقع ونفس المكان.

وافترض التلدد بمعنى الخوف والتوجّس وغيرها ممّا يفعله الهارب الخائف مردود مرفوض لا يتصوّره عاقل في حقّ حفيد أبي طالب وابن أخي أمير المؤمنين وابن عمّ الحسن والحسين عليه السلام.

وكذا افترض أن يكون غير عارف بالطرق والسكك ومنافذها ومداخلها ومخارجها لا يصحّ بعد أن عرفنا أنّه عاش في ذلك المكان ردحاً طويلاً من الزمن يعدّ بالسنوات.

سيّما إذا عرفنا أنّ الكوفة مهما توسّعت خلال عشرين سنة فارقها المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام، وافترضنا أنّه لم يعاودها خلال

تلك الفترة، فإنّها لم تتوسّع في المركز الذي كان موضع تحرّك المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام توسّعاً لا يكتشف معه الطريق ويبقى متلذّداً لا يعرف الطريق، ومركز الكوفة كان - ولا زال إلى يومنا هذا - واحداً يتمثّل في المسجد الجامع وقصر الخبال.

الردّ الرابع: إقامة المولى الغريب مسلم عليه السلام خلال السفارة

أضف إلى ما ذكرنا في الردّ السابق، فإنّ المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام أقام في الكوفة زهاء شهرين أو أكثر أيام سفارته، فهلاً خرج من الدار التي أقام فيها لأيّ غرض من الأغراض خلال هذه الفترة من الزمان؟!

ثمّ لماذا اختار المولى الغريب أبواب كندة للخروج دون أبواب المسجد الأخرى إذا كان لا يعرف الطريق؟ فباب الثعبان تؤدّي إلى جهة النهر - أي الجهة المخالفة للقبلة - والنهر لا يبعد كثيراً عن المسجد، وعلى ضفافه تكثّر النخيل والبساتين والحقول، وهي أوفق وأنسب لمن أراد الاختفاء؟!

الردّ الخامس: تصوير المؤرّخ

قصة التلذّد هذه تتّمة للقصص الأخرى التي نسجها المؤرّخ وفق أغراضه في تصوير التاريخ بما ينسجم مع الحركة الإعلامية الأمويّة

المأكرة في عرض مسيرة قيام سيّد الشهداء عليه السلام، والطعن على رجاله ومحاولاته الخائبة في ثلم سيوفه عليه السلام، التي امتد شرها ودخانها المضلل ورمادها القاتم إلى اليوم، وما دام الحدث الذي يرويه لنا المؤرخ يؤدي بنا - ضرورة - إلى التزام نتيجة تخالف المعرفة الوجدانية والمعرفة الناشئة من تقييم أهل البيت عليهم السلام عموماً، وتقييم سيّد الشهداء عليه السلام خصوصاً، وتعريفهم للمولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام، فإننا إن لم نردّها بكلّ جراءة وثبات، فلا أقلّ ليتوقّف فيها المحتاط لدينه والمراعي للأدب مع ساداته.

وهنا نرى المؤرخ يؤكّد ما دسّه في تاريخ المولى الغريب من الإيحاء الصريح باستعجال المولى في اتّخاذ القرار دون تأمل! وتردّده في قصّة بيعه الأرض من معاوية في قصّة شراء والدته عليها السلام (١).

ثمّ استعجال المولى عليه السلام في اتّخاذ القرار دون تأمل، وتردّده وتراجعه عن قبول السفارة واستعفاؤه في بداية الطريق وأوّل المهمّة (٢). ثمّ استعجاله في اتّخاذ القرار دون تأمل، وتردّده وتراجعه عن اغتيال ابن زياد بعد أن واجه الموقف، وتردّده في ذلك (٣).

(١) انظر للمزيد: «مسلم بن عقيل عليه السلام قصّة شراء والدته» للسيد علي أشرف.

(٢) انظر للمزيد: «مسلم بن عقيل عليه السلام قصّة التطيّر».

(٣) انظر للمزيد: «مسلم بن عقيل عليه السلام قصّة محاولة اغتيال ابن زياد».

ثم استعجاله في استقبال «معقل» دون تأمل (١) ...

وهكذا تجده هنا - كما في تلك المشاهد - فيما يرسمه المؤرخ متعجلاً غير متدبر للعواقب، متردداً في اتخاذ الموقف، لا يقوى على البت في الأمور إلا بمعونة الآخرين، نستغفر الله من هذه الأباطيل، ونعوذ به من هذا الزيف والتضليل، ونبرأ إلى الله من كل ما ينال من قدسية هذا السيف الصقيل من سيوف آل أبي طالب، وتعالى شأن المولى ﷺ الوائق العالم النافذ البصيرة من هذه الافتراءات، وحاشاه أن تحيط به «تيارات مذهلة من الهموم ويكاد قلبه ينفجر من شدة الألم وعظيم الحزن» (٢)، فقلب البطل الهاشمي مسلم ﷺ أعظم من أن تذهله الهموم، أو أن ينفجر، ولو صبت عليه مصائب الدنيا، إن قلبه بيت من بيوت الله، ومعدن من معادن الصبر والثبات والاستقامة على أمر الله مهما كلف الأمر.

وحاشاه أن يكون «قد هاله إجماع القوم على نكث بيعته وغدرهم به» (٣)، وهو لا شك قد سمع وصية عمه أمير المؤمنين ﷺ: «اسلكوا سبل الخير ولا تستوحشوا فيها لقلة أهلها واذكروا حسن صحبة الله لكم

(١) انظر للمزيد: «مسلم بن عقيل ﷺ قصة معقل».

(٢) انظر: الشهيد الخالد مسلم بن عقيل ﷺ: ١٥٦.

(٣) انظر: الشهيد الخالد مسلم بن عقيل ﷺ: ١٥٦.

فيها»^(١)، وهو العارف بمآله والخبير بالمجتمع الذي أرسل إليه.

ولم يكن المصروما احتواه غائباً عن الفقيه العالم مسلم بن عقيل عليه السلام بحيث كان يجهل - والعياذ بالله - ولا يعلم ولا يدري أين هو؟ وبين أي أناس يتحرك؟ ثم «استبان له أنه ليس في المصر رجل شريف يقوم بضيافته وحمايته أو يدلّه على الطريق، فقد كان لا يعرف مسالك البلد وطرقها!!»^(٢).

لقد كان المولى ثقة الإمام الحسين مسلم بن عقيل عليه السلام واثقاً رابط الجأش قوياً متماسكاً نافذ البصيرة صائب الفكر عارفاً عالماً خبيراً في كل مواقفه ومشاهده، ولم يكن في أي لحظة من لحظات تواجده في الكوفة ولا قبلها «حائر الفكر خائر القوى»^(٣).

الثغرة الخامسة: التدبير قبل العمل

لقد وردت الأحاديث الشريفة عن أهل بيت العصمة عليهم السلام تؤكد على التفكر والتدبير قبل الشروع في العمل:

(١) تحف العقول: ٢٢٠.

(٢) انظر: الشهيد الخالد مسلم بن عقيل عليه السلام: ١٥٦.

(٣) انظر: حياة الشهيد الخالد مسلم بن عقيل عليه السلام، للشيخ باقر شريف القرشي:

«فقد روي عن أبي جعفر الثاني عن آبائه عليهم السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: التدبير قبل العمل يؤمنك من الندم».

«وقال أمير المؤمنين في وصيته لابنه الحسين عليه السلام:

ومن تورط في الأمور بغير نظر في العواقب فقد تعرض للنواب،
التدبير قبل العمل يؤمنك الندم».

«وقال عليه السلام: التدبير قبل الفعل يؤمن العثار».

«وقال عليه السلام: أدل شيء على غزارة العقل حسن التدبير».

«وقال عليه السلام: سوء التدبير سبب التدمير».

«عن الإمام جعفر الصادق عن آبائه عليهم السلام: أَنَّ رجلاً أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أوصني!

فقال له: فهل أنت مستوصٍ إن أوصيتك؟ حتى قال ذلك ثلاثاً في كلِّها يقول الرجل: نعم يا رسول الله.

فقال له رسول الله ﷺ: فإني أوصيك إذا أنت هممت بأمر فتدبر عاقبته، فإن يك رشداً فامضه، وإن يك غياً فأنته عنه».

«وروي فيما أوصى به أمير المؤمنين عليه السلام عند وفاته: أنْهاك عن التسرع بالقول والفعل».

«قال الرضا عليه السلام: من طلب الأمر من وجهه لم يزل، فإن زل لم

تَحْذُلُهُ الْحِيلَةُ».

«وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ لَمْ يَعْرِفِ الْمَوَارِدَ أَعْيَتْهُ الْمَصَادِرُ».

«وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِذَا هَمَمْتَ بِأَمْرٍ فَتَدَبَّرْ عَاقِبَتَهُ».

«وَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ لَمْ يَعْرِفِ لَوْمَ ظَفَرِ الْيَامِ لَمْ

يَحْتَرِسَ مِنْ سَطَوَاتِ الدَّهْرِ، وَلَمْ يَتَحَفَّظْ مِنْ فَلَائِتِ الزَّلِيلِ، وَلَمْ

يَتَعَاظُمَهُ ذَنْبٌ وَإِنْ عَظُمَ» (١).

«ومن جنود العقل: التفكر في عواقب الأمور» (٢).

«وفي عهد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لمالك الأشر: وأبلغ في

عواقب الأمور نظراً» (٣).

إلى غير ذلك من الأحاديث الكثيرة المتظافرة بهذا المعنى، ونحن لا

نشكّ بتاتاً أنّ المولى العالم مسلم بن عقيل عليه السلام قد أتقن ذلك بنفسه

المقدّسة، وبما أخذه عن عمّه أمير المؤمنين وباقي المعصومين عليه السلام،

وليس ثمة أحد أضبط وأتقن وأعرف بهذه الأحاديث من أمثال صهر

أمير المؤمنين وأخ سيّد الشهداء الحسين عليه السلام.

(١) بحار الأنوار للمجلسي: ٦٨ / ٣٣٩.

(٢) بحار الأنوار للمجلسي: ١ / ١٢٦.

(٣) نهج البلاغة: ٤٣٣.

وقد نادى سفير الحسين عليه السلام وثقته بشعاره: «يا منصور أمت»، كما ورد في الطبري، وغباً عسكره، ودفع الرايات إلى رجاله الأشداء من أمثال مسلم بن عوسجة وأبي ثمامة الصائدي، وتقدم إلى القصر - بغض النظر عن الدوافع -، وهو يعرف الغوغاء الذين بايعوه، ويعرف الأولياء الذين ناصروه، وليس لأحد أن يدعي معرفة الخليط المتهزئ الذي يتشكل منه نسيج المجتمع الكوفي يومذاك كمعرفة المولى مسلم بن عقيل عليه السلام، فهل يتصور أن يكون قد تحرك هذا القائد الفذ العالم الخير ولم يحسب لعواقب الأمور، على احتمال الظفر أو هزيمة العسكر؟!

وكيف يمشي في طريق لا يعرف سبيل العودة فيه؟

والأعجب كيف يصورون المولى الغريب المفترى عليه مسلم بن عقيل عليه السلام، وكأنه لا يعرف حتى طريق العودة إلى الدار التي خرج منها؟!؟!!!

وهل يخرج أي فرد عاد ليقارع الجبار المتغطرس، والعنيد المتجبر، وهو لا يفكر في الطريق الذي يسلكه، فضلاً عن المخرج الذي ينقذه؟!

بل هل يخرج أي فرد ليتسوق أو يتنزه أو لأي غرض كان، ثم لا يتقن طريق عودته إلى منزله؟!

الثغرة السادسة: التعبيرات الموهنة والمواقف التي لا تليق بالبطل الهاشمي المطهر

في تعابير المؤرخين من التوهين لشخص المولى الغريب وخذش
لقداسته التي لا تنثلّم، حيث يصوّرون موقف المولى المفتري عليه
مسلم عليه السلام تصويراً لا ينسجم مع شخصه الكريم الشجاع والخبير العالم
والعارف الحازم، ويرمونه بأقذع الافتراءات التي يقف لها الشعور وتقشعر
منه الجلود!

كقول ابن سعد:

«فهرب!! مسلم حتّى دخل على امرأة من كندة يقال لها:
"طوعة" فاستجار بها» (١) ..

أنعم النظر في قوله: «فهرب» و«استجار»، هرب من الرجال
واستجار بامرأة!!

وقول الدينوري في الأخبار الطوال:

«فمضى هائماً على وجهه في ظلمة الليل» ... (٢)

(١) ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من طبقات ابن سعد: ٦٦، تاريخ الإسلام للذهبي:

٢ / ٢٦٩.

(٢) الأخبار الطوال: ٢٣٩.

«والهيام: كالجنون، والهيام: نحو الدَّوَارِ جنونٌ يأخذ البعير حتّى يَهْلِكَ، والهائمُ: المتحيرُ» (١).

وقول الطبري:

«فمضى على وجهه يتلدد في أزقة الكوفة لا يدري أين يذهب» (٢) ...

وقول ابن شهر آشوب رحمه الله في المناقب:

«فبقى في أزقة الكوفة متحيراً» (٣) ...

وقال الطريحي في المنتخب:

«لمّا وصل خبرهاني إلى مسلم خرج من الدار هارباً! حتّى انتهى إلى الحيرة، فأضافته امرأة هناك» (٤) ..

أمّا ما في مقتل أبي مخنف المشهور فلا يدري أتضحك له الثكلى، أم تشقّ له الجيوب، وتُسقط من سماعه الحبلى، استمع ما يقول:

«فلما سمع مسلم بن عقيل قتل هاني خرج من داره التي كان فيها يخترق الشوارع حتّى خرج من الكوفة وأتى الحيرة وجعل

(١) انظر: لسان العرب مادة «هيم».

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧١، مقاتل الطالبين: ٦٧.

(٣) المناقب لابن شهر آشوب تحقيق السيّد علي أشرف: ١٠ / ٣١٨.

(٤) المنتخب للطريحي: ٢ / ٤٢٥.

يدور فيها حتّى بلغ إلى دار عالية البنيان، وفيها دهليز كبير، وامرأة جالسة على باب الدهليز، فوقف مسلم ينظر إليها، فقالت له: ما وقوفك يا هذا في دار فيها حرم غيرك؟

فقال: والله ما وقع في قلبي شيء ممّا تقولين!!! ولكن أنا رجل مظلوم، وأريد من يخبيني!! بقيّة يومي هذا، فإذا جنّ الليل خرجت في ظلمته» (١).

هرب فور سماعه خبر مقتل هاني! ثمّ كان وقوفه مريباً بشكل خاصّ لا نجروء على إعادة كتابته، ثمّ يبرء المولى الطهر الطاهر ساحته من ذلك بالقسم فيقول: «والله ما وقع في قلبي شيء ممّا تقولين!!!»، ثمّ يتوسّل إليها أن تحبّه! وتخفيه بمقدار ما تبقى من بياض ذلك اليوم!! نحسب أنّ هذا كلّ حينما يكون تعبيراً عن البطل الطالب والليث العقيلي الهاشمي أشبه ما يكون بالهراء، فلا يستحقّ أن يناقش أو يكشف عن عواره الغطاء.

الثغرة السابعة: كيف تفرّق الجمع وولّى الدبر

أكّدت المصادر أنّ القوم قد تجمّعوا في المسجد وحول قصر الخبال، وأنّ الأوساخ المتدلّية من ذنب جرو القرد الأمويّ (ابن زياد) من أمثال

(١) مقتل أبي مخنف المشهور: ٣١.

«كثير» وغيره قد تكلموا مع الناس حتى كادت الشمس أن تجب، وأن تجمع الناس إجابة لنداء المولى الغريب عليه السلام قد استمر حتى المساء كما في رواية الطبري وغيره.

فالدلائل الواضحة تشير إلى أن رحبة المسجد وفناء قصر الخبال كان مزدحماً بالناس إلى وقت الغروب، ووفق بعض المصادر بعده أيضاً، فكيف أضحى المسجد خالياً والطرقات فارغة إلا من هؤلاء النفر المحدود خلال فترة قد لا تتجاوز الساعة من الزمن بالوقت المرسوم اليوم، وهم آلاف مؤلفة من قبل كلا الطرفين؟

على أن التفريق كان تدريجياً كما تفيد الأخبار حيث كانت المرأة تأتي ابنها أو أخاها فتكلمه فيرجع ^(١)، ويشهد له كثافة العدد المتراكم هناك.

الثغرة الثامنة: المولى الغريب مسلم عليه السلام لا يعرف طريق منزله!

روى الشيخ المفيد والفتال وابن نما والمجلسي والبحراني رحمهم الله جميعاً، واللفظ للأول قال:

«فإذا هولا يحس أحداً، يدلّه على الطريق، ولا يدلّه على

(١) انظر للتفصيل: «مسلم بن عقيل عليه السلام معركة القصر».

منزله! ولا يواسيه بنفسه إن عرض له عدوٌّ.

عرض معيب لشخصيّة المولى العالم من آل محمّد مسلم بن عقيل عليه السلام، يخرج القائد العسكريّ الفدّ وكبير آل عقيل وصهر أمير المؤمنين عليه السلام في الكوفة التي عاش فيها رداً من الزمن، ثمّ لا يعرف طريق عودته إلى منزله!!! العودة إلى منزله!!

تاه المولى في أزقة الكوفة، ومشى طريقاً أذهلته الحرب، وأدهشه القتال عن الالتفات إليه وحفظه بحيث لم يعد يعرف شيئاً، ولا يعرف طريق عودته إلى منزله!!!.

إنّ المولى المعظم مسلم بن عقيل عليه السلام أعلى شأنًا، وأقوى جناحاً من أن يذهله القتال، أو يرتبك - والعياذ بالله - حتّى لم يعد يميّز طريقه! ولا يعرف مكان منزله!

إلا أن يحمل كلامهم على محمل آخر ستأتي الإشارة إليه، إن شاء الله تعالى.

الثغرة التاسعة: هرب المولى الغريب مسلم عليه السلام

ذكر ابن سعد، وهو أقدم المؤرّخين الذين ذكرناهم وفاة: أنّ البطل الهاشمي مسلماً عليه السلام هرب واستجار بامرأة «وجاء الليل فهرب مسلم

حتى دخل على امرأة من كندة يقال لها: "طوعة" فاستجار بها! (١).
وهي كذبة لا يصدّقها غبيّ فضلاً عن العاقل الذكيّ، حيث كانت
طريقة خروج المولى الغريب مسلم ﷺ من الميدان - التي ذكرها ابن
سعد ومَن تبعه - طريقة لا تصدّق، ولوقام لها الآلاف من أمثال ابن
سعد والواقدي والمدائني والذهبي، بل لو اتفق كلّ العالمين عدا
المعصومين ﷺ.

ومن ذا يحتمل ذلك في البطل الهاشميّ حفيد أبي طالب ﷺ، فربما
ثقلت هذه الكذبة المفضوحة على المؤرّخين من بعده، فبادروا إلى
صياغتها بعبارة أهون على السامع، وأقرب إلى احتمال التصديق،
فاخترعوا قصّة تلدّه في الشوارع!

أيفرّ حفيد أبي طالب من الزحف؟ أيهزم ويولّي الدبر؟ أيهرب من
ساحة المواجهة والحرب؟ إن هذا إلا بهتان عظيم.

الثغرة العاشرة: الاختلاف في العدد المتبقّي

لا تكاد المصادر تتّفق على العدد المتبقّي مع المولى الغريب.

فهم عند ابن سعد ستون:

(١) ترجمة الإمام الحسين ﷺ من الطبقات لابن سعد: ٦٦، سير أعلام النبلاء
للذهبي عن ابن سعد: ٣ / ٢٩٩.

«وهو في نحو من ستين رجلاً» (١).

وعند البلاذري زهاء ثلاثين:

«وما معه إلا نحو من ثلاثين رجلاً» (٢).

وعند الطبري في إحدى رواياته خمسمائة:

«فجعل أصحاب مسلم يتسلّلون حتّى أمسى في

خمسمائة» (٣).

وفي رواية أخرى له ثلاثون نفساً:

«فما زالوا يتفرّقون ويتصدّعون حتّى أمسى ابن عقيل وما معه

ثلاثون نفساً» (٤).

ويتناقص العدد حتّى يبلغ عشرة:

«وبلغ الأبواب ومعه منهم عشرة، ثمّ خرج من الباب وإذا

ليس معه إنسان» (٥).

(١) ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من الطبقات لابن سعد: ٦٦.

(٢) جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٣٣٨.

(٣) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٠، الأمالي للشجري: ١ / ١٩١، تهذيب الكمال للمزي:

٦ / ٤٢٦، تهذيب التهذيب لابن حجر: ٢ / ٣٥١.

(٤) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٦٨.

(٥) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٦٨.

وفي روايته عن ابن يساف جعلهم خمسين:

«فلَمَّا بلغ السوق، وهي ليلة مظلمة، ودخلوا المسجد، قيل لابن زياد: والله ما نرى كثيراً أحد، ولا نسمع أصوات كثيراً أحد، فأمر بسقف المسجد فقلع، ثم أمر بجرادي فيها النيران، فجعلوا ينظرون، فإذا قريب خمسين رجلاً» (١).

وعند ابن أعثم عشرة لا أقل ولا أكثر:

«فما غابت الشمس حتى بقي مسلم بن عقيل في عشرة أفراس من أصحابه لا أقل ولا أكثر، واختلط الظلام، فدخل مسلم ابن عقيل المسجد الأعظم ليصلي المغرب وتفرق عنه العشرة» (٢).

وأنهى المسعودي المشهد مع مائة رجل:

«فلم يمس مسلم ومعه غير مائة رجل».

ثم غاب المائة خلال فترة وجيزة لا تتعدى حركة مسلم بن عقيل عليه السلام في المسجد متوجّهاً إلى أبواب كندة، فلم يبق منهم إلا ثلاثة:

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٩١.

(٢) الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٨٦.

«فلما نظر إلى الناس يتفرقون عنه، سار نحو أبواب كندة، فما بلغ الباب إلا ومعه منهم ثلاثة، ثم خرج من الباب، فإذا ليس معه منهم أحد» (١) ..

وهم عند أبي علي مسكويه وابن شهر آشوب «ثلاثون» دون أن يتناقصوا إلى عشرة:

«حتى أمسى مسلم بن عقيل، وما معه إلا ثلاثون رجلاً حين صليت المغرب»، وتناقصوا حتى بلغوا عشرة عند الباب (٢).

ولم يثبت مع مسلم عليه السلام أحد عند ابن الجوزي في المنتظم:

«فتسللوا، فما اختلط الظلام حتى بقي مسلم وحده» (٣).

وقول الذهبي بروايته عن الواقدي والمدائني ما لا يليق بساحة البطل الهاشمي الشجاع ولا يصح أن يوصف به، ولا يصدق خبرهم فلا نذكره.

وجمع ابن كثير الأعداد وفرقهم بالتدرج فبدأ بالخمسمائة، وانتهى إلى العشرة:

(١) مروج الذهب للمسعودي: ٣ / ٦٧.

(٢) تجارب الأمم لمسكويه: ٢ / ٤٨.

(٣) المنتظم لابن الجوزي: ٥ / ٣٢٦.

«فتخاذل الناس وقصّروا وتصرّموا وانصرفوا عن مسلم بن عقيل، حتّى لم يبق إلّا في خمسمائة نفس، ثمّ تقالّوا، حتّى بقي في ثلاثمائة، ثمّ تقالّوا، حتّى بقي معه ثلاثون رجلاً، فصلّى بهم المغرب وقصد أبواب كنده، فخرج منها في عشرة، ثمّ انصرفوا عنه، فبقي وحده» (١).

وأجمل ابن حجر ولم يذكر عدداً بعينه:

«فجعلوا يتسلّلون، فأمسى مسلم وليس معه إلّا عدد قليل منهم، فلمّا اختلط الظلام ذهب أولئك أيضاً» (٢).

* * * * *

فالأعداد التي بقيت مع المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام - وفق ما ورد في المصادر التاريخية - كالآتي:

ابن سعد: ٦٠.

البلاذري: ٣٠.

الطبري ١: ٥٠٠.

الطبري ٢: ٣٠ - ١٠.

(١) البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥٤.

(٢) الإصابة لابن حجر: ١ / ٣٣٣.

الطبري ٣: قريب ٥٠.

ابن أعثم: ١٠ أفراس.

المسعودي: ١٠٠ - ٣.

ابن الجوزي: ٠.

ابن كثير: بدأ بـ ٥٠٠ وانتهى بـ ١٠، وذكر بين الأعداد: ٣٠٠.

ربما قيل: إنَّ اختلاف الأعداد هنا لا يعدُّ ثغرة تخدش ولا يضُرُّ بالخبر، وذلك لسببين:

السبب الأول: استناد الأعداد إلى التخمين

إنَّ ذكر الأعداد هنا مستند إلى التخمين والتقدير حسب ما يراه الراوي ووفق ما يحتمله بالنظر.

وقد يجاب أن هذا قد يصحَّ في الأعداد الكبيرة من قبيل الخمسمائة والثلاثمائة والمائة، أمَّا الخلط في التخمين بين هذه الأعداد الكبيرة والعشرة والثلاثين والستين فهو بعيد.

السبب الثاني: اختلاف التوقيت

إنَّ الراوي ينقل مشاهداته وقد وقع التفرُّق تدريجياً حسب المصادر، فكُلِّ راوٍ نقل العدد الذي شاهده ضمن المقطع الزمني الذي تواجد فيه ذلك العدد بالخصوص.

وهذا الكلام متين إذا صحَّ أن كلَّ شاهد نقل مشاهدته في فترة زمنية تختلف عن مشاهدة الآخر ولو آناً ما، غير أنَّ الملاحظ أنَّ الرواة يتحدَّثون عن لحظة معيّنة ويقصدون موقفاً محدّداً، وهي الساعة الفاصلة التي انفَضَّ فيها الناس عن المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام.

ونحن لا نقصد الاختلاف في الأعداد أثناء التسلّل والانفضاض والتفرّق التدريجيّ الذي حاول ابن كثير تصويره، وإنّما نقصد العدد الأخير الذي بقي - حسب المصادر - المولى الغريب بعدها وحيداً، أي آخر عدد ذكره المؤرّخون، ثمَّ صرّحوا بوحدته عليه السلام بعده، فهو يتراوح بين الخمسمائة والعشرة، والبون بينهما كبير، وحصول الاشتباه في التخمين بعيد.

الثغرة الحادية عشر: الاختلاف في وقت التفرّق ومكانه

لا تكاد المصادر تتّفق على الوقت والمكان الذي تفرّق به هذا العدد:

أما ابن سعد فقد روى أنَّهم خرجوا معه أربعمائة، وتفرّق الغوغاء عنه في طريقه إلى القصر، فلمّا وصل القصر لم يكن معه إلا العدد المتبقّي، وهم قد ثبتوا معه يقاتلون ولم ينفَضُوا عنه حتّى دهمهم الليل، وكثرهم جرذان السقيفة، قال:

«فخرج في نحو من أربعمئة من الشيعة، فما بلغ القصر إلا وهو في نحو من ستين رجلاً، واقتتلوا قريباً من الرحبة، ثم دخلوا المسجد، فغربت الشمس وكثرهم أصحاب عبید الله بن زياد، وجاء الليل فهرب! مسلم» (١) ..

وأما البلاذري فلم يحدّد الوقت والمكان بالضبط، واكتفى بقوله: «أمسى»، وأنه خرج دون أن يذكر الموضع الذي خرج منه، قال: «فتفرّق أصحاب ابن عقيل عنه، حتّى أمسى، وما معه إلا نحو من ثلاثين رجلاً، فلما رأى ذلك خرج متوجّهاً نحو أبواب كندة، وتفرّق عنه الباقون حتّى بقي وحده» (٢).

وذكر الدينوري أنّ الواقعة وقعت بعد صلاة العشاء، وفي ظلمة الليل البهيم، وأنهم شيعوه مشياً على الأقدام حينما توجه إلى أبواب كندة وخرجوا من المسجد معه:

«فصلّى مسلم العشاء في المسجد وما معه إلا زهاء ثلاثين رجلاً، فلما رأى ذلك مضى منصرفاً ماشياً، ومشوا معه، فأخذ نحو كندة، فلما مضى قليلاً التفت، فلم ير منهم أحداً» (٣).

(١) ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من الطبقات لابن سعد: ٦٦.

(٢) جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٣٣٨.

(٣) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣٩.

وفي تصوير الطبري في إحدى رواياته يفيد كأنَّ التجمّع كان على باب قصر الخبال ومن ثمة حصل التسلّل وتفرّد المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام عند اختلاط الظلام:

«فلَمَّا سار إليه مسلم، فانتَهى إلى باب القصر، أشرفوا على عشائِهم، فجعلوا يكلمونهم ويردّونهم، فجعل أصحاب مسلم يتسلّلون حتّى أمسى في خمسمائة، فلَمَّا اختلط الظلام ذهب أولئك أيضاً» (١).

وفي روايته الأخرى بقي معه ثلاثون حتّى أدّوا صلاة المغرب معه، ثمّ تفرّقوا:

«فما زالوا يتفرّقون ويتصدّعون حتّى أمسى ابن عقيل وما معه ثلاثون نفساً في المسجد، حتّى صلّيت المغرب، فما صلّى مع ابن عقيل إلّا ثلاثون نفساً» (٢).

وفي رواية أخرى أفاد أنّهم كانوا معه في المسجد حتّى أرخى الليل سدوله وهبط الظلام بحيث احتاجوا إلى إنزال شعل النيران لاستكشاف حنايا المسجد ومن تواجد فيه:

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٠، الأمالي للشجري: ١ / ١٩١، تهذيب الكمال للمزي: ٦

/ ٤٢٦، تهذيب التهذيب لابن حجر: ٢ / ٣٥١.

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧١.

«فلما بلغ السوق، وهي ليلة مظلمة، ودخلوا المسجد، قيل لابن زياد: والله ما نرى كثير أحد، ولا نسمع أصوات كثير أحد، فأمر بسقف المسجد فقلع، ثم أمر بجرادي فيها النيران، فجعلوا ينظرون، فإذا قريب خمسين رجلاً^(١)».

ويفيد أن الخمسين قاتلوا معه حتى هزموا!!:

«قال: فنزل، فصعد المنبر، وقال للناس: تميزوا أرباعاً أرباعاً، فانطلق كل قوم إلى رأس ربهم، فنهض إليهم قوم يقاتلونهم، فخرج مسلم جراحة ثقيلة، وقتل ناس من أصحابه، وانهزموا، فخرج مسلم فدخل داراً من دور كندة^(٢)».

أمّا ابن أعثم فقد صرح بهبوط الظلام، وأن العشرة الباقية تفرّقوا عنه بعد أن دخل المسجد:

«فما غابت الشمس حتى بقي مسلم بن عقيل في عشرة أفراس من أصحابه لا أقل ولا أكثر، واختلط الظلام، فدخل مسلم ابن عقيل المسجد الأعظم ليصلي المغرب، وتفرّق عنه العشرة^(٣)».

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٩١.

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٩١.

(٣) الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٨٦.

وعند المسعودي أمسى البطل الهاشمي مسلم عليه السلام وقد تفرّق عنه الناس فلم يبق إلا مائة، وتفرّق المائة قبل أن يبلغ الباب من أبواب كندة، وهو خارج من المسجد، قال:

«فلم يمس مسلم ومعه غير مائة رجل، فلمّا نظر إلى الناس يتفرّقون عنه، سار نحو أبواب كندة، فما بلغ الباب إلا ومعه منهم ثلاثة، ثمّ خرج من الباب، فإذا ليس معه منهم أحد» (١).

وعند ابن حبان لم يصلوا إلى القصر ولم يحصل أيّ قتال:

«ثمّ ركب مسلم بن عقيل في ثلاثة آلاف فارس يريد عبيد الله بن زياد، فلمّا قرب من قصر عبيد الله نظر، فإذا معه مقدار ثلاثمائة فارس، فوقف يلتفت يمنة ويسرة، فإذا أصحابه يتخلّفون عنه حتّى بقي معه عشرة أنفس، فقال: يا سبحان الله! غرنا هؤلاء بكتبهم، ثمّ أسلمونا إلى أعدائنا هكذا، فولى راجعاً، فلمّا بلغ طرف الزقاق التفت، فلم ير خلفه أحداً، وعبيد الله بن زياد في القصر متحصّن يدبر في أمر مسلم بن عقيل» (٢).

(١) مروج الذهب للمسعودي: ٣ / ٦٧.

(٢) الثقات لابن حبان: ٢ / ٣٠٨.

* * * * *

وربما قيل: إنّ الاختلاف في الوقت والمكان لا يعدّ اختلافًا ذا بال، لأنّ الفترة عند الجميع تتراوح بين المساء والعشاء في أقصى التقادير، وهي الفترة التي احتدم فيها النزاع، والمكان لا يتباعد عن المسجد الأعظم وقصر الخبال وأبواب كنده وهي جميعاً متقاربة، فربما كان المسجد الأعظم باحة يطلّ عليها المشرف من أسوار قصر الخبال، وبيت الله وقصر الشيطان يشتركان بالباحة التي يطلان عليها في ضلعين من أضلاعهما على الأقلّ، وهما الضلع الشرقي والغربي، كما هو واضح إلى يومنا هذا.

فالمنطقة التي حصل فيها التفرّق تكاد تكون محصورة نسبياً. بيد أنّ الأمر إذا لوحظ ضمن خطورة الموقف وحساسيّة المشهد، وسعة الجامع الأعظم بالكوفة، وكذلك سعة الرقعة التي يحتلّها قصر الخبال، وامتداد أسوارهما الطويلة المترامية، وافتراس الدقّة في الراوي الذي يحدث لينقل مثل هذه الواقعة التي غيّرت مجرى التاريخ، تبقى هذه الثغرة بمستوى من القوّة التي تحتمل زعزعة الثقة بالنقل ولو نسبياً، إذا انضمت إليها الثغرات الأخرى.

الثغرة الثانية عشر: الاختلاف في عدد من استجاب لنداء المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام

اختلف المؤرخون في العدد الذي لبّى نداء المولى الغريب مسلم بن
عقيل عليه السلام:

فهم عند ابن سعد أربعمئة من الشيعة:

«وبلغ الخبر مسلم بن عقيل، فخرج في نحو من أربعمئة من
الشيعة» (١).

وعند البلاذري أربعة آلاف من أصل ثمانية عشر ألف:

«وأتى مسلماً خبرهائى، فأمر أن ينادى في أصحابه، وقد تابعه
ثمانية عشر ألف رجل، وصاروا في الدور حوله، فلم يجتمع إليه
إلا أربعة آلاف رجل، فعبأهم ثم زحف نحو القصر» (٢).

وفيد الدينوري من خلال جمع عبارتين له أنهم ثمانية عشر ألف
رجل:

«ولما بلغ مسلم بن عقيل قتل هائى بن عروة نادى فيمن كان
بايعه، فاجتمعوا... فتقدموا جميعاً حتى أحاطوا بالقصر،

(١) ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من الطبقات لابن سعد: ٦٦.

(٢) أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٨١.

واتبعهم هو في بقيّة الناس» (١).

وقال قبل ذلك:

«ولم يزل مسلم بن عقيل يأخذ البيعة من أهل الكوفة حتّى

بايعه منهم ثمانية عشر ألف رجل» (٢) ...

وفي إحدى روايات الطبري أربعة آلاف من أهل الكوفة:

«فأتى مسلماً الخبر، فنادى بشعاره، فاجتمع إليه أربعة آلاف

من أهل الكوفة، فقدّم مقدّمته» ...

وفي الرواية الأخرى للطبري تداعى له أهل الكوفة حتّى امتلأ

المسجد والسوق وزيادة:

«عن عبد الله بن خازم في خبر طويل:

قال: أنا والله رسول ابن عقيل إلى القصر لأنظر إلى ما صار أمر

هائى ...

فدخلت على مسلم بن عقيل بالخبر، فأمرني أن أنادي في

أصحابه، وقد ملأ منهم الدور حوله، وقد بايعه ثمانية عشر

ألفاً، وفي الدور أربعة آلاف رجل، فقال لي: ناد: يا منصور

(١) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣٨.

(٢) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣٥.

أمت، فناديت: يا منصور أمت، وتنادى أهل الكوفة فاجتمعوا إليه ... ثم أقبل نحو القصر»..

وفي خبر عباس الجدلي!:

«خرجنا مع ابن عقيل أربعة آلاف، فما بلغنا القصر إلا ونحن ثلاثمائة ...

قال: وأقبل مسلم يسير في الناس من مراد حتى أحاط بالقصر، ثم إنَّ الناس تداعوا إلينا واجتمعوا، فوالله ما لبثنا إلا قليلاً حتى امتلأ المسجد من الناس والسوق، وما زالوا يثوبون حتى المساء ...» (١).

وفي الرواية الثالثة للطبري لم يحدّد العدد بالضبط، وإنما عبّر عنهم ناس كثير..

«فبلغ ذلك مسلم بن عقيل، فخرج ومعه ناس كثير».

وعند ابن أعمش: ثمانية عشر ألفاً أو يزيدون..

«وأقبل مسلم بن عقيل رحمته الله في وقته ذلك عليه وبين يديه ثمانية عشر ألفاً أو يزيدون ...» (٢).

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٦٩.

(٢) الفتوح لابن أعمش: ٥ / ٤٩.

واجتمعوا على قول المسعودي دفعة واحدة ثمانية عشر ألف رجل!!

«فاجتمع إليه في وقت واحد ثمانية عشر ألف رجل، فسار إلى ابن زياد» (١).

وهم عند ابن حبان: ثلاثة آلاف فارس..

«ثم ركب مسلم بن عقيل في ثلاثة آلاف فارس يريد عبيد الله بن زياد» (٢).

وعند أبي علي مسكويه مثل إحدى روايات الطبري:

«وبعث مسلم بن عقيل من يأتيه بالخبر. فأتوه بالخبر على وجهه، وأمر أن ينادى بشعاره: يا منصور أمت، وكان قد بايعه ثمانية عشر ألف رجل، فاجتمعوا إليه، فعقد لجماعة على الأرباع، وقدم أمامه صاحب ربع كندة، وأقبل نحو القصر، فتحرز عبيد الله، وغلق الأبواب، وسار مسلم حتى أحاط بالقصر، وتداعى الناس، واجتمعوا، حتى امتلأ المسجد والسوق، وما زالوا يتوثبون حتى المساء» (٣).

(١) مروج الذهب: ٣ / ٥٨.

(٢) الثقات لابن حبان: ٢ / ٣٠٨.

(٣) تجارب الأمم لمسكويه: ٢ / ٤٩.

وعند ابن شهر آشوب: ثمانية آلاف!!

«ووصل الخبر إلى مسلم بن عقيل في أربعة آلاف كانوا حواله

فاجتمع إليه ثمانية آلاف ممن بايعوه» (١) ...

وعند ابن الجوزي في المنتظم: أربعة آلاف..

«فنادى مسلم أصحابه، فاجتمع إليه من أهل الكوفة أربعة

آلاف» (٢) ...

وعند ابن الأثير: ذكر أعداد المبايعين والمجتمعين حوله ثم جمعهم

بقوله: «ناس كثير».

«وأتى الخبر مسلم بن عقيل فنادى في أصحابه: يا منصور

أمت! وكان شعارهم، وكان قد بايعه ثمانية عشر ألفاً وحوله في

الدور أربعة آلاف، فاجتمع إليه ناس كثير...» (٣).

وعند ابن نما: جماعة ممن بايعه..

«ولما بلغ مسلم بن عقيل خبره، خرج بجماعة ممن بايعه» (٤).

(١) المناقب لابن شهر آشوب: ١٠ / ٣١٧.

(٢) المنتظم: ٥ / ٣٢٦.

(٣) الكامل في التاريخ: ٤ / ٣٠.

(٤) مثير الأحزان لابن نما: ٣٤.

وعند ابن طاووس: لم يحدّد العدد وإنما خرج بمن بايعه..

«وبلغ الخبر إلى مسلم بن عقيل فخرج بمن بايعه إلى حرب

عبيد الله بن زياد» (١) ..

وقال ابن كثير:

«فاجتمع إليه أربعة آلاف من أهل الكوفة..» (٢).

وهم عند ابن حجر: أربعون ألفاً!! من أهل الكوفة ...

«ونادى مسلم بن عقيل لما بلغه الخبر بشعاره، فاجتمع عليه

أربعون ألفاً من أهل الكوفة» (٣) ..

الأعداد باختصار

فتكون الأعداد باختصار:

ابن سعد: ٤٠٠ من الشيعة.

البلاذري: ٤٠٠٠ من أصل ١٨٠٠٠.

الدينوري: ١٨٠٠٠.

الطبري ١: ٤٠٠٠.

(١) اللهوف للسيد ابن طاووس: ٤٧.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥٤.

(٣) الإصابة لابن حجر: ٢ / ٧٠.

الطبري ٢: تداعى له أهل الكوفة حتّى امتلأ المسجد والسوق
وزيادة على تفصيل في الانقباض والانبساط.

الطبري ٣: معه ناس كثير.

ابن أعثم: ١٨٠٠٠ أو يزيدون.

المسعودي: ١٨٠٠٠ اجتمعوا دفعة واحدة!

ابن حبان: ٣٠٠٠ فارس.

ابن شهر آشوب: ٨٠٠٠.

ابن الأثير: ناس كثير كما صرح.

ابن نما: جماعة.

ابن حجر: ٤٠٠٠٠.

فإذا حملنا عبارات «بمن بايعه» للسيد ابن طاووس، و«جماعة»،
و«ناس كثير»، و«امتلا المسجد والسوق»، وغيرها على الإجمال، وذكر
الأعداد على التفصيل نرى الأعداد تتراوح بين الأربعمئة إلى الأربعين
ألفاً.

ووقوع الاشتباه في التخمين بين الأربعمئة والأربعين ألف لا يقبل
من مثل الأعمى، فربما استطاع أن يميّز بسمعه الفرق بينها، وهم حسب
الفرض جيش يموج بعضه على بعض.

وكذا الكلام في باقي الأعداد ومقارنتها إلى بعضها من قبيل

الأربعمائة بالمقارنة إلى الأربعة آلاف، والأربعة آلاف بالمقارنة إلى الثمانية عشر ألف، والثمانية آلاف إلى باقى الأعداد وهكذا ...

الاجتماع التدريجى

ربما يقال: إنهم اجتمعوا تدريجياً وروى كل مؤرخ مشاهدات راويه، وبهذا يفسر هذا الاختلاف الحاصل فى تقدير العدد. ويناقدش هذا التفسير لسببين:

السبب الأول: وجود شواهد تنفى هذا التفسير

لوجود شواهد فى عبارات بعض المؤرخين تنفى هذا التفسير من قبيل قول المسعودى: «فاجتمع إليه فى وقت واحد»، وخبر الطبرى وغيره الذى فصل بين العدد المذكور ساعة الانطلاق وتناقصه، ثم تداعى الناس حتى امتلأ المسجد والسوق ...

السبب الثانى: حديثهم عن وقت واحد

إن كلام المؤرخ ينصب - كما هو ظاهر عباراتهم - على الذين أجابوا النداء حين ارتفع الشعار، فهم جميعاً يتحدثون عن وقت واحد لا عن أوقات مختلفة.

إستكشاف المواقف

إنَّ ثَمَّةَ مشاهد رسمت في تلك الساعة العصيبة استكملت فيها
الصورة مواقف المتواجدين والمشاركين في الحدث، نحاول استكشافها
على عجل:

الموقف الأول: موقف الأبرار

قبل الدخول في الفرضيات والاحتمالات التي يمكن أن نستكشف بها موقف الأبرار الذين وقفوا مع المولى الغريب ﷺ في ساعة العسرة ينبغي أن نقدّم بعض المقدمات المهمة كمفاتيح تعيننا على الدخول في الموضوع، وأضواء كاشفة تنير لنا الأجواء، وتساعدنا على الاستكشاف، وتيسّر علينا فهم الموقف.

الضوء الأول: المقصود بالبحث في الموقف الأول

كان المجتمع الكوفي يومذاك خليطاً غير متجانس من الأديان والأعراق والطبقات الاجتماعية، ولا يهمننا في بحثنا هذا استكشاف

مواقف الناس أجمعين^(١)، وإنما نحاول استكشاف مواقف رجال الشيعة ورؤوسهم وجامعهم الذين سجلهم التاريخ وعرفنا أسماءهم وسمعنا ثباتهم قبل يوم البطل الهاشمي مسلم بن عقيل عليه السلام.

فإذا كان محلّ البحث هؤلاء الأبرار والشجعان الفرسان المبرزين من الأحرار، فلا بدّ من استكشاف مواقفهم ضمن هذا الاعتقاد وفي حدود هذه المعرفة:

وهم ينقسمون إلى قسمين:

القسم الأول: سيوف الإمام الحسين عليه السلام

رجال الشيعة وسيوف الحسين عليه السلام وأشعة الأنوار المقدسة التي أحاطت بسيد الشهداء عليه السلام الذين ثبتوا في القتال، وأبدوا بطولاتهم وشجاعتهم في النزال، واقرنت أسماءهم باسم سيّد شباب أهل الجنة وريحانة النبي صلى الله عليه وآله من قبيل حبيب بن مظاهر الأسديّ وأبي ثمامة الصائديّ ومسلم بن عوسجة وعابس بن أبي شبيب الشاكريّ وشوذب موله وغيرهم ...

وهؤلاء كانوا أيام المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام بين يديه

(١) قمنا بدراسة مواقف الشرائح الاجتماعية بالتفصيل ضمن عنوان «مسلم بن عقيل عليه السلام معركة القصر».

ردحاً من الزمن، ثم اختفت أنوراها هناك وسطعت في كربلاء سيّد الشهداء عليه السلام.

القسم الثاني: رجال الشيعة الكبار

رجال الشيعة الكبار ورؤوسهم الضخمة من أصحاب القامات العالية والهجمات الرفيعة من أمثال الأصبع بن نباتة، وكميل بن زياد وسليم بن قيس الهلالي وغيرهم، ممّن ثبت تاريخياً أو دلّت الشواهد والقرائن على وجودهم أيام قيام سيّد الشهداء عليه السلام في الكوفة وضواحيها غير أنّنا لا نجد لهم ذكراً خلال تلك الفترة.

وكلا القسمين لا يسع الواقف في رحابهم المتطلّع إلى مواقفهم أن يشكّك - والعياذ بالله - في ولائهم، ولا في شجاعتهم وثباتهم، ولا تفانيهم في الدفاع عن إمام زمانهم.

فأيّ احتمال يطرق في البال يجب أن يكون بعيداً عن خدش قداستهم وطهارتهم والتشكيك في شجاعتهم وبسالتهن وشدة بأسهم في ميادين الجهاد والجلاد.

والرائد في تقييم مواقفهم كلمات الأئمّة المعصومين عليهم السلام فيهم وإعلان رضاهم عنهم قبل وبعد يوم المولى مسلم بن عقيل عليه السلام.

وللباحث أن يتصوّر ويصوّر ما يخاله كشفاً عن مواقفهم إلا الفرار من الزحف والإعراض عن نصره الإمام المظلوم عليه السلام والتناقل عن الجهاد.

فالقسم الأول قد بذل مهجته في الذبّ عن سيّد الشهداء عليه السلام، والقسم الثاني قد عرفناه وسمعنا أخبارهم وثناء المعصومين عليه السلام عليهم.

الضوء الثاني: صحّة مواقف الأولياء

إنّ اختفاء خبر هؤلاء الأبرار في الساعة الأخيرة مع المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام ممّن التحق بسيّد الشهداء عليه السلام لم يرد فيه أيّ توبيخ أو استنكار أو لؤم أو عتاب لا من المولى مسلم بن عقيل عليه السلام ولا من سيّد الشهداء الحسين عليه السلام ولا من الأئمّة عليه السلام، وهذا يعني أنّه موقف مرضيّ على فرض حصوله. وإنّما ذكرناه هنا في ضوء مستقلّ عن الضوء السابق تأكيداً على تصحيح مواقفهم، وتبييناً لها.

الضوء الثالث: تحديد مهمّة المولى مسلم بن عقيل عليه السلام

إنّنا ندرس مجريات الأحداث ونحاكمها بناءً على السوابق التي أسسنا لها في أذهاننا وعقدنا عليها ضمائرنا واعتقدنا بها.

فإذا قرّنا من قبل أنّ البطل الهاشميّ مسلم بن عقيل عليه السلام كان قد بيّت «الثورة» والقيام والاستيلاء على الكوفة، وكان ذلك في صلب

مهمته التي دخل الكوفة من أجلها، فحينئذٍ نعجب من تفرّق القوم، ونستغرب من فقدانهم في ساعة العسرة، ولانرى لهم تواجداً في يوم القيام و«الثورة».

أما إذا نظرنا إلى المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام باعتباره رسولاً مبعوثاً لاستكشاف الموقف، ومعرفة مدى توافق النوايا والمواقف مع ما جاءت به الكتب والرسل الواصلة إلى سيّد الشهداء عليه السلام - كما تبين ذلك في كتابنا تحت عنوان: «ثائراً سفيراً» - فإنّ الأمر سيختلف تماماً في مواجهة الموقف وفهمه.

ولا يستبعد - حينئذٍ - أن يكون الخُص من الشيعة قد أدوا مراسم البيعة وأعلنوا عن الثبات في النصر، ثمّ انطلق كلّ واحد منهم إلى دارته ومنطقته، وهم يتردّدون على الكوفة بين الحين والآخر، أو في كلّ يوم، فيعرضون أنفسهم على المولى الغريب عليه السلام، ثمّ يعودون إلى مأمّنهم ومكّمنهم، وربما يشتغلون فيما يصلح شأن الناس ويعدّهم لاستقبال إمامهم المنتظر سيّد شباب أهل الجنّة عليه السلام.

وهذا لا يسلّزم بالضرورة أن يكونوا متواجدين دائماً وعلى مدار الساعة بين يدي المولى مسلم بن عقيل عليه السلام، خصوصاً إذا عرفنا أنّهم مطمئنون إلى أنّه في دار منيعة وبين ثلّة شديدة متماسكة من قبيل هاني بن عروة ومسلم بن عوسجة وإخوانهم.

وإنّما حصل الذي جرى في ساعات معدودة محدودة من يوم وليلة. والليل البهيم لا يسمح بالقتال واستمرار المساجلة والحرب، وفي غداة غد استشهد الفارس الطالبيّ وكبير آل عقيل، واستشرى الخذلان في العوأم، وتعرّض الشيعة إلى القتل والاعتقال.

الضوء الرابع: همّ الأنصار للحاق بالحسين عليه السلام

بناءً على ما قدّمنا من أنّ المولى الغريب كان مأموراً باستكشاف الوضع، وكان دخوله إلى الكوفة إيذاناً بانطلاق القيام الحسينيّ، وكان للحاق بركب الفتح بالشهادة هو الهدف الأسمى والغاية الأساس والقصوى عند أصحاب الحسين عليه السلام ورجاله..

ولم يكن في مهمّة المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام القيام بمعنى قصد إسقاط النظام الحاكم هناك و«الثورة»!، فهو لا يحتاج إلى رجال مقاتلين، ولا يكون في عهدة الرجال البقاء معه وملازمته والقتال معه، وإنّما هم مكلفون بالبيعة على يديه الكريميتين، بل ربما يقال: لم تكن مهمّتهم حتّى البيعة على يديه، وإنّما كانت المهمّة والتكليف هو اللحاق بإمامهم الحسين عليه السلام، وهذا ما فعله أنصار سيّد الشهداء عليه السلام، إلّا من استثنى منهم.

فأبطال البصرة من سيوف الحسين عليه السلام التحقوا بالحسين عليه السلام مباشرة ولم يقصدوا الكوفة، ومنهم من لحق به عليه السلام في مكّة، والحال أنّ

الكوفة أقرب لهم من مكة وغيرها من منازل الطريق، كما أن نصرة القريب المباشر للمهمة - إن كانت مهمته الثورة كما يزعم البعض - أولى.

فهذا يزيد بن ثبيط وابناه، وعامر بن مسلم العبدى البصرى، ومولاه سالم، وسيف بن مالك، والأدهم بن أمية، خرجوا من البصرة والتحقوا بسيد الشهداء عليه السلام على مشارف مكة.

قال الشيخ السماوي:

«كان يزيد من الشيعة ومن أصحاب أبي الأسود، وكان شريفاً في قومه.

قال أبو جعفر الطبري: كانت مارية ابنة منقذ العبدية تتشيع، وكانت دارها مألفاً للشيعة يتحدثون فيه، وقد كان ابن زياد بلغه إقبال الحسين عليه السلام ومكاتبة أهل العراق له، فأمر عامله أن يضع المناظر، ويأخذ الطريق؟

فأجمع يزيد بن ثبيط على الخروج إلى الحسين عليه السلام، وكان له بنون عشرة، فدعاهم إلى الخروج معه، وقال: أيكم يخرج معي متقدماً؟

فانتدب له اثنان عبد الله وعبيد الله، فقال لأصحابه في بيت تلك المرأة: إني قد أزمعت على الخروج، وأنا خارج، فمن يخرج

معي؟ فقالوا له: إنا نخاف أصحاب ابن زياد، فقال: إني والله أن لو قد استوت أخفافها بالجدد لهان عليّ طلب من طلبني. ثم خرج وابناه، وصحبه عامر، ومولاه، وسيف بن مالك، والأدهم بن أمية، وقوى في الطريق حتى انتهى إلى الحسين عليه السلام وهو بالأبطح من مكة.

فاستراح في رحله ثم خرج إلى الحسين إلى منزله، وبلغ الحسين عليه السلام مجيؤه، فجعل يطلبه حتى جاء إلى رحله، فقيل له: قد خرج إلى منزلك.

فجلس في رحله ينتظره، وأقبل يزيد لما لم يجد الحسين عليه السلام في منزله، وسمع أنه ذهب إليه راجعاً على أثره، فلما رأى الحسين في رحله قال: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾، السلام عليك يا ابن رسول الله، ثم سلم عليه وجلس إليه وأخبره بالذي جاء له، فدعا له الحسين عليه السلام بخير، ثم ضمّ رحله إلى رحله، وما زال معه حتى قتل بين يديه في الطّفّ مبارزة، وقتل ابنه في الحملة الأولى» (١) ..

وربما كان بعضهم قد أدى مراسم البيعة، ثم انطلق إلى المنصور

(١) إِبْصَارُ الْعَيْنِ لِلْسَّامَوِيِّ: ١٤٥.

الذي دعا السفير الثقة مسلم بن عقيل لنصرته، وبايعوه من أجل ذلك، ولم ينتظر أحداً، ولم نسمع لهم موقفاً بعد مراسم البيعة في الكوفة مع المولى الغريب مسلم عليه السلام أو مع غيره.

وقال الشيخ السماوي في ترجمة نافع بن هلال الجملي:

«وخرج إلى الحسين عليه السلام فلقيه في الطريق، وكان ذلك قبل مقتل مسلم، وكان أوصى أن يتبع بفرسه المسمّى بالكامل، فأتبع مع عمرو بن خالد وأصحابه الذين ذكرناهم..»
وهكذا فقس، فمنهم من يَمّ وجهه نحو الحسين عليه السلام فوراً، ومنهم من بايع وخرج، ومنهم من أرسل بمهمة من قبل المولى الغريب عليه السلام..

* * * * *

وهذا الضوء مهم جداً يكشف لنا موقف الكثيرين من الشيعة والأبطال، ويفسر لنا عدم تواجدهم مع المولى الغريب عليه السلام في ساعة العسرة، وحضورهم حتى الشهادة بين يدي سيّد شباب أهل الجنة عليه السلام.

الضوء الخامس: صدور الأوامر لبعضهم بالخروج

ربما خرج بعض أقطاب معسكر سيّد الشهداء عليه السلام من الكوفة بأمر السفير الثقة مسلم بن عقيل عليه السلام، وربما كان تبليغ هؤلاء الأبطال

بالخروج من صلب مهمته عليه السلام، أو لمعرفته بيومه الموعود الذي ينتظره بين يدي سيّد الشهداء عليه السلام، وتحديد سيّد الشهداء لتكليفه من قبل، إمّا مباشرة، أو على لسان سفيره ومعتمده مسلم بن عقيل عليه السلام أو على لسان رسول من رسله، كما صنع زهير بن القين باعتباره صاحب ميمنة الحسين عليه السلام، فخرج إلى الصحراء وتجشّم العيش على الرمضاء في العراء انتظاراً لسيّد الشهداء عليه السلام (١).

وكذا فعل حبيب باعتباره صاحب ميسرة الحسين عليه السلام، إذ كان عالماً بيومه الموعود في كربلاء، فقد روى الكشي عن فضيل بن الزبير، قال:

«مرّميّتم التمار على فرس له فاستقبل حبيب بن مظاهر الأسدّي عند مجلس بني أسد، فتحدّثا حتّى اختلف أعناق فرسيهما.

ثمّ قال حبيب: لكأني بشيخ أصلع ضخم البطن يبيع البطيخ عند دار الرزق قد صلب في حبّ أهل بيت نبيّه عليه السلام، ويقر بطنه على الخشبة.

(١) انظر للتفصيل: كتاب «زهير بن القين علويّ خرج يتلقّى الحسين عليه السلام» للمؤلف.

فقال ميثم: وإني لأعرف رجلاً أحمر له ضفيران يخرج لينصرابن
نبيّه فيقتل ويحال برأسه بالكوفة.

ثمّ افترقا، فقال أهل المجلس: ما رأينا أحداً أكذب من هذين.
قال: فلم يفترق أهل المجلس حتّى أقبل رشيد الهجري
فطلبهما، فسأل أهل المجلس عنهما، فقالوا: افترقا، وسمعناهما
يقولان كذا وكذا.

فقال رشيد: رحم الله ميثماً نسي: ويزاد في عطاء الذي يجيء
بالرأس مائة درهم.

ثمّ أدبر، فقال القوم: هذا والله أكذبهم.

فقال القوم: والله ما ذهبت الأيام والليالي حتّى رأيناه مصلوباً
على باب دار عمرو بن حريث، وجيء برأس حبيب بن مظاهر
قد قتل مع الحسين عليه السلام، ورأينا كلّ ما قالوا» (١) ...

الضوء السادس: مصادر لم تذكر تقسيم الرايات

إنّنا إنّما نبحث عن احتمالات لاستكشاف موقف هؤلاء الأبرار بناءً
على بعض المصادر التي ذكرت تقسيم العسكر، ودفع الرايات إلى الرجال
المقصودين بالبحث، ووقوع قتال - مهما كان - بين أصحاب المولى

الغريب وأصحاب ابن الأمة الفاجرة.

أما بناءً على المصادر الأخرى التي لم تذكر ذلك وهي الأكثر من قبيل:

ابن قتيبة في الإمامة والسياسة، والبلاذري في أنساب الأشراف، وابن سعد في الطبقات، واليعقوبي في تاريخه، وابن أعثم الكوفي في الفتوح، والمسعودي في مروج الذهب، والطبري في إحدى رواياته، وابن شهر آشوب في المناقب، والسيد ابن طاووس في اللهوف، وابن حجر في الإصابة، وابن الجوزي في المنتظم، والمقريزي في إمتاع الأسماع، وغيرهم (١).

فالقضية حينئذٍ منتفية من رأس، إذ لا رايات مرفوعة، ولا قوات مدفوعة، ولا قتال، ولا اختفاء مفاجئ من ساحة المعركة، فدخل الموقف ضمن الأضواء السابقة، ويستكشف تماماً كما يستكشف موقف حبيب بن مظاهر وإخوانه البررة.

الضوء السابع: وجود ثلّة مع المولى عليه السلام

قد يقال: إننا نكاد نظمئن إلى وجود ثلّة شديدة قويّة مستميتة في الدفاع عن المولى القائد مسلم بن عقيل عليه السلام في مسجد الكوفة، وذلك

(١) انظر للتفصيل: «مسلم بن عقيل عليه السلام معركة القصر».

أَنَّ المصادر اتَّفقت على أَنَّ المولى صَلَّى صلاة المغرب أو العشاء في مسجد الكوفة جماعة.

وكان المسجد حينها ساحة حرب وميدان قتال وسجال حسب الفرض، وهو ملاصق لقصر الخبال، وكان حرس القصر يشرفون على المسجد ويتابعون الأحداث من هناك، فلو كان المولى مسلم بن عقيل عليه السلام قد أدَّى الصلاة دون حارس ولا حاجز يمنع عنه العدو لاغتنموها فرصة سواء المتربّصين من فوق القصر أو من حول المسجد، ولهجموا على المولى وقتلوه في الصلاة.

الضوء الثامن: بعض الأنصار خرج بمهمة

خرج بعض أنصار المولى الغريب عليه السلام لجلب النصرة واستشارة الهمم وتحشيد الناس والقبائل فلمّا رجع إلى الكوفة كان القضاء قد جرى، والقدر قد تحقّق، ووقعت الواقعة واستشهد القائد مسلم بن عقيل عليه السلام ...

وربما يكون بعضهم قد أرسل في مهمّة من قبل المولى مسلم بن عقيل عليه السلام كما حدث لعابس بن أبي شبيب الشاكريّ، روى الطبري في تاريخه قال:

«وقد كان مسلم بن عقيل حيث تحوّل إلى دار هائى بن عروة وبابيه ثمانية عشر ألفاً، قدّم كتاباً إلى حسين مع عابس بن

أبي شبيب الشاكري» (١) ..

الضوء التاسع: استشهاد البعض قبل النداء وحبس آخرين

تمّ اعتقال أو أسربعض الرجال الأوفياء قبل الأحداث وفي خضمّ الأحداث أو عندما كان يتحرّك باتجاه الكوفة أو داخلها قبل أن يبقى المولى الغريب مسلم عليه السلام وحيداً كما وقع ذلك للكثيرين من الشيعة المعروفين بالتشيّع ..

قال أبو علي مسكويه في تجارب الأمم:

«وأمر محمد بن الأشعث بمثل ذلك في من أطاعه من كندة ... وقال لمثل هؤلاء من أهل الشرف! مثل ذلك فخرجوا، وجاءوا بعدّة فحبسوا» (٢) ...

وقال الشيخ السماوي في إبصار العين:

«وخرج كثير بن شهاب بن الحصين الحارثي في عدد للقبض على من رآه يريد مسلماً فقبض على جماعة فحبسهم عبيد الله» (٣).

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧٥.

(٢) تجارب الأمم: ٢ / ٩٤.

(٣) إبصار العين: ٨٨.

وروى الطبري عن أبي مخنف قال:

«فحدثني أبو جناب الكلبي أنَّ كثيرا ألقي رجلاً من كلب يقال له: "عبد الأعلى بن يزيد"، قد لبس سلاحه يريد ابن عقيل في بني فتيان، فأخذه حتَّى أدخله على ابن زياد، فأخبره خبره، فقال لابن زياد: إنّما أردتك.

قال: وكنت وعدتني ذلك من نفسك؟ فأمر به فحبس» (١) ..

الضوء العاشر: حملة ألوية المولى الغريب عليه السلام

حمل اللواء في عسكر المولى الغريب عليه السلام أربعة من صناديد البشرية، استشهد اثنان منهم في الكوفة، وهما العباس بن جعدة الجدلي، وعبد الله بن عزيز الكندي، واستشهد اثنان منهما في كربلاء بين يدي سيّد الشهداء عليه السلام، وهما: مسلم بن عوسجة الأسدي وأبو ثمامة الصائدي.

فإذا كان السؤال يدور حول حملة الألوية فإنّ موقفهم واضح لا لبس فيه ولا غبار عليه، فهم بين شهيد بين يدي السفير مسلم بن عقيل عليه السلام وشهيد بين يدي الإمام عليه السلام ...

الضوء الحادي عشر: حامل اللواء لا يفرّ

مما لا شكّ فيه أنّ حامل اللواء لا يفرّ من المعركة، وهذا من الأوليات الضرورية المفروضة في حامل اللواء، ولو احتمل في رجل احتمالاً ضعيفاً جداً أنّه ممّن يساوره الخوف والتردد، ويؤدّي به الموقف إلى الفرار لا تدفع إليه راية، لأنّ هزيمة حامل الراية تعني هزيمة العسكر. هذا في حامل اللواء مطلقاً، أمّا إذا كان حامل اللواء مسلم بن عوسجة، فلا يمكن تصوّره فيه فضلاً عن احتمال له وإمكان وقوعه.

وقد عبّر مسلم بن عوسجة عن ثباته واستبساله بقوله لسيد الشهداء عليه السلام أنّه راسخ الموقف ثابت الجنان، ولو لم يجد سلاحاً لقاتل دونه بالحجارة، ولو قتل سبعين مرّة.

وسيّان عند هذا الوفيّ القويّ الأمين أن يكون في جحفل جرّار، أو أن يقاتل وحده، وهو لا يستوحش من الطريق لقلة سالكيه ما دام على الحقّ وفي صفّ الأولياء والأئمّة النجباء عليهم السلام.

وعلى هذا فلا نشكّ في أنّ قبضة ابن عوسجة كانت محكمة على سارية اللواء، وقد التحمت قبضته الأخرى بمقبض سيفه، وأنّه كان ثابتاً إلى أن اختطّ الظلام، وأرعى الليل سدوله الستيرة، وتفرّق عنه الجمع، حتّى لم يعد للجيش صورة العسكر، وللحرب شكل اصطفااف الجند

- إن كان ذلك قد تحقّق (١) - واختفت كلّ مظاهر التسلّح والقتال،
وأخرست قعقعة السلاح وصهيل الخيل واصطكاك الأسنة.
فماذا فعل بعد ذلك:

(١) انظر للتفصيل: «مسلم بن عقيل عليه السلام معركة القصر» للمؤلف.

الاحتمالات التي يمكن أن تعالج الموقف

يمكن افتراض عدّة احتمالات لمعالجة الموقف:

الاحتمال الأوّل: فرار أولياء الله وأصحاب سيّد الشهداء عليه السلام!!

جاء في كتاب الشهيد الخالد مسلم بن عقيل في خضم متابعة حركة الأحداث في الكوفة أيام تواجد المولى مسلم بن عقيل عليه السلام:

«... وقام مسلم بتنظيم جيشه وأسند القيادات العامّة في الجيش إلى من عرفوا بالولاء والإخلاص لأهل البيت عليه السلام! وهم:

١. عبد الله بن عزيز الكنديّ، جعله على ربيع كندة.
٢. مسلم بن عوسجة، جعله على ربيع مذحج.
٣. أبو ثمامة الصائديّ، جعله على ربيع قبائل بني تميم وهمدان.

٤. العباس بن جعدة الجدليّ، جعله على ربع المدينة.

وانتجّه مسلم بجيشه نحو قصر الإمارة فأحاطوا به» (١).

إلى أن قال:

«... ولم يمض قليل من الوقت حتّى انهزم معظمه، وصلىّ

بجماعة منهم صلاة العشاء في الجامع الأعظم، فكانوا يفرون

في أثناء الصلاة، وما أنهى ابن عقيل صلاته حتّى انهزموا

بأجمعهم بما فيهم قادة جيشه!!!! ولم يجد أحداً يدلّه على

الطريق، وبقي حيراناً لا يدري إلى أين مسراه ومولجه» (٢) ...

هذا وقد نصّ قبل هذا الكلام - كما سمعنا - على أسماء القادة

الأربعة الذين أمرهم البطل الهاشميّ مسلم بن عقيل عليه السلام على جيشه،

وأثنى عليهم معترفاً لهم بالولاء والإخلاص لأهل البيت عليهم السلام، ولم

يستثنهم هنا، وحشرهم فيمن فروّو إلى الدبر - والعياذ بالله -.

ربما كان في النكات السابقة التي ذكرناها في بداية البحث كفاية

للردّ - بكلّ أدب وخضوع - على هذا الكلام الذي لا يقاوم النقد، ولا

يصمد للردّ..

(١) حياة الشهيد الخالد مسلم بن عقيل عليه السلام، للشيخ باقر شريف القرشي: ١٥١

نقلاً عن تاريخ ابن الأثير: ٣ / ٢٧١.

(٢) حياة الشهيد الخالد مسلم بن عقيل عليه السلام، للشيخ باقر شريف القرشي: ١٥٥.

إلا أن نلتبس لهذه العبارة مخرجاً وتأويلاً، لأننا نستبعد أن يقصد المؤلف عليه السلام هذا المعنى مع ما له من قدم راسخ في الولاء ومعرفة الأولياء، كأن يكون المقصود أنهم تحرّفوا للقتال وانحازوا إلى فئة سيّد الشهداء عليه السلام إن أمكن الحمل على ذلك.

الاحتمال الثاني: كمنوا في الليل لينطلقوا صباحاً

قد يقال: إنّ أصحاب الألوية وغيرهم من الأنصار الأبرار قد تابعوا المسير في مهمّتهم، وكمنوا في مأمّنهم، لينطلقوا غداة غد - مع إشراقة الشمس - بوجه مشرق لحمل راياتهم والاعتداد بعدّتهم، والذبّ عن دينهم وإمامهم؟

وباتوا تلك الليلة منتظرين انبلاج الفجر وانفلاق الصبح، ليخرجوا بمن يخرج معهم إلى القصور ومواجهة الأعداء.

فلما أصبح الصباح فوجؤوا بخبر الهجوم على المولى الغريب مسلم ابن عقیل عليه السلام وشهادته، فبادروا إلى الاختفاء عن عيون السلطان لينطلقوا إلى الصحراء، ويلتحقوا بركب سيّد الشهداء عليه السلام بعد أن آيسوا من المجتمع المتخاذل.

وقد تجد عبارة: «فاختفی والتحق بالحسين عليه السلام بعد تخاذل الناس عن مسلم عليه السلام» تتكرّر عند ترجمة بعض أنصار سيّد الشهداء عليه السلام في كتاب إِبصار العين للسماوي عليه السلام وغيره.

الاحتمال الثالث: العمل وفق الصلاحيّات العامّة

إنّ الأحداث والوقائع سارت بشكل رجّت الأوضاع، فتداخلت الأخبار، وانقطعت الاتصالات، وصار كلّ واحد من أصحاب الألوية يعمل وفق الصلاحيّات العامّة الممنوحة له، ويتّخذ الموقف الذي يراه مناسباً من دون استعلام خاصّ من القائد الأعلى مسلم بن عقيل عليه السلام.

فلمّا رأى أصحاب الألوية تخاذل القوم، ومسارعتهم إلى جهنّم زمراً، وانصرفهم عن الحقّ ونصرة سفير الحسين عليه السلام انسلّوا تحت جناح الظلام إلى مأمن يوفّر لهم فرصة اللحاق بسيد الشهداء عليه السلام باعتبار أنّ وجودهم وعدمه لا يغيّر من المشهد شيئاً.

وهذا الاحتمال يصعب المصير إليه، وذلك لأمرين:

الأمر الأوّل: حامل اللواء لا يفرّ

لما ذكرنا في النقطة الأولى من أنّ حامل اللواء العاديّ لا يفرّ عن الزحف بتاتاً، ومسلم بن عوسجة وأبو ثمامة وأقرانهم من حملة الألوية يعدّون حملة للواء من النوع الخاصّ، الذي يعتقد في لوائه أنّه لواء الحقّ المطلق الذي يتمثّل بالمعصوم عليه السلام، فلا يمكن أن يتصوّر في حقّه الفرار من الزحف وهذا الانسحاب، لأنّه تخلّ عن نصر الحقّ المتمثّل في مسلم بن عقيل عليه السلام يومئذٍ..

إلا أن يدخل تحت عنوان التحيز إلى فئة، والانحراف إلى قتال!

الأمر الثاني: التزامهم الشرعي

عرفنا فيما سبق انضباط هؤلاء الرجال وتسليمهم، ودقتهم في الالتزام الشرعي، وعليه لا يمكن أن يتصور في حقهم أنهم يتخذون الموقف اعتباطاً دون أن يستعلموا من يعتقدوا وجوب طاعته عليهم بأمر الإمام المعصوم عليه السلام المفترض الطاعة من الله.

أجل ربما يتصور هذا في غير حملة الألوية من سائر الأنصار فيحمل على أنهم لما رأوا أن القتال في تلك الظروف غير مجد، وأن الفئة التي يجب أن ينحازوا إليها إنما هي سيد الشهداء عليه السلام فانسلوا إلى حيث أمرهم الله.

الاحتمال الرابع: عملوا وفق الأوامر الصادرة لهم مسبقاً

أن يكون قد زودوا بالأوامر من القائد الأعلى مسلم بن عقيل عليه السلام، فعملوا وفق التعليمات الصادرة لهم من قبل؟

كأن يكون قد أمروا بالتخلي عن الراية والقتال واللحاق بسيد الشهداء عليه السلام لمجرد اتضاح الصورة وانكشاف زيف النوايا، مع الأخذ بنظر الاعتبار العامل الغيبي في جميع مراحل القيام الحسيني وأن المولى الغريب عليه السلام كان عالماً بالنتيجة، وعارفاً بالمآل..

فلَمَّا تفرَّق الناس عرفوا أن لا فائدة من بقائهم في الساحة، فتحقّق أنَّ الظرف يملّي عليهم المبادرة إلى سيّد الشهداء عليه السلام، والانتقال من الكوفة إلى كربلاء الأرض الموعودة، وانتظار يوم عاشوراء. وبناءً على هذا الاحتمال يكون الأمر العامّ من المولى ابن عقيل عليه السلام، وتشخيص الموقف وتطبيق العامّ على هذا المشهد بالذات منهم.

الاحتمال الخامس: صدرت لهم الأوامر بعد الرجوع إلى مراكزهم

أن يكونوا قد رجعوا إلى مراكزهم بعد أن اختطّ الظلام وتفرّق الظلام، أو أنّهم استلموا الأوامر من المولى ابن عقيل عليه السلام قبل أن ينفصّ الجمع ويولّون الدبر، بترك الناس وشأنهم، والمبادرة إلى سيّد الشهداء عليه السلام.

والفرق بين هذا الاحتمال وسابقه أنّ الأوامر صدرت من المولى الغريب عليه السلام في الاحتمال السابق منذ البداية، بينما صدرت في هذا الفرض بعد الرجوع إلى مراكزهم وقبل التفرّق.

الاحتمال السادس: تدخل العشائر

أن يكون مسلم بن عوسجة وأبو ثمامة والثلة الطيّبة قد لازمت

المولى مسلم بن عقيل عليه السلام في ساعة العسرة، ولكن العشائر تدخلت تحت ضغط العرفاء المدفوعين بالترهيب والترغيب من قبل الجرو المسعور ابن زياد، فبادرت إلى عملية أشبه ما تكون بالاعتقال والأخذ بالقهر والقوة، لسحب وجوه العشيرة الملازمة للمولى مسلم بن عقيل عليه السلام، فاضطروهم تحت الإكراه والمغالبة والقسر إلى الانسحاب مع قومهم، أو أن كل واحد منهم اعتقله قومه من دون تدخل مباشر من السلطة، وإنما أدت العشيرة دور الشرطة، فاعتقل كل واحد منهم عند قومه ووضع تحت الإقامة الجبرية خوفاً منه أو خوفاً عليه.

وهذا ما فعله كل قوم بكبيرهم الملازم للمولى مسلم بن عقيل عليه السلام.

قال الشيخ السماوي في الإبصار:

«وجعل حبيب ومسلم يأخذان البيعة للحسين عليه السلام في الكوفة حتى إذا دخل عبيد الله بن زياد الكوفة وخذل أهلها عن مسلم وفر أنصاره! حبسهما عشائرها وأخفياهما، فلما ورد الحسين عليه السلام كربلاء خرجا إليه مختفين يسيان الليل ويكتمان النهار حتى وصلا إليه» (١).

الاحتمال السابع: هم الذين لازموه وصلّوا خلفه

أن يكون مسلم بن عوسجة والخلّص من إخوانه قد رجعوا إلى المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام، وثابوا إليه في نهاية المعركة، ولازموه في المسجد وصلّوا خلفه، ثمّ تفرّق الناس عنه عند الغروب، وهم الذين أشار إليهم المؤرّخ بقوله:

«أمسى ابن عقيل وصلى المغرب وما معه إلّا ثلاثون نفساً في المسجد، فلمّا رأى أنّه قد أمسى وما معه إلّا أولئك النفس، خرج من المسجد متوجّهاً نحو أبواب كنده، فما بلغ الأبواب ومعه منهم عشرة، ثمّ خرج من الباب فإذا ليس معه إنسان»..

فيكون هؤلاء الثلاثون، الذين صاروا لما بلغ الأبواب عشرة، ثمّ غابوا على حين غرّة، هم هؤلاء الأوفياء.

ويصوّر لنا ابن أعثم هؤلاء العشرة في مشهد آخر يتفرّقون فيه عن المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام قبل أن يدخل المسجد، وهم فرسان، فيقول:

«فما غابت الشمس حتّى بقي مسلم بن عقيل في عشرة أفراس من أصحابه، لا أقلّ ولا أكثر، واختلط الظلام، فدخل مسلم ابن عقيل المسجد الأعظم ليصلّي المغرب وتفرّق عنه العشرة.

فلَمَّا رأى ذلك استوى على فرسه، ومضى في أزقة الكوفة، وقد
أُخِّن بالجراحات، حتَّى صار إلى دار امرأة يقال لها: "طوعة"..
ويتركهم الدينوري يمشون خلفه حتَّى قضى صلاة العشاء، ومضى
هزيع من الليل، وخرجوا من المسجد إلَّا أنَّهم اختفوا فجأة، فالتفت
المولى الغريب مسلم عليه السلام وراءه، فلم يَر منهم أحداً، قال:

«فصلَّى مسلم العشاء! في المسجد، وما معه إلَّا زهاء ثلاثين
رجلاً، فلَمَّا رأى ذلك مضى منصرفاً ماشياً، ومشوا معه، فأخذ
نحو كندة، فلَمَّا مضى قليلاً، فلم يَر منهم أحداً»..

فيكون هؤلاء قد وقفوا مع المولى مسلم بن عقيل عليه السلام إلى الساعة
الأخيرة، ثمَّ إنَّ المولى مسلم بن عقيل عليه السلام أمرهم بالتفرق عنه، وتركهم
ليكمل المشوار وحده، وينطلقوا هم إلى سيّد الشهداء عليه السلام، لأنَّه كان
عارفاً بمآل الأمور، وقد سلَّمه الإمام الحسين عليه السلام كلَّ علامات الطريق
ومعالمه، وأطلعه على مجريات الأحداث وعواقب الأمور، وبشَّره
بالشهادة من قبل.

والطاعة والتسليم ميزان الأعمال، وليس المهمَّ أن يقتل الإنسان،
إنَّما المهمَّ أن يكون عاملاً بتكليفه الشرعيّ الذي أملاه عليه إمامه
والمفترض الطاعة عليه، إمَّا بالإصالة أو بالوكالة، فإذا أمر المولى مسلم
ابن عقيل عليه السلام بالتفرق، فالفوز بالتفرق وكفى.

قال الشيخ محمد جواد الطبسي في الجزء الثالث من كتاب «مع
الركب الحسيني»:

«هذه الطريقة في عرض الحدث - يعني حدث تفرّق الثلّة
الباقية مع مسلم عليه السلام بشكل مفاجئ - تلقي في روع المطالع أنّ
هؤلاء ليس بينهم وبين جموع الناس الذين انفصّوا بسرعة
عن مسلم عليه السلام إلا فرق واحد، وهو الفارق الزمنيّ في
الانفصاض عنه، ليس إلا.

بل تشعر هذه الطريقة بأنّ هؤلاء القلّة أسوأ بكثير من أولئك
الذين انفصّوا عنه بسرعة، وذلك لأنّ هؤلاء تفرّقوا في الختام
عنه، وهو أحوج ما يكون إليهم، كما تفرّقوا عنه خفية في غفلة
منه! هذا ما يشعر به التعبير "فالتفت فإذا هو لا يحسّ
أحداً...". وهذا ما لا يقبل به اللبيب المتدبّر، كما أنّه لا
يوافق طبيعة الأشياء وواقعها، إذ لنا أن نتساءل:

ما الذي أبقى هؤلاء إلى الأخير مع مسلم عليه السلام أهو الطمع؟ وبماذا
يطمع هؤلاء مع قائد قد انفصّ عنه أنصاره، وبقي وحيداً غريباً
لا يدري أين يذهب؟! وإلى أين يأوي؟!

أم هو الخوف من عار الانصراف عنه بعد مبايعته، لا شجاعة
ولا ثباتاً؟!!

أفلا يعني هذا - في مثل هذا الحد الأدنى - أنّ هؤلاء ممّن يرعى القيم والأخلاق، ويتجافى عن كلّ ما يعود عليه بالذمّ؟!!

وهلّ يحتمل من مثل هؤلاء مع مثل هذا الحفاظ والأخلاقيّة أن يتفرّقوا في بلدهم خفية وفي لحظة غفلة من صاحبهم الوحيد الغريب في أرضهم؟!!

أم أنّ الذي أبقى هؤلاء القلّة مع مسلم ﷺ إلى آخر الأمر هو الشجاعة والإيمان والثبات على البيعة؟!!

وأثمّهم كانوا من صفوة المجاهدين في حركة الثوّار!! تحت راية مسلم ﷺ، ومن صناديد أهل الكوفة؟!!

وهذا هو الحقّ! إذ لا يشكّ ذو دراية وتأمّل أنّ قادة الألوية الأربعة: مسلم بن عوسجة، وأبا ثمامة الصائديّ، وعبد الله بن عزيز الكنديّ، وعبّاس بن جعدة المجدليّ، وأمّثالهم من مثل عبد الله بن حازم البكريّ، ونظرائه كانوا من القلّة التي بقيت مع مسلم ﷺ إلى آخر الأمر، ذلك لأنّ من الممتنع على أخلاقيّة أمثال ابن عوسجة والصائديّ وإخوانهم أن يتخلّوا عن مسلم ﷺ خصوصاً في ساعة العسرة.

إنّ هؤلاء الصفوة من المجاهدين كانوا ممّن اشتهر بالإيمان والإخلاص والشجاعة والثبات، وقد وقّفوا للشهادة في سبيل

الله، فهذا مسلم بن عوسجة، وهذا أبو ثمامة الصائديّ قد وقفا للفوز بالشهادة بين يدي الإمام الحسين ﷺ في كربلاء، وهذا العباس بن جعدة الجدليّ قتله ابن زياد بعد سجن، وهذا عبد الله أو عبيد الله بن حازم البكريّ المنادي بكلمة السرّ: "يا منصور أمت"، ممّن شارك بثورة التّوّابين! وقتل فيها ممّا يوحي أنّه اختفى أو سجن في أعقاب أحداث الكوفة أيام مسلم ﷺ، وقس على ذلك نظراءهم من صفوة المجاهدين في حركة الثّوّار!! تحت راية مسلم بن عقيل ﷺ.

أفهل يعقل أن يتخلّى أمثال هؤلاء عن مسلم ﷺ ساعة العسرة، ويتفرّقوا عنه في لحظة غفلة منه، ويتركوه في الطريق وحيداً غريباً؟!

لا شكّ أنّ التاريخ حينما نقل لنا حادثة تفرّقهم عن مسلم ﷺ كان قد نقلها بظاهرها فقط، أي بطريقة "صورة بلا صوت" كما يعبر عنها في أيّامنا هذه! وذلك لأنّه لم يكن بمقدور التاريخ، وهو يشاهد حركة الحدث من بُعد أن ينقل إلينا ما دار من حوار بين مسلم ﷺ ومن بقي معه إلى آخر الأمر.

إنّ التاريخ لا يسجّل الهمس والسرار! وإنّ ما يطمئنّ إليه المتنبّع والمتأمل هو أنّ مسلماً ﷺ اتفق مع هذه الصفوة على

التفرّق فرادى، والاختفاء تربّصاً بسنوح الفرصة للالتحاق
بركب الإمام الحسين عليه السلام القادم إلى العراق لمواصلة الجهاد بين
يديه، فلم يكن تفرّقهم عن مسلم عليه السلام إلا بأمره وإذنه، وعن
امثال لأمره!

هذا ما يفرضه تصوّر السليم والتحليل الصحيح على أساس
منطق الواقع وطبيعة الأشياء»^(١).

الاحتمال الثامن: بقاؤهم مع المولى الغريب عليه السلام كحرس

أن يكون بعض الخلّص الذين عبّر عنهم المؤرّخ: «ثلاثين رجلاً» أو
«عشرة رجال» قد تفرّقوا عنه كمجموعة محيطة بالبطل الهاشمي، غير
أنهم لم يفارقوه بعيداً، وإنما تفرّقوا منتشرين حوله كهيئة الحرس، أو
الحماية المخفية، فهم يرقبون ما يجري عليه من بعيد حتّى أبلغوه مأمنه
في بيت الحزّة المؤمنة طوعة، وكان الليل قد أرخى سدوله وأغرق الظلام
أرجاء الكوفة، ومّا لا شكّ فيه أنّه بعد أن دخل بيت طوعة انتفى أيّ
احتمال لوقوع المداهمة وقيام الحرب على ساق في ظلمة الليل البهيم،
لانشغال عسكريين زياد بالناس وتفرّقهم، وملاحقة الشيعة وتتبع مراكز
تجمّع المقاتلين وهم كثر من جهة، وخوفهم الشديد من البطل الهاشمي

(١) مع الركب الحسيني: ٣ / ١٤٠ - ١٤٣.

وهم يعرفون صولته وشجاعته وقوته وتسلّطه في ميادين القتال، سيّما أنّ الليل قد فرض عليهم موقفاً لعلّهم لم يرغبوا فيه بتاتاً حيث أنّ القتال في الليل لم يكن معهوداً والحرب إنّما تقوم على المصاولة والتسديد المباشر وتعتمد الرؤية القريبة.

وحينئذٍ أبلغ الرهط رئيسهم إلى مأمن وتركوه هناك حتّى الصباح ليلتحقوا به، فعاجل الجرو المسعور ابن زياد القوم وداهم المقرّ الجديد قبل أن تبرز شمس النهار.

بل لا يستبعد - فرضاً - أن يكون بعض الخلّص من الشيعة قد باتوا محيطين بالدار متنكرين، كما لو كانوا من عسكرا بن زياد أو جند الكوفة أو اتخذوا كميناً في المناطق المجاورة لحماية كبير آل عقيل وسفير سيّد شباب أهل الجنتّة عليه السلام ولم يألوا جهداً في الدفاع عنه، وقاوموا في بداية المداهمة وأوّل لحظات قيام الحرب، ثمّ قُتلوا، وقد أغفلهم الراوي وأعرض عنهم المؤرّخ كما هو عادته في كثير من الأحيان، وليس هذا في كتب التاريخ وسلوك المؤرّخين بعزیز.

الاحتمال التاسع: التوقّف في أصل القصة

ثمّة بعض المصادر روت لنا خبراً يختلف تماماً عمّا هو المشهور المتعارف، وهي صنفان:

الصنف الأول: قتال حتى الأسر

روى ابن قتيبة في الإمامة والسياسة قال:

«وأرسل جماعة إلى مسلم بن عقيل، فخرج عليهم بسيفه، فما زال يقاتلهم حتى أخرج وأسر»^(١)..

وروى اليعقوبي في التاريخ قال:

«ووجه - أي ابن زياد - بالشرط يطلبون مسلماً، وخرج وأصحابه، وهو لا يشك في وفاء القوم، وصحة نياتهم! فقاتل عبيد الله، فأخذه، فقتله عبيد الله، وجربرجله في السوق وقتل هاني بن عروة لنزول مسلم منزله وإعانتته إياه»^(٢)..
ولا يخفى ما لهذين المصدرين من قدم وثقل عند ذوي الاختصاص.

ومفاد هذين الخبرين أن المولى الغريب عليه السلام قد قاتل سواء وحده أم بمن ثبت معه حتى أسر.

وإن كان لفظ كلا العبارتين للتعبير عن القتال جاء بصيغة المفرد: «فما زال يقاتلهم حتى أخرج وأسر»، «فقاتل عبيد الله، فأخذه»، وفي

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ٢ / ٩.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٢٤٣.

ذلك إشارة إلى وقوع القتال بين شخص المولى الغريب عليه السلام وبين
عساكر ابن الأئمة الفاجرة، إذ كان هو وحده المطلوب.
وكيف كان! فإنّ المشهد ينفي أن يكون المولى الغريب عليه السلام قد بقي
وحده، وتركه الخلّص من أصحابه بالصورة المعهودة!

الصنف الثاني: الهروب قبل القتال!!

في المقتل المشهور لأبي مخنف:

إنّ مسلماً عليه السلام هرب بمجرد أنّه سمع بخبر قتل هاني! قال:
«فلما سمع مسلم بن عقيل قتل هاني خرج من داره التي كان
فيها يخرق الشوارع حتّى خرج من الكوفة وأتى الحيرة وجعل
يدور فيها حتّى بلغ داراً عالية البنيان - يعني دار طوعة - ...
وكذا في المنتخب للطريحي:

«... لما وصل خبر هاني إلى مسلم خرج من الدار هارباً حتّى
انتهى إلى الحيرة فأضافته امرأة هناك» (١) ...

بغض النظر عن المناقشة فيهما كما سيأتي إن شاء الله (٢)، فإنّ
الخبرين يحكيان خروج المولى الغريب عليه السلام من الكوفة، ولم ينتظر أحداً
ليتركه ذلك الأحد فيما بعد!!

(١) المنتخب للطريحي: ٢ / ٤٢٥.

(٢) انظر: «مسلم بن عقيل عليه السلام معركة القصر».

الموقف الثاني: موقف الغوغاء والخونة

قسّمتنا المجتمع الكوفيّ يومذاك إلى شرائح ومجاميع تكاد تحصر الناس جميعاً، ودرسنا مواقفهم بالتفصيل في دراستنا عن «معركة القصر»، فمن أحبّ التفصيل فليراجع هناك.

وخلاصة القول فيهم: أنّ الأكثرية الكاثرة التي كانت تمثّل سكّان الكوفة يومذاك كانت في الصّفّ المقابل والجهة المعادية، إذ كانت متعلّقة بذنب القرد الأمويّ ومسلوكة في شعراته، فهم بين من لم يكتب ولم يبايع، وبين من كاتب ولم يبايع، وبين من بايع وخذل قبل النداء، ومن بايع وخذل بعد النداء، وهكذا ...

الموقف الثالث: موقف الجرو المسعور

ابن زياد وأعدائه

مرّ معنا بيان موقف الدعيّ ابن الدعيّ أثناء دراستنا لمعركة القصر، وسنأتي على الباقي في دراسات لاحقة إن شاء الله. ونختصر القول هنا بكلمة:

إنّ الجبان الرعديد قد انجحرفي قصره، حتّى إذا سكنت الأجراس وخذت الأنفاس، خرج مرّة أخرى يزبد ويرعد، ويتهدّد ويتوعّد، وترك السبيل مفتوحاً لجلالوزته وأذنا به يعيشون في الكوفة فساداً وينشرون الخوف والرعب، ويدهمون الدور ويعتقلون، بحجّة البحث عن المولى الغريب عليه السلام، والحال أنّنا نكاد نطمئنّ أنّه كان عالماً بمكانه وفق

المعطيات التاريخية، ومجريات الأحداث، وحركة الشارع يومذاك، غير أنه كان يمهّد لتجيش الرعاع والأنذال للخروج إلى كربلاء، وقتال سيد الشهداء عليه السلام.

الموقف الرابع: موقف المولى مسلم بن عقيل عليه السلام

قبل الدخول في استكشاف موقف المولى الغريب عليه السلام، سنذكر بعض اللفتات المهمة المؤثرة في البحث:

اللفتة الأولى: النهاية المريبة

إنّ الخبر المشهور الذي يسجّل لنا أحداث هذه الساعة، يثير الكثير من التساؤل والحيرة عند القارئ للتاريخ تكاد تنتهي به إلى الذهول أو الريبة، من قبيل الثغرات المذكورة أول البحث، والغيمة التي تظلل موقف الأنصار المخلصين، والنهاية العجيبة لحركة المولى الغريب عليه السلام. وقد مرّت المناقشات والثغرات التي تتخلّل الخبر، بحيث تجعله يوشك أن لا يستقيم على قدم.

ولولا كراهة مخالفة مشهور الشيعة، لانحزنا إلى خرابن قتيبة في

الإمامة والسياسة واليعقوبي في تاريخه المذكور آنفاً بعد التهذيب والتشذيب إن احتاج إلى ذاك ليوافق ما نعتقده في مولانا الغريب عليه السلام وأنصاره، فيختصر الحدث في أن الحبيث ابن زياد كان يعلم بمكان البطل الهاشمي ثم أرسل له جيشه وشرطته فقاتل معه بعض الأفياء فقتلوا ورزقوا الشهادة، ثم مضى البطل الهاشمي في القتال حتى الأسر، ونستغني بذلك عن تجشم ما روته بعض المصادر من قصص تضطر القارئ أن يختر عقله حتى يستسلم لها، وقد رأينا أن بعض المصادر المتقدمة المعتمدة تتجاوز هذا الحدث بشكل من الأشكال.

اللمعة الثانية: رفض أيّ تصوير لا يناسب المولى عليه السلام

قبل أن ندخل في بيان المشاهد التي صورها لنا المؤرخون ينبغي التنويه إلى أمر مهم غاية الأهمية، وهو:

إنّ أيّ تصوير أو مشهد يعبر عن المولى الغريب مسلم بن عقيل تعبيراً لا يليق به، أو يمس ساحة قدسه وجلاله، أو يخرج عن حدود رعاية الأدب معه، فهو تصوير باطل زائف مردود مرفوض لا يقام له وزن ولا يلتفت إليه، وهو أهون من اعتباره قولاً، وأحق من التعبير عنه بالمشهد والموقف للمولى عليه السلام، وإذا اضطررنا أثناء البحث إلى استعمال مثل هذه العناوين فمن باب الاضطرار، ونستغفر الله منه، لأننا نريد أن نستكشف الموقف الحق بإذن الله تعالى، فلا مناص من الإشارة إلى

الباطل ليعرف الحق.

فما ورد في ألفاظ المؤرخين عند بيان الساعة الأخيرة لمولانا المعظم من قبيل «التحير» و«التلدد» وأنه كان لا يدري ما يفعل، كلّها ألفاظ باهتة باردة سخيفة زائفة محوقة لا تعبّر عن موقف البطل الهاشمي عليه السلام، وإنما تعبّر عن تصوّر الراوي أو المؤرخ ليس إلا.

اللمعة الثالثة: الباب الذي خرج منه المولى الغريب عليه السلام

اتّفقت المصادر التي روت خروجه عليه السلام من المسجد الأعظم أنه عليه السلام توجه إلى باب كندة وخرج منها.

ومن الواضح أنّ المسجد الأعظم في الكوفة كانت له أبواب كثيرة شارعة من جوانبه، فلماذا اختار المولى الغريب عليه السلام أبواب كندة دون سواها من الأبواب؟

كانت مراد وأحلافها من كندة تسكن في جهة واحدة من الكوفة (١)، فكان خروج المولى عليه السلام من الباب الذي دخل منه، حيث جاء إلى المسجد من جهة مراد التي كان يسكنها.

وباب كندة تقع في طرف يمين المسجد من جهة الغرب، وأقرب ما

(١) انظر للتفصيل: «الكوفة بين العمق التاريخي والتطور العملي للأستاذ حسن الحكيم».

يكون من الزاوية الغربية بياوانين^(١).

غير أنَّ الراوي أغفل عن ذكر مورده وأكد على مصدره، ليفرض على المتلقي ما يريد تسريبه بعد قليل من مجارة الحدث إذ يصف المولى عليه السلام - وحاشاه - بأنه كان حائراً متلذداً لا يدري ما يفعل؟ وأين يذهب؟ وإلى أين يصير!

أمّا إذا عرفنا أنه خرج بنفس الاتجاه الذي جاء منه، واختار للخروج من المسجد نفس الباب الذي دخل منه دون غيره من الأبواب المتعددة، نعرف أنه كان قاصداً في حركته، متوجّهاً إلى جهة خاصّة، وأنّ الأمر ليس كما يصوّره.

اللفتة الرابعة: دلالات صلاة البطل الهاشمي مسلم بن عقيل عليه السلام في المسجد الأعظم

اتفق الكثير من المؤرّخين على أنّ المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام صلّى صلاته الأخيرة في المسجد الأعظم جماعة. وفي ذلك دلالات ومؤشرات مهمّة وقويّة:

الدلالة الأولى: السيطرة على الوضع الاجتماعي

الصلاة في المسجد الأعظم من شؤون الوالي أو الحاكم في البلد

(١) انظر: تاريخ الكوفة للبراق: ٥٨.

وفق العرف السائد يوم ذاك، بل ربما كان هذا العرف قائماً إلى يومنا هذا.

وقد أدّى المولى مسلم بن عقيل عليه السلام صلاة المغرب وفي بعض الأخبار - كما روى الدينوري - صلاة العشاء في المسجد الأعظم، وهذا يعني أنّ المولى الشجاع كان هو المسيطر على الوضع الاجتماعي إلى تلك الساعة.

ويشهد لذلك ما رواه الطبري عن محمد بن بشر الهمداني، قال: «لما ضرب عبيد الله هائناً وحبسه خشي أن يثب الناس به، فخرج فصعد المنبر ومعه أشرف الناس وشرطه وحشمه» ... وبعد أن روى خطبته قال:

«ثمّ ذهب لينزل، فما نزل عن المنبر حتّى دخلت النظارة المسجد من قبل التمارين يشتدون ويقولون: قد جاء ابن عقيل! قد جاء ابن عقيل! فدخل عبيد الله القصر مسرعاً، وأغلق أبوابه» (١).

وهذا يعني أنّ الحبان سلّم مركز قيادته للمولى بمجرد أن أرجف به النظارة وأخبروه بتقدّم الليث الطالبيّ مسلم عليه السلام، واكتفى بمجيء «ابن

عقيل» سواء كان مفرداً أو مع الجموع، فإنهم ما زادوا عن الإخبار عن شخص حفيد أبي طالب عليه السلام فقط:

«قد جاء ابن عقيل! قد جاء ابن عقيل! فدخل عبيد الله القصر مسرعاً، وأغلق أبوابه».

الدلالة الثانية: خلّو المسجد من جردان السقيفة

يلزم أن يكون المسجد خالياً من أذنان ابن زياد وعساكر السقيفة الذين كانوا يحاربون المولى عليه السلام ولو كان منهم أحد لانقضّ عليه وقتله وهو في الصلاة تماماً كما فعلوا بعمّه أمير المؤمنين عليه السلام.

وبناءً على الخبر المشهور كان المسجد خالياً من الناس إلا من الأفراد المعدودين الذين صلى بهم المولى مسلم بن عقيل عليه السلام.

الدلالة الثالثة: جبن الجرو الممطور ابن زياد وجرذانه

أفادت الأخبار أنّ العدد الذي صلى بهم المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام يتراوح بين الثلاثين والخمسين في أقصى التقادير كما في إحدى روايات الطبري، وسواء كان المسجد خالياً إلا منهم كما هو مفاد الأخبار أو كان غيرهم موجود معهم من أتباع ذنب القرد الأمويّ أو المذبذبين والخونة وغيرهم.

والمفروض أنّ قصر الخبال كان مطلاً على المسجد الأعظم كما تفيد

الأخبار التي تحدّثت عن كلام القوم مع المجتمعين وكما هو لائح إلى اليوم.

وبالرغم من قلة من بقي مع المولى العظيم، وحسب بعض الأخبار وحدته في المسجد، فإنّ ابن الأمة الفاجرة ابن زياد وحشراته لم يجرؤوا على النزول أو محاولة الالتحام بالقتال مع البطل الهاشمي - هذا كلّ حسب الأخبار المشهورة في كتب التاريخ -.

بل أفادت أن الجبان الرعديد ابن زياد أمر بشعل النيران أن تدلّى لاستكشاف حنايا المسجد وزواياه قبل أن يخرج.

الدلالة الرابعة: شجاعة الفارس الطالبّي

لقد بقي المولى الطالبّي والبطل الهاشمي كبير آل عقيل في هذا العدد الضئيل، ثمّ صار وحده - وفق الأخبار - والأعداء يحيطون به من كلّ حذب وصوب ويشرفون عليه من أعالي أسوار قصر الخبال وهم في كامل العدة والعدد، والمسجد الأعظم محاط بالذئاب المتوحّشة التي ترتبّص به لتفتّسه، وهو - بأبي وأمي - ثابت الجنان راسخ القدم مطمئنّ أصلب من الجبال الراسيات لا ترعزعه العواصف ولا تفلّ من عزمه زعقات الأعداء، وقف بين يدي ربّه القويّ الجبار العزيز، فأقام الصلاة واثقاً مطمئنّاً لم يلتفت إلى الأعداء ولا إلى الذين تفرّقوا عنه متسلّلين أثناء الصلاة على بعض الأخبار.

الدلالة الخامسة: تكذيب تلدده

إنَّ من يقف للصلاة واثقاً مطمئناً رابط الجأش في سكينته ووقار في
مثل تلك الظروف لا يمشي متلذذاً في السكك والشوارع بأيّ معنى
فسرنا التلدد - كما شرحناه ضمن هذا البحث -.

مشاهد لتصوير موقف المولى

مسلم بن عقيل عليه السلام

المشهد الأول: انتهاء المشهد دون قتال

لقد وردت جملة المتون تذكر انتهاء المشهد دون حصول أي قتال يذكر، ويمكن تقسيم أخبار هذا المشهد إلى قسمين:

القسم الأول: قرار الرجوع بعد تخاذل القوم قبل أن يبقى وحده

تفيد النصوص التي أنهت المشهد سلمياً دون قتال - وهي

الأكثر^(١)، أنَّ المولى الغريب حينما رأى القوم قد تخاذلوا وانجحروا عزم على الانصراف والرجوع.

وقد عبّر كل مؤرّخ عن عزم المولى الغريب عليه السلام على الرجوع بما أوتي من ألفاظ أو قدرة على التعبير، أو بما يناسب مراده ومرامه في تصوير المشهد، فربما استخدم ألفاظاً تفيد صراحة أو ما يقارب الصراحة، أو استخدم ألفاظاً تشير بوضوح إلى هذا المشهد بعد أن يكون ذهن القارئ قد فهم أصل التصوير.

قال ابن حبان:

«... ثمّ ركب مسلم بن عقيل في ثلاثة آلاف فارس يريد عبيد الله بن زياد، فلمّا قرب من قصر عبيد الله نظر، فإذا معه مقدار ثلاثمائة فارس، فوقف يلتفت يمنة ويسرة، فإذا أصحابه يتخلّفون عنه حتّى بقي معه عشرة أنفس.

فقال: يا سبحان الله! غزنا هؤلاء بكتبهم، ثمّ أسلمونا إلى أعدائنا هكذا، فوالى راجعاً»^(٢)...

وقال الدينوري:

(١) انظر: «مسلم بن عقيل عليه السلام معركة القصر».

(٢) الثقات لابن حبان: ٢ / ٣٠٨.

«فلما سمع أصحاب مسلم مقاتلهم فتراها بعض الفتور.
 وكان الرجل من أهل الكوفة يأتي ابنه، وأخاه، وابن عمه
 فيقول: انصرف، فإن الناس يكفونك، وتجيء المرأة إلى ابنها
 وزوجها وأخيها فتتعلق به حتى يرجع، فصلّى مسلم العشاء في
 المسجد وما معه إلا زهاء ثلاثين رجلاً، فلما رأى ذلك مضى
 منصرفاً ماشياً، ومشوا معه، فأخذ نحو كندة، فلما مضى قليلاً
 التفت، فلم يرمهم أحداً، ولم يصب إنساناً يدلّه على الطريق،
 فضى هائماً على وجهه في ظلمة الليل حتى دخل على
 كندة» (١) ...

يلاحظ أنّ المصدرين صرّح أحدهما بالعزم على الرجوع، والآخر
 بالعزم على الانصراف.

* * * * *

وربما لم تصرّح بعض المصادر بلفظ الرجوع والانصراف، ولكنّها
 تفيد أنّه عليه السلام قد رأى تحاذل القوم وانكشافهم عنه فخرج متوجّهاً إلى
 أبواب كندة، وترتيب الخروج على رؤية الوضع يفيد ذلك بوضوح..
 قال البلاذري:

«... فتفرّق أصحاب ابن عقيل عنه، حتّى أمسى، وما معه إلّا نحو من ثلاثين رجلاً، فلمّا رأى ذلك خرج متوجّهاً نحو أبواب الكندة، وتفرّق عنه الباقيون حتّى بقي وحده يتلذّد في أزقة الكوفة، ليس معه أحد» (١) ...

الطبري في إحدى رواياته:

«فما زالوا يتفرّقون ويتصدّعون حتّى أمسى ابن عقيل وما معه ثلاثون نفساً في المسجد، حتّى صليت المغرب، فما صلي مع ابن عقيل إلّا ثلاثون نفساً.

فلمّا رأى أنّه قد أمسى، وليس معه إلّا أولئك نفر خرج متوجّهاً نحو أبواب كندة، وبلغ الأبواب ومعه منهم عشرة، ثمّ خرج من الباب وإذا ليس معه إنسان (٢)، والتفت، فإذا هو لا يحسّ أحداً يدلّه على الطريق، ولا يدلّه على منزل ولا يواسيه بنفسه إن عرض له عدوّ» (٣) ..

وقال المسعودي:

(١) جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٣٣٨، أنساب الأشراف: ٢ / ٨١.

(٢) أبو الفرج، مقاتل الطالبين: ٦٦ - ٦٧.

(٣) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٦٨ - ٣٧١.

«فسار إلى ابن زياد، فتحصّن منه، فحصره في القصر، فلم
يس مسلم ومعه غير مائة رجل.

فلما نظر إلى الناس يتفرّقون عنه، سار نحو أبواب كنده، فلما بلغ
الباب إلّا ومعه منهم ثلاثة، ثمّ خرج من الباب، فإذا ليس
معه منهم أحد، فبقي حائراً لا يدري أين يذهب، ولا يجد أحداً
يدلّه على الطريق، فنزل عن فرسه ومشى متلّدداً في أزقة
الكوفة لا يدري أين يتوجّه» (١).

وقال ابن الأثير:

«فما زالوا يتفرّقون حتّى بقي ابن عقيل في المسجد في ثلاثين
رجلاً.

فلما رأى ذلك خرج متوجّهاً نحو أبواب كنده، فلما خرج من
الباب لم يبق معه أحد» (٢) ...

* * * * *

هذه النصوص بشقيها الصريح منها والمشير إلى الحدث، وبغضّ
النظر عن طريقة التعبير التي تجاوزت أحياناً حدود الأدب مع البطل

(١) مروج الذهب للمسعودي: ٣ / ٦٧.

(٢) الكامل لابن الأثير: ٣ / ٢٧١ - ٢٧٢، نفس المهموم للقمي: ١٠٥ - ١٠٦.

الهاشمي والأسد العقيلي، إلا أنها تفيد جميعاً مضموناً واحداً يتلخّص في أنّ المولى الغريب عليه السلام رأى تخاذل الناس قد تحقّق، بعد أن أصحر الناس عن نيّاتهم وكشفوا حقائقهم وتفرّقوا عنه، من غير عجب منه إذ أنّه لم يتفاجئ بذلك ^(١)، فعزم على الخروج في حين كان معه جماعة يتراوح عددهم بين العشرة والثلاثين، عدا ما انفرد به المسعودي حيث قال:

«فلم يمس مسلم ومعه غير مائة رجل، فلمّا نظر إلى الناس يتفرّقون عنه، سار نحو أبواب كندة، فما بلغ الباب إلا ومعه منهم ثلاثة...».

النتيجة:

يمكن استخلاص عدّة نتائج ممّا ذكرناه من النصوص:

النتيجة الأولى:

يبدو واضحاً من النصوص المذكورة آنفاً أنّ المولى كان عالماً عارفاً عازماً على ما فعل، قد قرّر الخروج لما رأى من تخاذل الناس، وكان خروجه مبادرة منه، وليس عملاً مفروضاً عليه، فعله مجبراً، وخرج لا يدري أين يذهب ولا ما يفعل، وإنّما كان قراراً متّخذاً، وعزماً واعياً

(١) انظر للتفصيل: «مسلم بن عقيل عليه السلام معركة القصر».

مَحْكًا حَازِقًا.

النتيجة الثانية:

لا يقال: كيف ترك المولى عليه السلام الميدان وعزم على الخروج، فإنَّ لخروجه مسوَّغات يمكن أن نجملها فيما يلي:

المسوَّغ الأول: سفير وليس ثائراً

درسنا في رسالة مستقلة مهمّة المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام وعرفنا هناك أنّه عليه السلام كان سفيراً ولم يكن ثائراً، ولم تكن الثورة والقتال من همّه ولا مهمّته.

أضف إلى أنّ الابتداء بالقتال والحرب ليس من أدب أهل البيت عليهم السلام ولا سننهم وسلوكياتهم.

فهو لم يكن مقاتلاً حتّى يصدق عليه - والعياذ بالله - أنّه ترك ساحة القتال وخرج مع وجود بعض الأعوان - حسب اختلاف عددهم في المصادر - بين العشرة والثلاثين، إذ لو كان وحده في ميدان قتال لما ترك الميدان وولّى الدبر حتّى يأخذ منهم ثأره قبل أن يقتل.. تماماً كما فعل في الحرب الأخيرة.

خرج في الناس بعد أن نادى فيهم، فتفرّقوا عنه، وبقي في ثلّة قليلة جدّاً، فعزم المولى على الرجوع، وبالفعل رجع!

المسوّغ الثاني: نهاية المشهد المفروضة

إنّما يستكشف الموقف هنا من خلال نصوص المشهد نفسه التي نصّت جميعها على تفرّق الجمع دون قتال ومصادمات، فمن الطبيعي جداً أن يعزم المولى الغريب عليه السلام على الرجوع والخروج حينما يتفرّق الجمع، لأنّه قد صلّى في المسجد، وهبط الظلام وأرعى الليل سدوله، وليس في المسجد - حسب أخبار المشهد - أحد، فلماذا يبقى المولى الغريب عليه السلام في المسجد وحده أو مع هؤلاء العشرة أو الثلاثين؟!

لا قتال حتّى يقاتل، ولا عسكر عنده حتّى يدير شؤونه، ولا ناس حتّى يحشّدهم ويحشّهم ويخطبهم ويدير أمرهم، ولا عدوّ - حسب مصادر المشهد - حتّى يتربّص به ويحاربه ولو وحده، أو يحاججه، فما يصنع في المسجد إذا بقي فيه وحده أو مع من بقي معه؟!

أليس هذا هو الموقف الطبيعيّ والبدهيّ الذي ينبغي أن يكون؟ وإن لم يكن، فما هو البديل؟ هل يبات المولى عليه السلام في المسجد وحده أو بمن معه من الثلّة المتبقّية؟ أو أنّه يخرج ويسلك الطريق الذي دخل منه إلى المسجد؟ وهذا هو ما فعله المولى الحكيم عليه السلام.

المسوّغ الثالث: خلوّ الميدان

تفيد نصوص المشهد أنّ الناس الذين كانوا قد خرجوا لنداء المولى الغريب عليه السلام قد تفرّقوا وانصرف كلّ واحد منهم إلى شأنه تحت وطأة أيّ

سبب من أسباب التخذيل ومواده (١).

وتفيد أيضاً أنّ العدو لم يسجل حضوراً في تلك الساعة، إذ لم تشر النصوص إلى وجود عسكر العدو.

وبعبارة مختصرة: تفيد النصوص خلوّ الميدان والمسجد والرحبة من الناس، وكأنّ تلك البقعة لم يكن فيها دياراً، فإذا كان الأمر كذلك، فمن الطبيعي أن يترك المولى عليه السلام تلك الساحة، ويخرج من ذلك الموقع.

المسوّغ الرابع: معنى من يدلّه على الطريق

أن يقال: إنّ ما ورد من تعبير على لسان المؤرخين تشير إلى أنّ المولى الغريب عليه السلام لم يجد من يدلّه على الطريق أو يدلّه على منزل، وربما حتّى تعبير «يدلّه على منزله»، كلّها كناية عن وحدته وغدر الناس وتحاذلهم عنه، بمعنى أنّه بقي وحده بحيث لو كان يحتاج إلى من يدلّه على الطريق، أو من يدلّه على منزل لم يجده، ولم يكن في أولئك الأشرار من تحمله حميّة، أو تستجيشه مشاعره ونخوته، فينهض لاستضافة البطل الغريب حتّى لو لم تلزمه بيعة، فيلزمه الذمار والذمّة والحفاظ والغيرة.

فهو في الحقيقة تصوير لخذلان الناس وخمود الأخلاق عندهم،

(١) انظر للتفصيل: «مسلم بن عقيل عليه السلام معركة القصر».

وتحلّ لهم عن أدبيّاتهم التي كانوا يزعمون أنّهم يرعونها بحكم جبلّتهم
وتربيتهم ونواميسهم الاجتماعيّة، وليس تصويراً لموقف المولى
الغريب ؑ.

أجل! تسوّغ هذه الصياغة إذا احتملت العبارة التفسير بهذا المعنى،
وصار مؤدّاها يكشف عن طباع المتخاذلين، ويعبر عن مظلوميّة سفير
الحسين ؑ، ويخلو الخبر ممّا يمنع من قبوله، من هذا الحيث.

النتيجة الثالثة:

هذا المشهد يؤكّد ما ذكرناه في الاحتمال السابع، من بقاء هؤلاء
القوم معه حتّى أمرهم المولى ؑ بالتفرّق عنه، فالمشهد يصوّر اتّخاذ
المولى قرار الخروج في حين كان هؤلاء معه، ثمّ تفرّقوا عنه!

النتيجة الرابعة:

إنّ المولى ؑ عزم على الخروج وترك الميدان عن علم، كما ذكرنا،
فهو قد أسمع الزمن وأفهم كلّ ذي بصيرة أنّ خروجه قد حقّق أغراضه
بأيّ دافع كان من الدوافع المذكورة في بحثنا عن معركة القصر، حيث
انكشفت نوايا القوم وإعراضهم عن كتبهم بالخذلان والتخليّ عن الحقّ
في ساعة العسرة، وتنكّرهم للقيم والعهود والمواثيق والبيعة، ويؤكّد ذلك
أيضاً ما نقله ابن حبان عنه ؑ.

القسم الثاني: قرار التوجّه إلى بيت طوعة بعد أن بقي وحيداً

ربما اشتركت أخبار هذا القسم بأخبار القسم الماضي في الكثير ممّا استفدناه هناك، والفرق الأساسيّ بينها أنّ في أخبار هذا القسم يبقى المولى الغريب عليه السلام وحيداً، ثمّ يتوجّه إلى باب دار طوعة، فتكون المسوّغات المذكورة في القسم الأوّل أبلغ هنا وأعمق تأثيراً.

وهذه الأخبار لا تفترض بقاء أحد مع المولى الغريب عليه السلام ولا تذكر العشرة أو الثلاثين الذين بقوا معه إلى باب المسجد! كما أنّها لا تشير إلى الخروج من المسجد وكأنّها تسجّل الحدث في الطرقات!

قال الطبري:

«.. فجعل أصحاب مسلم يتسلّلون حتّى أمسى في خمسمائة، فلمّا اختلط الظلام ذهب أولئك أيضاً، فلمّا رأى مسلم أنّه قد بقي وحده يتردّد في الطرق أتى باباً فنزل عليه، فخرجت إليه امرأة» (١).

وقال ابن الجوزي:

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٠، الأمالي للشجري: ١ / ١٩١؛ تهذيب الكمال للمزي:

٦ / ٤٢٦، تهذيب التهذيب لابن حجر: ٢ / ٣٥١.

«وجعلوا يكلمونهم، ففترّق من كان مع مسلم، وتسلّلوا عنه،
ودهمه الليل، وقد بقي وحده، فجاء إلى باب، فجلس عليه
فجاءته امرأة أو خرجت إليه» (١) ..

المشهد الثاني: خرج إلى دار طوعة متسلّلاً

قد يقال: إنّه عليه السلام قد خرج إلى منزله أو إلى دار طوعة بالخصوص
على غفلة من عيون الظالمين سالكاً بين مئات المقاتلين دون أن
يعرفونه، فدخل الأزقة، ولم يتلذّد خوفاً أو فرقاً، وإنما بحثاً عن البيت
الذي يريده - وهو بيت طوعة - أو يقال: أنّ قصّة التلذّد من زيادات
المغرضين، فوصل دار طوعة، وحلّ عندها ضيفاً بعد أن عرفته.

مناقشة المشهد:

يمكن أن يناقش هذا المشهد بالمناقشات التالية:

أولاً:

لم نجد لهذا الفرض ما يؤيّده أو يشير إليه في المتون التاريخية
حسب فحصنا، ويمكن الاكتفاء بالشواهد لو حصلت، بيد أنّها لم
تصل إلى حين تحرير هذه الأوراق.

(١) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ١٣٨، ١٤٠.

ثانياً:

إذا كان خروجه متسللاً كيف رصده الرواي، ونقل لنا ما جرى عليه؟ ثم كيف يمكن لبطل ضرغام وسيف من سيوف آل خير الأنام وهو مثلث بالجراح - كما في بعض النصوص - بسيمائه النير وطلعته الرشيدة وغرته الحميدة وأنواره المشعشة عنه وقسماته المميّزة وهو من أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله وسحنته الحجازية الوضّاء أن ينسل ولا يلتفت إليه أحد من العالمين، وهو المطلوب الأول في الميدان؟!

ثالثاً:

هذا النمط من الخروج لا ينسجم مع شهامة المولى عليه السلام، ويقلب الصورة تماماً، فيكون المولى - والعياذ بالله - هو الذي تخلى عن الناس وتركهم في ساحة السجال والقتال وانصرف عنهم، فبقوا ليس لهم راع ولا قائد.

وهيئات ثم هيئات حتى الممات أن ينسب مثل هذا الموقف للبطل الهاشمي.

وقد ناقشنا ذلك أثناء الحديث عن خبر ابن سعد، الذي قال:

«فهرب».

المشهد الثالث: استمرار القتال إلى بيت طوعة

أن يكون قد استمرَّ المولى عليه السلام بالقتال ولاحقه الأندال، فوصل في صولاته وجولاته ومناوراته إلى دار طوعة، فشجَّعته وناصرته، ثمَّ فتحت له دارها نصرة له، فتركه القوم بعد أن اطمئنَّوا أنَّه قد دخل هذه الدار...

قال الشيخ أسد حيدر رحمته الله في كتابه «مع الحسين عليه السلام في نهضته» تحت عنوان «الحلقة المفقودة» بعد كلام له:

«أجل! أين المخلصون من أنصاره؟ ثمَّ كيف يستطيع مسلم أن يخرج بمفرده وجواسيس ابن زياد تلاحقه، فكيف غفلوا عنه ويخرج سائراً في أزقة الكوفة، ولا يعرفه أحد، حتَّى انتهى به المطاف إلى دار طوعة وأقعده العطش على بابها، فتخرج وتجري بينهما محاورة:

يا رجل ما جلوسك على باب داري؟

أريد شربة ماء!

فتدخل وتأتي بالماء، فيشرب ولم ينصرف، فتخرج إليه وإذا به في مكانه فتقول:

ما جلوسك في باب الدار؟ لا أحلَّ لك ذلك، انصرف لأهلك!

فيقوم مسلم وهو يقول: ليس لي أهل ولا عشيرة.

فتقف المرأة هنا موقف حنان وشهامة فقالت له: من أين أنت؟
فانتسب لها وأضافته تلك الليلة..

وهي قصة طويلة ذكرها المؤرخون، ولا أريد أن أقول أن شخصية «طوعة» هي شخصية وهمية لا وجود لها في مجال هذا العرض التاريخي، كلاً فإن طوعة لها ضلع في هذه الحركة ومشاركتها مع أهل الكوفة في تهيئة جو السخط ضد الأمويين، ولكن الإطار الذي برزت فيه صورتها في هذا الحادث هو غير إطارها الواقعي، ويمكن وضعها في غيره، ولكن لا نريد أن نتمحل في الفرضيات والوهميات، فإن طوعة امرأة عربية موالية لآل محمد صلوات الله عليهم شأنها شأن كثير من نساء الكوفة اللواتي أثبت التاريخ مواقفهن الحاسمة في مناصرة أهل البيت عليهم السلام.

ومن الممكن أن يكون وقوع مضايقة مسلم ومن معه من قبل جيش ابن زياد كان في محلة كندة، قرب دار طوعة، فقامت بواجبها من مساندة مسلم وتشجيعه وإعطائه الماء أثناء حملاته» (١).

وبناءً على هذا يكون المولى مسلم بن عقيل عليه السلام ومن معه قد

(١) مع الحسين عليه السلام في نهضته لأسد حيدر: ١١٢.

قاتلوا كلَّ في جبهته حتَّى بلغ المولى الغريب إلى كندة وهو يقاتل،
فناصرته طوعة وجرى لها مع سفير الحسين عليه السلام من موقفها الذي خلّدها
في التاريخ.

بل ربما يفترض أنّ المولى الطالبيّ قد قاتل حتَّى بلغ كندة، فلمّا
وصل وهو يقاتل إلى باب طوعة استضافته وقد جنَّ الليل، فترك القوم
القتال وكأنَّ هدنة وقعت بينهم حتَّى أدركهم الصباح وعادوا إلى الحرب
ثانية.

ويؤيّد احتمال استمرار القتال إلى الليل ما رواه الطبري في تاريخه:
«... وإنَّ ابن الأشعث والقعقاع بن شور وشبث بن ربعيّ
قاتلوا مسلماً وأصحابه عشية سار مسلم إلى قصر ابن زياد
قتالاً شديداً، وأنَّ شبثاً جعل يقول: انتظروا بهم الليل يتفرّقوا،
فقال له القعقاع: إنَّك سدّدت على الناس وجه مصيرهم،
فأفرج لهم ينسربوا» (١).

وقال الطبري في تاريخه أيضاً:

«قال حصين: فحدّثني هلال بن يساف قال: لقيتهم تلك
الليلة في الطريق عند مسجد الأنصار فلم يكونوا يمرّون في

طريق يميناً ولا شمالاً إلا وذهبت منهم طائفة، الثلاثون والأربعون، ونحو ذلك.

قال: فلما بلغ السوق، وهي ليلة مظلمة» (١) ...

وقال ابن نما عليه السلام في مثير الأحزان:

«واقتتلوا قتالاً شديداً إلى أن جاء الليل» (٢) ...

وروى النويري في نهاية الإرب:

«.. وكان فيمن قاتل مسلماً محمداً بن الأشعث وشبث بن

ربيعي - وهو أحد من كتب إلى الحسين - والقعقاع بن شور

وجعل شبث يقول: انتظروا بهم إلى الليل يتفرقوا، فقال له

القعقاع: إنا قد سدّدت عليهم وجه مهر بهم، فافرج لهم

يتفرقوا» (٣).

وقال ابن سعد:

«وبلغ الخبر مسلم بن عقيل، فخرج في نحو من أربعمئة من

الشيعة، فما بلغ القصر إلا وهو في نحو من ستين رجلاً، فغربت

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٩١.

(٢) مثير الأحزان: ٣٤.

(٣) نهاية الإرب: ٢٠ / ٤٠٤.

الشمس، واقتتلوا قريباً من الرحبة، ثم دخلوا المسجد وكثرهم أصحاب عبيد الله بن زياد، وجاء الليل فهرب مسلم حتى دخل على امرأة من كندة يقال لها: طوعة، فاستجار بها! (١).

المشهد الرابع: قصده بيت طوعة

أن يكون قد استمرّ بالقتال معهم وأدار وجهة الحرب بنفسه قاصداً عامداً حتى سلك بالقوم إلى زقاق دار طوعة، لأنه كان عازماً على الوصول إليه، وقد تمّ التخطيط لذلك، وكانت طوعة بانتظاره، ففسّر المؤرّخ وقوفها لانتظار المولى بانتظارها لابنها فقال: إنها كانت تنتظر ولدها، ومن أين عرف المؤرّخ نيتها في الوقوف ولم تصرّح به طوعة ولا ولدها، وكلّ ما شاهده الرواي انتظارها، فنسبه إلى ولدها، وهي في الحقيقة كانت بانتظار المولى.

وكانت طوعة ممّن خفّ مع المولى الغريب مسلم عليه السلام، كما روى الدينوري، وكانت مولاة لبني هاشم، كما نصّ الاسفرائيني في نور العين (٢).

(١) ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من الطبقات لابن سعد: ٦٦، سير أعلام النبلاء

للذهبي عن ابن سعد: ٣ / ٢٩٩.

(٢) بغضّ النظر عن صحّة نسبة الكتاب للاسفرائيني فإنّ الكتاب يعدّ نسخة

قال الدينوري:

«فإذا امرأة قائمة على باب دارها تنتظر ابنها، وكانت ممن خفّ

مع مسلم فأوته وأدخلته بيتها» (١).

فلما وصل إلى دارها وقد جنّ الليل وتعذر القتال في ظلمة الليل

البهيم الذي شهد ابن يساف أنها كانت ليلة مظلمة - كما في الطبري -

دخل دارها وبدخوله وقعت الهدنة حتى الصباح.

وهذا المشهد يحتاج إلى إثباتات وشواهد كافية تدلّ عليه أو تشير

إليه.

المشهد الخامس: ذهب إلى دار طوعة بعد هدنة

أن تكون الحرب قد استمرت حتى قريب المغرب أو العشاء - كما

ذكرنا فيما مرّ من النصوص - فلما صلى المولى الغريب عليه السلام في مسجد

الكوفة وقعت بين الطرفين هدنة فرضها الليل والظلام، فصرف

المولى عليه السلام أصحابه المتبقّين معه وتوجّه نحو بيت طوعة.

قال ابن أعثم في الفتوح:

«ثمّ جعل القوم يتسلّلون والنهار يمضي، فما غابت الشمس

قديمة.

حتى بقي مسلم بن عقيل في عشرة أفراس من أصحابه لا أقلّ ولا أكثر، واختلط الظلام، فدخل مسلم بن عقيل المسجد الأعظم ليصلي المغرب وتفرّق عنه العشرة، فلمّا رأى ذلك استوى على فرسه ومضى في بعض أزقة الكوفة، وقد أنخن بالجراحات حتى صار إلى دار امرأة يقال لها: طوعة» (١).

ينتهي المشهد بعد القتال حين تغيب الشمس، ويختلط الظلام، فیدخل المولى عليه السلام إلى المسجد ليصلي، ثم يخرج حتى يصير إلى دار طوعة.

المشهد السادس: طوعة هي التي دعتة

هذا المشهد ينسجم مع فرض عدم وقوع القتال كما ينسجم مع فرض وقوعه، فعلى كلّ تقدير، حينما بقي المولى الغريب عليه السلام وحيداً، وقد دهمه الليل، فربما جلس - فداه روعي - ليستريح فجاءته طوعة، فطلب منها الماء، وكان من الطبيعي أن تفتش عنه وتسأله، في تلك الليلة الرهيبة، وهي ترى رجلاً تجلّله أنوار السماء ويحفّه بهاء العظماء، وتشرق من جبينه أضواء العترة النبوية الطاهرة، وهو متعب البدن، غير أنه قويّ متماسك رغم ما جرى عليه، ثابت الجنان راسخ القدم، لا

(١) الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٥٠.

يعتريه خوف في زمن عزّ فيه الشجعان وهرب الفتيان وفرغت من
الطرق.

غريب غير فَرَقٍ.. لا يستفزّه الناس ولا تخيّبه الغربة! وحيد غير
مستوحش! مطلوب لا يفتر ولا يهرب! انماث الناس عنه وهو صلب يملؤه
الإيمان رصانة ومثانة وثباتاً! تهاوت تحت وطأته وإرادته الإرادات، يتفجّر
العزم والهمّة من جوانبه في وقت خاف العزم أن ينقرض في الكوفة،
فكأنّ العزم والهمم ارتعشت ولجأت إليه.. من هذا الغريب الذي صار
هو الوحيد صاحب الأرض، وصار الناس في الكوفة يومها كلّهم
غرباء؟!

فسألته: من أنت؟ بعد أن رَوّت كبده الحرّى، وسقته ماءً!

فأخبرها وقال لها: أنا مسلم بن عقيل!

روى سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواصّ قال:

«.. ودهمه الليل، وقد بقي وحده، فجاء إلى باب فجلس

عليه، فجاءته امرأة أو خرجت إليه، فقال لها: يا أمة الله!

اسقيني ماءً، فسقته، وقالت: من أنت؟ فقال: أنا مسلم بن

عقيل، فقالت: ادخل، فدخل.

فلما أخبرها أنّه مسلم بن عقيل قالت له: ادخل، فدخل»..

فإذا أضفنا على ما رواه ابن الجوزي ما قرّره الدينوري إذ قال: أنّ

طوعة «كانت مَمَّنْ خَفَّ مع مسلم عليه السلام»، يتأكد هذا المشهد، ويقوّي احتمال أن تكون طوعة مفردة ضمن مجريات الأحداث، وأنها كانت على علم بمجيء المولى عليه السلام عندها بعد انتهاء الحدث، وأنها كانت تنتظره.

وباعتبار أنها امرأة لم تألف الخروج ولم تكن برزة تحضر مجالس الرجال، فهي تعرف المولى بالاسم ولا تعرفه بالهيئة والرسم، فلما أصر لها عن اسمه طبّقت الاسم والصفة على المولى فعرفته وقالت له: ادخل، فدخل.

المشهد السابع: قاتل حتى الأسر

في هذا المشهد صورتان:

الصورة الأولى: رواية الطبري:

في تاريخ الطبري:

«قال حصين: فحدّثني هلال بن يساف قال:

لقيتهم تلك الليلة في الطريق عند مسجد الأنصار، فلم يكونوا يمرّون في طريق يميناً ولا شمالاً إلاّ وذهبت منهم طائفة؛ الثلاثون والأربعون، ونحو ذلك.

قال: فلما بلغ السوق، وهي ليلة مظلمة، ودخلوا المسجد، قيل

لابن زياد: والله ما نرى كثير أحد، ولا نسمع أصوات كثير أحد، فأمر بسقف المسجد فقلع، ثم أمر بجرادي فيها النيران، فجعلوا ينظرون، فإذا قريب خمسين رجلاً.

قال: فنزل فصعد المنبر وقال للناس: تميزوا أرباعاً أرباعاً، فانطلق كل قوم إلى رأس ربهم.

فنهض إليهم قوم يقاتلونهم، فجرح مسلم جراحة ثقيلة، وقتل ناس من أصحابه، وانهزموا، فخرج مسلم فدخل داراً من دور كندة» (١).

فجاء رجل إلى محمد بن الأشعث وهو جالس إلى ابن زياد، فسأره، فقال له: إن مسلماً في دار فلان!

فقال ابن زياد: ما قال لك؟

قال: إن مسلماً في دار فلان.

قال ابن زياد لرجلين: انطلقا فأتياني به، فدخلوا عليه وهو عند امرأة قد أوقدت له النار، فهو يغسل عنه الدماء، فقالا له: انطلق، الأمير يدعوك.

فقال: اعقدا لي عقداً!

فقالا: ما نملك ذلك.

فانطلق معهما حتى أتاه فأمر به، فكتف ثم قال: هيه هيه يا ابن خلية - قال الحسين في حديثه: يا ابن كذا - جئت لتنزع سلطاني! ثم أمر به فضربت عنقه» (١)..

مناقشة الخبر

هذا الخبر فيه مناقشات ومخالفات للمشهور كثيرة:

المناقشة الأولى: كان الخروج في الليل

إنَّ الخروج كان في الليل، قال: «لقيتهم تلك الليلة في الطريق عند مسجد الأنصار... فلما بلغ السوق، وهي ليلة مظلمة..»، وهو مخالف للمشهور، إذ أنَّ المشهور في المصادر أنَّ الخروج كان في النهار، بيد أنَّ بعضها أشار إلى أنَّ القتال استمرَّ إلى الليل، لا أنَّ الخروج كان في الليل.

المناقشة الثانية: حضور الجرو المسعور القتال

إنَّ ابن زياد نزل إلى المسجد وحصل القتال بحضوره، والحال أنَّه كان يخاف النزول، وأمر بجرادي فيها النيران، فجعلوا ينظرون.. ولم نجد

(١) يفيد الخبر استمرار القتال إلى الليل، واستمرار المجموعة الباقية مع مسلم عليه السلام بالقتال دفاعاً عنه.

مصدراً يشهد لحضور ابن زياد في أيّ مواجهة مباشرة مع المولى الغريب وأصحابه.

المنافشة الثالثة: اعتقال المولى الغريب نفس الليلة

إنّهم دخلوا على البطل الهاشمي مسلم بن عقيل عليه السلام نفس الليلة وأخذوه إلى ابن الأمة الفاجرة، فأمر بقتله، فهو أقرب إلى الاعتقال من الأسر في القتال، وفيه مخالفة للمشهور المنعقد على مبيت المولى الغريب عليه السلام ليلة عند طووعة.

المنافشة الرابعة: إباء البطل الهاشمي

نسي الراوي أنّ المولى مسلم بن عقيل بطل من أبطال بني هاشم، أو أنّه جهل ذلك، أو تجاهله لمصلحة اقتضاها..

أجلّس ابن الأمة الفاجرة في ديوانه ويرسل رجلين نكرتين لم يذكرهما التاريخ حتّى بالاسم.. ليلقيا القبض على الغضب الإلهي المصبوب على الكفرة وأبناء الأدعياء؟!

رجلان تافهان مجهولان يقتحمان على الليث الطالبي عرينه ويدعوانه! يدعوانه إلى الدعيّ ابن الدعيّ؟!

المولى مسلم بن عقيل عليه السلام.. الصاعقة التي نزلت على ابن الدعيّ.. الحمم الحارقة التي أرعبت الجبان.. الريح العاصف المهلك

الذي جعل الجرو المطور ابن زياد يرتعش ويهتز ويرتجف ويختفي خلف أسوار القصر.. الموت الأحمر الذي أرق الرعديد وسلب النوم من عينه، وجعله لا يعرف أين يكون الأمان!

المولى مسلم بن عقيل عليه السلام يطلب الأمان من رجلين لا يعرفهما، ولا يعرفهما الراوي والمؤرخ وبقياً في ظلمات المجهولية إلى اليوم؟! يقول لهما: «اعقدا لي عقداً»؟! فيقولان: «لا نملك ذاك»!

فينطلق معهما مسلم بن عقيل عليه السلام!!

أوليس مسلم حفيد أبي طالب سفير الحسين عليه السلام وابن عمه وأخاه؟ وقول إمامه عليه السلام ملء سمعه وقلبه: «والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أفر [أقر] فرار [إقرار] العبيد»؟!

المولى مسلم بن عقيل الذي نشر المنية في الكوفة نثراً، وأذاقهم الموت كأساً مصبرة مراً، وجعل النوائح النادبات تجوب الكوفة، فلا يفتري لها أنين ولا يهدأ لها صراخ وعويل ورنين! يطلب عقداً باهتاً كليلاً تافهاً بائساً من رجلين أفرزتهما الكوفة التي خذلته وتنكرت للبيعة، وأرسلهما ابن زياد الذي لا يرعى لله إلاً ولا ذمة؟!

يبدو أن هذه الفرية الساذجة الهابطة بمستوى من السقوط والتفاهة بحيث لا يحسن الاسترسال في مناقشتها، ونكتفي بهذا القدر

من الكلام الذي ذكرناه غيره على المولى الغريب عليه السلام، لا تكذيباً للبهتان، إذ لا يصدق هذه القصة من أنعم عليه الله بنعمة العقل والإيمان.

* * * * *

كيف كان! بالرغم ما في الخبر من مناقشات ومخالفات للمشهور، فإنه يفيد أن المولى الغريب عليه السلام قاتل، ثم دخل إلى دار من دور كنده، وأسرف في نفس تلك الليلة، ثم قتل عليه السلام.

الصورة الثانية: رواية ابن قتيبة واليعقوبي:

روى ابن قتيبة في الإمامة والسياسة قال:

«وأرسل جماعة إلى مسلم بن عقيل، فخرج عليهم بسيفه، فما زال يقاتلهم حتى أخرج وأسر»^(١)..

وروى اليعقوبي في التاريخ قال:

«ووجه - أي ابن زياد - بالشرط يطلبون مسلماً، وخرج وأصحابه، وهو لا يشك في وفاء القوم، وصحة نيّاتهم! فقاتل عبيد الله، فأخذه، فقتله عبيد الله، وجزّ برجله في السوق وقتل هاني بن عروة لنزول مسلم منزله وإعانتته إيّاه»^(٢)..

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ٢ / ٩.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٢٤٣.

يمكن بيان ما أفاده هذان المصدران من خلال الإشارة إلى عدة ملاحظات:

الملاحظة الأولى: مخالفة المشهور تماماً

إنّ هذا المشهد يختلف تماماً عن المشاهد السابقة حيث أنّه لا يروي تفاصيل الخروج إلى القصر، وإنما يصوّر تقدّم جرّان القصر نحو الليث الطالبيّ مسلم بن عقيل عليه السلام، أي أنّه يرسم الصورة عكس المشهور تماماً.

الملاحظة الثانية: قدم المصادر

لا يخفى ما لهذين المصدرين من ثقل وقدم.. فأقدم مصدر - حسب وفاة المؤلّف - ممّا توفّر لدينا هو ابن سعد (ت ٢٣٠)، ووفاة ابن قتيبة «٢٧٦» وولادته «٢١٣» فهو إذن معاصر لابن سعد.

فرواية ابن سعد للأحداث وفق المشهور لم تكن بالتفصيل الوارد في مثل الطبري وغيره، وليس لها مرجّح خاصّ يرجّحها على رواية ابن قتيبة واليعقوبي.

فالمشهد وارد في مصدرين قديمين لهما وزنها وثقلهما في عالم التاريخ والتحقيق.

الملاحظة الثالثة: انسجام الصورة

يختلف هذا المشهد عن المشاهد الأخرى أنه يرسم لنا صورة تنسجم مع أدبيات أهل البيت عليه السلام ورسومهم في الحرب والقتال، فال معروف المتفق عليه أنّ أهل البيت عليه السلام لم يبدؤوا بحرب ولا قتال قط، وتسيير العسكر غير الابتداء بالحرب والقتال، وهذا ما لا يحتاج إلى تدليل وبرهان، فإنّ أمير المؤمنين عليه السلام سار إلى البصرة ولم يبدأ القتال وكرهه، وكذا فعل في صفين، كما سمعنا من سيّد الشهداء عليه السلام ذلك في كربلاء حينما أراد مسلم بن عوسجة أن يرمي شمرأ فقال له سيّد الشهداء عليه السلام:

«إني أكره أن أبدأهم بالقتال» (١).

وفي خبر ابن قتيبة واليعقوبي يبدو واضحاً أنّ الجرو المسعور ابن زياد هو الذي أرسل الشرط فخرج إليهم الليث الطالبي يذبّ عن نفسه وحرمة.. فيكون ابن الأمة الفاجرة هو الذي بدأ القتال وهو الذي سيّر العساكر، ولم يكن المولى الغريب عليه السلام قد جمع الجمع وكردس العسكر وجيَّش الجيوش.

(١) انظر للتفصيل: «مسلم بن عوسجة أوّل شهداء الله في معسكر الحسين عليه السلام» للمؤلف.

الملاحظة الرابعة: القتال منفرداً

يلاحظ أنَّ عبارتي ابن قتيبة واليعقوبي كلاهما ترويان القتال بصيغة المفرد، وتنسبان القتال للمولى الغريب عليه السلام وحده، وإن كان اليعقوبي وهو متأخر عن صاحبه يخبر عن وجود أصحاب مع المولى الغريب عليه السلام «وخرج وأصحابه، وهو لا يشك في وفاء القوم، وصحة نياتهم! فقاتل عبيد الله، فأخذه»، غير أنه يرجع ليتحدث عن القتال بصيغة المفرد.

الملاحظة الخامسة: نفي النداء وتجمّع العساكر

مفاد خبرهما ينفي كلّ ما رواه ابن سعد ومن حذا حذوه، إذ يفيدان أنَّ المولى مسلماً عليه السلام كان في دارته وأرسل ابن زياد شرطته إليه، ووقع القتال بينه وبينهم، فلا نداء رفع ولا عساكر تتجحفل ولا ناس يموجون، وهكذا بقيّة الأحداث التي تطوّرت عند المؤرّخين كلّما تقدّم بهم الزمن.

الملاحظة السادسة: معالجة المحاذير

إذا قال القائل بخبرهما فإنّ الكثير من المحاذير التي كانت تشوب الخبر المشهور تنتفي وتذوب، من قبيل ما نسب للمولى عليه السلام من حيرة في أمره، وتلدّد في الشوارع، والمحاذير التي تترتب على النداء، والخروج إلى القصر وكثير كثير ممّا جعل المحقّقين والمحلّلين التاريخيين يقفون موقف

الذاهل، أو الباحث عن المسوّغات والمبرّرات للكثير من المشاهد التي ترسمها الرواية المشهورة!

الملاحظة السابعة: خذلان أهل الكوفة

رسم المشهد وفق خبرهما لا يمسّ الثابت التاريخي الناصّ على خذلان أهل الكوفة ونكثهم بيعتهم، وتركهم سيّدهم وحده وتمسّكهم بذنب القرد حبلاً بدل حبلى الله الذي أمرهم الله أن يعتصموا به. وذلك: لأنهم حسب هذا الخبر أيضاً تخلّوا عن المولى الغريب عليه السلام، بالخصوص في لفظ اليعقوبي، فهم لم ينهضوا للذبّ عن مولاهم ولا الدفاع عنه والوقوف سداً منيعاً دون اقتراب أزلام الطاغية الحقير إلى حريم المولى مسلم بن عقيل عليه السلام.

الملاحظة الثامنة: أهمّ مشكلة تواجه هذا الخبر

أهمّ مشكلة تواجه الذهاب مذهب هذين المؤرّخين التشكيك بالمشهور عند الشيعة - أعزّهم الله وحماهم -، ومناقشة الصورة المشهورة عندهم، ويمحو دور طوعة المرأة الجليلة التي مثّلت في ساعة من ساعات الكوفة كلّ الشرف والحفاظ والذمام والرجولة والبطولة والوقوف إلى جانب الحقّ المهدور.

فلو أمكن الجمع بالدمج بين المشاهد المشهورة وهذا المشهد بحيث

نتخلص من تلك المحاذير ونفلح بإبقاء طوعة في موقعها، لكان حسناً.
ولا يخفى أنّ المشهد - حسب ما يصوّره هذان المؤرّخان - يهزّ الغيور من الأعماق ويخلع قلب المحبّ، فيذوب قلبه دموعاً، إذ يبقى المولى الغريب عليه السلام وحده لا ناصر له ولا معين، وتبقى شهادته تصدع الروح وتفتّت الأكباد، غير أنّ خبر طوعة سيختفي، وهذا بنفسه قد يكون محذوراً لا يسهل اجتيازه.

الملاحظة التاسعة: إمكان الاختصار

قد يقال إنّ في لفظ هذين المؤرّخين شيء من الاختصار الذي أدى إلى غياب بعض المشاهد، فهما يتحدثان عن مجريات الأحداث بعد أن انفضّ المشهد حول القصر، وأرسل الجرو المسعور شرطته لاعتقال المولى الغريب وأسرّه، فخرج إليهم فقاتلهم..
وهو احتمال جيّد إذا ساعد عليه سياق العبارة وطريقة صياغة الحدث.

المشهد الثامن: قاتل الأنصار لينجو المولى عليه السلام

روى ابن سعد والذهبي قالا:

«... فما بلغ القصر إلّا وهو في نحو من ستّين رجلاً، فغربت الشمس، واقتتلوا قريباً من الرحبة، ثمّ دخلوا المسجد وكثرهم

أصحاب عبيد الله بن زياد، وجاء الليل، فهرب مسلم! حتّى دخل على امرأة من كندة يقال لها: طوعة، فاستجار بها! (١).
بغض النظر عن تعبيره الوقح غير المؤدّب مع المولى عليه السلام، فإنّ الصورة التي يرسمها تفيد أنّ السّتين الذين ثبتوا مع المولى الغريب عليه السلام قاتلوا أصحاب عبيد الله بن زياد حتّى كثروهم أولئك الأوغاد، وإنّما استمرّ الأبطال في مقارعة أشباه الرجال ليشغلهم عن المولى الغريب عليه السلام بأنفسهم ليذهب إلى مأمنه، سواء كان في بيت طوعة أو غيره، فعبر المؤرّخ عن هذا المشهد بما عبّر.

«قال حصين: فحدّثني هلال بن إساف، قال: لقد تفرّقوا عنه، فلمّا قلّت الأوقات [الأصوات] فقليل لابن زياد: ما نرى معه كبير أحد، فأمر، فرفعت حرادي فيها النار، حتّى نظروا، فإذا ليس مع مسلم إلّا قدر خمسين.

فقال ابن زياد للناس: تميّزوا أرباعاً، فانطلق كلّ قوم إلى رأس ربّهم، فنهض إليهم قوم قاتلوا مع مسلم، فجرح مسلم جراحة، وقتل ناس من أصحابه، ولجأ مسلم إلى دار من دور

(١) ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من الطبقات لابن سعد: ٦٦، سير أعلام النبلاء للذهبي عن ابن سعد: ٣ / ٢٩٩.

كندة» (١).

وهنا أيضاً نقول: بغضّ النظر عن المناقشات التي ناقشنا بها الخبر، فإنّ النصّ قد يفيد أنّ الخمسين قاتلوا أصحاب ابن زياد كي يحمو المولى الغريب ويشغلونهم عنه حتّى يبلغ مأمنه، سيّما أنّ الظلام قد هبط وأزفت المعركة على النهاية.

بل يمكن أن يقال - كما أشرنا إلى ذلك (٢) - أنّ كلّ من ذكر القتال إنّما عني قتال هؤلاء الخمسين أو الستّين لا غير، والقتال كان يستهدف شخص المولى الغريب بالاعتقال أو القتل، بمعنى أنّ أذئاب الطاغية الدنيّ رأوا المولى بعد أن تفرّق الناس في ثلّة قليلة فطمعوا في أسره أو قتله، فهجموا عليه، فقاتل دونه الأوفياء وأخرجوه سالماً من بين الأوغاد.

وهذا المشهد يعالج بعض المحاذير ويفسّر بعض الغموض، ويجب على بعض الأسئلة التي سجّلت على مواقف الأوفياء وغير ذلك ممّا مرّ أثناء البحث.

(١) أنساب الأشراف: ٣ / ٢٢٤، جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٣ / ٣٧١،

٤٢٢ - ٤٢٣.

(٢) انظر: «مسلم بن عقيل عليه السلام معركة القصر»، للمؤلف.

بيد أنّ سؤالاً كبيراً قد ينبثق في وجه هذا التصوير، وخلاصته: هل يتصور أنّ المولى الغريب عليه السلام يترك هؤلاء الأوفياء وينصرف إلى مأمّنه؟ إذا أجبنا على السؤال بالإيجاب وأنّ هذا أمر طبيعيّ حيث يضحيّ الأتباع ليدفعوا عن سادتهم وقادتهم، وأنّ المولى لم يكن في موقف حرب، ولا مقام ثورة، وهو الآن معرّض للخطر وقد دهمه الليل، وألحّ عليه أصحابه بالتوجّه خارج منطقة المواجهة، فخرج.

أمّا إذا قلنا: إنّ هذا ليس من خلق المولى الغريب عليه السلام تحت أيّ ظرف أو أيّ تبرير، فإنّ هذا المشهد سينخدش.

المشهد التاسع: دخل المسجد في ثلّة وخرج وحيداً

قال السيّد ابن طاووس:

«فجعل أصحاب مسلم، يتفرّقون عنه ويقول بعضهم لبعض: ما نصنع بتعجيل الفتنة، وينبغي أن نقعد في منازلنا، وندع هؤلاء القوم حتّى يصلح الله ذات بينهم، فلم يبق معه سوى عشرة أنفس، فدخل مسلم المسجد ليصليّ المغرب، فتفرّق العشرة عنه. فلمّا رأى ذلك خرج وحيداً في دروب الكوفة» (١).

وقال ابن نما:

«ولمّا بلغ مسلم بن عقيل خبره، خرج بجماعة ممّن بايعه إلى حرب عبيد الله بعد أن رأى أكثر من بايعه من الأشراف نقضوا البيعة وهم مع عبيد الله، فتحصّن بدار الإمارة، واقتتلوا قتالاً شديداً إلى أن جاء الليل، فتفرّقوا عنه وبقي معه أناس قليل، فدخل المسجد يصليّ وطلع متوجّهاً نحو باب كندة، فإذا هو وحده لا يدري أين يذهب» (١).

المشهد العاشر: دخل المسجد وخرج فارساً

قال ابن أعثم الكوفي:

«... ثمّ جعل القوم يتسلّلون والنهار يمضي، فما غابت الشمس حتّى بقي مسلم بن عقيل في عشرة أفراس من أصحابه لا أقلّ ولا أكثر، واختلط الظلام، فدخل مسلم بن عقيل المسجد الأعظم ليصليّ المغرب وتفرّق عنه العشرة، فلمّا رأى ذلك استوى على فرسه ومضى في بعض أرقّة الكوفة، وقد أنخن بالجراحات حتّى صار إلى دار امرأة يقال لها: طوعة» (٢).

(١) مثير الأحران لابن نما: ١٦، ١٨ - ١٩.

(٢) الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٥٠.

المشهد الحادي عشر: الخروج من الكوفة

يختلف هذا المشهد عن المشاهد السابقة في أنه يقرّر عزم المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام على الخروج من الكوفة، فتجري له أحداث مفصلة ستسمعها في رواية الخبر حتى يقف على باب طوعة.

قال لسان الملك سهر في ناسخ التواريخ حياة الإمام الحسين عليه السلام:

«نظرت وبحت وأنا أسطر هذه الصفحات في كتاب بحار الأنوار، والعوالم، وكتاب زبدة الفكرة، وكتاب اللهوف، وكتب الشيخ المفيد، وكتاب ابن شهر آشوب، وكتاب إعلام الوري، وبحر اللثالي، والطبري، وكتاب مروج الذهب، وكتاب الفصول المهمة، وكتاب تذكرة خواص الأمة، وكتاب شرح الشافية، وكتاب كشف الغمة، وكتاب اليافعي، وكتاب الطريحي، وكتاب أعثم الكوفي، والمعيني، وأبو مخنف، وكتاب مطالب السؤول، وكتاب عبد الله بن محمد رضا الحسيني المعروف بجلاء العيون، وفي مئات الكتب والمجلدات العربيّة والفارسيّة التي ألّفها العلماء العظام في مقتل الحسين عليه السلام، ولم أجد في أيّ واحدة منها قصّة تدخّل محمد بن كثير في نصرته مسلم بن عقيل بهذا التفصيل الذي يأتي.

ولما كان ابن أعثم الكوفي من علماء أهل السّنة والجماعة، وله

إحاطة ودراية في جمع السير، وهو يروي في الغالب عن ابن إسحاق وابن هشام، رأيت من المؤسف أن لا آخذ ما كتبه بنظر الاعتبار، فهو يقول:

لما تفرّق الناس عن مسلم واختلط الظلام استوى مسلم على فرسه ومضى يخرج من الكوفة، وهو لا يعرف الطريق، فمضى يطوف في بعض الأرقعة فراه سعيد بن الأحنف فعرفه فقال له: إلى أين يا سيدي ومولاي في مثل هذا الوقت؟

فقال: أريد أن أخرج من هذا البلد إلى مأمن، حتّى يجتمع إليّ بعض من بايعني من القوم فينصروني.

فقال سعيد بن الأحنف: لا أدعك تذهب أبداً، فقد جعلوا المدينة عليك سجنًا مقفلاً، وأحاطوا بك، وملأوا الأرقعة والسكك بالجنود والحرس، فأين ذهبت قبضوا عليك وأسروك.

فقال مسلم: فماذا ترى؟

قال: تعال معي حتّى أدلك على الطريق وأهديك إلى مكان تأمن فيه.

فجاء به حتّى وقف على باب دار محمد بن كثير، فنادى: يا محمد بن كثير أسرع واستقبل مسلماً.

فخرج محمد من الدار مسرعاً واستقبل مسلماً استقبلاً مبجلاً،
وحمد الله على ما أنعم عليه وأكرمه باستضافة مسلم، وأدخله
إلى بيته وجعله في موضع لا يدخله أحد غيره، وهياً له ما
يلزمه.

وكان أصحاب عبيد الله بن زياد يطوفون في الأزقة والمحلات
ويدخلون كل موضع ومكان بحثاً عن مسلم بن عقيل،
فكأنهم أحسّوا بموضعه فأرسلوا إلى ابن زياد يخبرونه بذلك،
ففرح ابن زياد فرحاً شديداً، وأمر ابنه خالد أن يخرج مع فوج
من الجنود ويحاصروا دار محمد بن كثير، ويهجموا عليه
مغافصة وعلى حين غرة، فحاصروه ولم يكن معه أعوان ولا
أنصار، فأمسكوا به وبابنه دون قتال ولا جدال، فلا ضربوا
سيفاً ولا سفكوا دمًا، فأرسلوا بهما إلى ابن زياد، وفتشوا البيت
فلم يجدوا عينا ولا أثراً، فرجع خالد إلى قصر الإمارة.

فلما سمع بذلك سليمان بن صرد الخزاعي والمختار بن أبي
عبيدة الثقفي وورقاء بن عازب وجماعة آخرون من أشرف
الكوفة تعاهدوا على الخروج غداة غد للهجوم على ابن زياد
لانتقاذ محمد وابنه، والخروج بعد ذلك خارج الكوفة يتلقون
الحسين عليه السلام لينصروه ويقاتلوا معه أعداءه، فتعاقدوا على ذلك

وتعاهدوا وأرسلوا إلى قبائلهم ليستعدّوا ويخرجوا غداة الغد
لقتال ابن زياد.

فلما أصبح الصباح وصل عامر بن الطفيل ومعه عشرة آلاف
رجل من جند الشام والتحق بابن زياد، ففرح ابن زياد
واستقوى بهم، فأرسل إلى محمد بن كثير.

فلما حضر عنده سبّه وشتّمه، وتكلّم معه كلاماً غليظاً.

فقال محمد: يا ابن زياد! اعرف قدرك، والزم حدّك، ولا تقل ما
لا يليق بك، فإنّي أعرف حسبك ونسبك وأعلم استلحاق
معاوية لزياد، وما فعله في ذلك من فتنة وفساد.

فبينما كان محمد يتكلّم ارتفعت أصوات طبول الحرب تصمّ
الأذان، وتخرق الصماخ، وإذا بأربعين ألف رجل - أو ما يقرب
من ذلك - قد حاصروا قصر الإمارة، واصطفوا حوله صفوفاً.

فاشتدّ غضب ابن زياد وقال: يا ابن كثير أقسم بيزيد أن ليس
على كلامي مزيد، لتأتيني بمسلم أو لأضربنّ عنقك.

فقال له: أنت أحقر من أن تمسّ شعرة منّي.

فسكت ابن زياد، وأطرق برأسه إلى الأرض، وكم غضبه، وفكّر
في عواقب فعله، وإن كانت تلك الكلمات ثقيلة عليه، وهو لا
يطيق سماعها.

ثم رفع رأسه وقال: يا ابن كثير! أيهما أحب إليك أهلاً؟
وعشيرتك أم مسلم بن عقيل؟

فقال: يا ابن زياد إن الله حافظ ابن عقيل وناصره ومعينه،
وأنا لي ثلاثون ألف سيف متعطشة للدماء تحيط الآن بقصر
الإمارة.

فغضب ابن زياد ولم يعد يحتمل الصبر عليه، فأخذ دواة كانت
أمامه فرمى بها محمداً، فأصابته في جبهته فشجته، وسال الدم
على وجهه.

فوثب محمد إلى سيف، فأخذه وهجم على ابن زياد، فأحاط
به أشراف! الكوفة ومنعوه من الوصول إليه.

فلما رأى معقل ذلك، وكان من قبل قد جرحه هاني كما
ذكرنا، حمل على محمد فوثب عليه محمد كالليث الغضبان
وضربه بسيفه فقطعه نصفين.

فلما رأى ابن زياد إقدام محمد وشجاعته تنحى جانباً ونادى
بغلمانہ: اقتلوه ولا تبقوه.

فأحاطوا به من كل جانب وتكاثروا عليه ومحمد يقاتلهم يميناً
وشمالاً، فقتل منهم اثنين، ثم إنه عثربوتد، فسقط إلى الأرض،
فانتهزوها فرصة، فحملوا عليه وقتلوه.

أما ابن محمد فقد سلّ سيفاً وقاتل وهو يريد الوصول إلى باب القصر، فقاتل قتال الأبطال، فقتل عشرين حتّى وصل إلى باب القصر، فطعنه غلام في ظهره بالرمح، فسقط شهيداً. وكان جيش الشام مشغولاً بقتال الكوفيّين على الباب يتبادلون معهم الضرب والطعان بالسيوف والسنان، وهم يتعجّبون ويتأهّبون لصبر الكوفيّين وجلدهم.

فقال ابن زياد: إنّما يقاتل أهل الكوفة لمكان محمد بن كثير وابنه فاقطعوا رأسيهما وارموا بها إلى الناس ليرونهم، فيفتّ في عضد المقاتلين، ويخمد حماسهم، فقطعوا الرؤوس ورموا بها من أعلى الشرف بين الناس، فعلموا أنّ محمداً وابنه قد قتلاً.

ولكنّهم استمروا في القتال حتّى انتهى النهار، وهبط عليهم الظلام، فانصرف كلّ واحد إلى أهله، ولم يبق منهم ولا رجل واحد في الميدان.

فلما سمع مسلم بن عقيل بالخبر خرج من مكمنه في دار محمد ابن كثير، وهو لا يعلم إلى أين يذهب! وكان ابن زياد على وجل من أهل الكوفة وانقلابهم عليه! وفي نفس الوقت كان جاداً في البحث عن مسلم بن عقيل غاية الجدّ، ولهذا فرّق جنده وهم اثنا عشر ألفاً في شوارع الكوفة وأزقتها ومناطقها،

فلم يترك محلة إلا وجعل فيها جماعة من عسكره، سيّما في الليل، فأخذوا كلّ المعابر والسبل.

فلما خرج مسلم لقتله جماعة من الحراس فسألوه: من أنت؟ وإلى أين تريد؟

فقال: أنا رجل من بني فزارة!!! أريد الرجوع إلى قومي!!

فقالوا له: ارجع فليس هذا طريقك، فرجع مسلم ومشى في طريق آخر حتى وصل إلى دار البيع، وكان خالد بن عبيد الله ابن زياد في اثني عشر ألفاً حراساً على تلك المحلة، فرجع من هناك وأخذ يميناً وشمالاً في السكك والأرقة حتى وصل إلى الكناسة، وكان هناك خادم الشامي في ألني رجل، فمرّ مسلم بشجاعة وإقدام من هناك وعبر إلى سوق الحدادين، فرآه رجل يقال له: الحارث، فقال في نفسه: لا يكون هذا الفارس المتعجل! الذي مرّ من هنا إلا مسلم بن عقيل، وكان الوقت يقارب الفجر، فجاء راكضاً مسرعاً إلى قصر الإمارة وقال لنعمان الحاجب: رأيت مسلماً وهو يدخل سوق الحدادين ويتّجه نحو باب البصرة، فركب نعمان في خمسين فارساً وتبعوه.

فلما سمع مسلم وقع حوافر الخيل عرف أنهم في طلبه، فنزل

عن ظهر جواده وضربه، فانطلق الجواد مسرعاً، ودخل مسلم في شارع آخر، فأتبع الفرسان الجواد حتى لحقوه في محلة الحلاجين، فوجدوه دون فارس، فأخذوه ورجعوا به إلى ابن زياد، فأخبروه بالخبر.

فأمر ابن زياد أن يشدّدوا الحراسة، ويأخذوا الطرقات، وينصبوا الكمائن ويشدّدوا على المخارج والمداخل، وأمر مناديه فنادى في الكوفة: من دلّنا على مسلم أو جاءنا به فله من مال الدنيا ما يغنيه، ويكون من أهل الزلفى والقربى عند الأمير.

فقطع بذلك المتهافتين على الذهب والفضّة، وخرجوا في طلب مسلم لا يفترون ليلاً ونهاراً.

أمّا مسلم، فبعد أن أفلت من نعمان الحاجب ومن معه من الفرسان، جعل يطوف في الأزقة لا يدري إلى أين يذهب، وقد أترفيه الجوع والعطش، حتى وجد نفسه في زقاق مسدود، فجعل يذهب يميناً وشمالاً، وهو في حيرة من أمره! إذ رأى مسجداً خراباً، فدخله وجلس في زاوية منه حتى غربت الشمس، وهبط الظلام فلفع الكون بالسواد، فخرج من المسجد، وجعل يمرّ من زقاق إلى زقاق حتى عبر على دور بني

جبلية، وهم جماعة من كندة، فالتفت فرأى بنياناً منيفاً عالياً، فجلس في فناءه يستريح ساعة، وكانت الدار لامرأة يقال لها: طوعة» (١) ...

* * * * *

كذا هي القصة بتفاصيل فريدة رواها سبهر عن ابن الأعمش (٢)، وقد

(١) ناسخ التواريخ / حياة الإمام الحسين عليه السلام ترجمة السيد علي أشرف: ١ / ٢٨٤.

(٢) غير أن الطبعات المتوفرة - ولا النسخة المخطوطة المتوفرة لدينا - لفتوح ابن الأعمش لا تفيد أي إشارة إلى هذا الخبر بحيث يحتمل المراجع أن حذفاً ما وقع في النسخ المطبوعة، وهو يروي الخبر مسترسلاً متواصلاً ضمن مجريات الأحداث التي يرويها كما نقلناها عنه في ثنايا البحث، ولسان الملك سبهر نفسه يذكر كتاب ابن أعمش ضمن الكتب التي راجعها فلم يجد القصة فيها، فيقول: «نظرت وبحثت وأنا أسطر هذه الصفحات في كتاب بحار الأنوار... وكتاب أعمش الكوفي... وفي مئات الكتب والمجلدات العربية والفارسية التي ألفها العلماء العظام في مقتل الحسين عليه السلام، ولم أجد في أي واحدة منها قصة تدخل محمد بن كثير في نصرة مسلم بن عقيل بهذا التفصيل الذي يأتي.

ثم يستدرك ويقول: «ولما كان ابن أعمش الكوفي من علماء أهل السنة والجماعة، وله إحاطة ودراية في جمع السير، وهو يروي في الغالب عن ابن إسحاق وابن هشام، رأيت من المؤسف أن لا أخذ ما كتبه بنظر الاعتبار...».

ومن يعرف منهج لسان الملك سبهر في الكتابة تكاد المسألة تكون واضحة

أتينا على مناقشتها في بحث «معركة القصر»، وإنما نقلناها هنا لتكون قد استوعبنا كل المشاهد التي ظفرنا بها خلال تتبعنا للساعة الأخيرة، وربما رسمت صورة للقارئ يمكنه أن يستفيد منها.

المشهد الثاني عشر: الهرب!!!

التعبير عن البطل الهاشمي والليث الطالبي والهمام العقيلي بالهرب

عنده، فإنّي قد ترجمت له - بحمد الله - كتاب حياة الإمام الحسن عليه السلام وكتاب حياة الإمام الحسين عليه السلام من الناسخ وهو أربعة أجزاء في مجلدين، وتعبّبت منهجه وطريقة نقله من المصادر حيث يعتمد مصدراً معيّناً فينقل عنه، ولكنّه ينسب ما ينقله عنه للمصدر الأصلي الذي ينقل عنه الكتاب المعتمد لديه.. فهو ينقل من البحار وينسب ما ينقله لمصدر البحار مباشرة دون الإشارة إلى البحار اعتماداً منه على العلامة المجلسي وثقة به.. فتجد مصادره متنوّعة إذ يروي عن الأمالي والخصال وشرح نهج البلاغة وهكذا، وهو في الحقيقة لم يراجع سوى البحار وينقل ما فيه فقط..

وربما كان هذا هو السبب في نسبة ما يرويه في هذه القصة إلى ابن أعثم، حيث أنّه راجع روضة الشهداء للواعظ حسين الكاشفي (ت ٩١٠) المتفرّد بنقلها بحذافيرها، وهو يرويها مرسلّة دون الإرجاع إلى مصدر أو إسناد، ويروي قبلها خبراً عن ابن الأعثم ثمّ يقول: «قال الراوي» ويأخذ بسرد هذه القصة، فظنّ لسان الملك سبهر أنّ هذه القصة وقول هذا الراوي استمرار لما رواه الكاشفي عن ابن الأعثم فنسبه إليه ... (انظر: معركة القصر).

والفرار، يكشف عن عدم معرفة المؤرّخ بشخص المولى عليه السلام وجهله عليه السلام عجزه عن التعبير، وربما يكون هذا متوقعاً من أمثال ابن سعد والذهبي، ولكنّه لا يصدق على أمثال الطريحي، لأنّه ذو قدم راسخ في الولاء، وباع طويل في اللغة، فلا ندري كيف نفّسر ما كتبه، فنردّ علم ما قاله إليه وهو أعرف بما قال عليه السلام.

روى ابن سعد والذهبي، قالاً:

«.. وجاء الليل، فهرب مسلم! حتّى دخل على امرأة من كندة يقال لها: "طوعة"، فاستجار بها!» (١).

وقال المقرئ في إمتاع الأسماع:

«ثمّ ركب من البصرة ودخل الكوفة وقد بايع مسلم بن عقيل ثمانية عشر ألفاً، فركب بهم وحاصر عبيد الله فلم يثبتوا وتفرّقوا عنه حتّى فرّ، فأخذ بعد خطوب وحروب وقتل» (٢).

عبارة المقرئ مقتضبة غير أنّها متناقضة، فكيف يفرّ ثمّ يقول:
«فأخذ بعد خطوب وحروب»؟!

(١) ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من الطبقات لابن سعد: ٦٦، سير أعلام النبلاء

للذهبي عن ابن سعد: ٣ / ٢٩٩.

(٢) إمتاع الأسماع للمقرئ: ٥ / ٣٦٣.

أما الشيخ الطريحي رحمته الله فقد ذهب بها عريضة، فقال:

«قال الناقلون: لما وصل خبرهائي إلى مسلم، خرج من الدار

[دارهائي] هارباً حتى انتهى إلى الحيرة» (١) ..

وقد تعرّضنا لهذه الفرية على مولانا مسلم بن عقيل عليه السلام من نسبة

الفرار إليه - ولو على مستوى التعبير - في أكثر من موضع، ونستغفر الله

أن ذكرناها هنا أو في مورد آخر، غير أننا مضطرون لذلك بحكم ضرورات

البحث.

ولانرى ضرورة لمناقشتها لا هناك ولا هنا، ولا في أي مكان، لأنها

كذبة باردة جامدة هامة سخيقة، لا تستحق النقد والوقوف عندها.

أجل! ربما كان ذكرها سبباً لبكاء مؤمن غيور يحنّ على المولى

الغريب عليه السلام، فيبكي لظليمة وما أوصلوه إليه حتى صار يرمى بمثل هذه

الأقاويل، ويوصف بمثل هذه الصفات المقرفة، والخصال المقرزة.

وربما أتعبنا القارئ ببحثنا وأطلنا عليه الكلام فليضحك هنا، لأنّ

الكذب المفترع المفضوح يثير السخرية والضحك عادة، وشرّ البلية ما

يضحك!

طوعة واللقاء

إنّ بعض المصادر لم تنصّ على اسم طوعة، وإنما ذكرتها بعنوان امرأة من دون تحديد لاسمها، من قبيل:

الطبري في إحدى رواياته، قال:

«فخرج مسلم فدخل داراً من دور كندة»^(١)..

وقال ابن حبان في الثقات:

«فمضى مسلم بن عقيل على وجهه وحده، فرأى امرأة على

باب دارها، فاستسقاها ماءً، وسألها مبيتاً، فأجابته إلى ما

سأل وبات عندها»^(٢).

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٩١.

(٢) الثقات لابن حبان: ٢ / ٣٠٨.

وقال الطريحي في المنتخب:

«قال الناقلون: لما وصل خبرهائي إلى مسلم، خرج من الدار
[دارهائي] هارباً حتى انتهى إلى الحيرة، فأضافته امرأة هناك
بعد ما سألته عن حاله وقصّته، فلما أدخلته الدار أكرمته
وقدّمت إليه المأكول، فأبى عن ذلك، لما به من الوجل
والألم» (١)!!

* * * * *

لم يحدّثنا التاريخ عن طوعة، سوى بعض الإشارات المتفرقة هنا
وهناك في صفحات الكتب ...
ويمكن أن نتصيّد بعض ما ورد عنها في منشور الصفحات..

ولاؤها

اختلفت المصادر في بيان ولاء طوعة وانتمائها، ويمكن أن نقسم اختلافهم إلى أقوال:

القول الأول: من حرائر كندة

تفيد المصادر القديمة أنها كانت من كندة من دون الإشارة إلى الولاء، ومفاد عبارة بعضهم أنها كانت من حرائر كندة لا من مواليهم. قال ابن سعد والذهبي:

«... حتى دخل على امرأة من كندة يقال لها: طوعة» (١) ..

(١) ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من الطبقات لابن سعد: ٦٦، سير أعلام النبلاء

وقال ابن أعثم الكوفي في الفتوح:

«حَتَّى صَارَ إِلَى دَارِ امْرَأَةٍ، يُقَالُ لَهَا: طُوعَةٌ، وَقَدْ كَانَتْ فِيهَا
مَضَى امْرَأَةٌ قَيْسِ الْكَنْدِيِّ، فَتَزَوَّجَهَا رَجُلٌ مِنْ حَضْرَمَوْتَ يُقَالُ
لَهُ: أَسَدُ بْنُ الْبَطِينِ، فَأَوْلَدَهَا وَلَدًا يُقَالُ لَهُ: أَسَدٌ» (١) ...
وَلَكِنَّهُ قَالَ وَهُوَ يَسْتَرْسِلُ فِي نَقْلِ الْأَحْدَاثِ نَقْلًا عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ
الْأَشْعَثِ، فَقَالَ:

«إِنَّ ابْنِي هَذَا يُخْبِرُنِي أَنَّ مُسْلِمَ بْنَ عَقِيلٍ فِي دَارِ طُوعَةٍ عِنْدَ
مَوْلَاةٍ لَنَا».

وقال البلاذري:

«خَرَجَ مُتَوَجِّهًا نَحْوَ أَبْوَابِ الْكَنْدَةِ، وَتَفَرَّقَ عَنْهُ الْبَاقُونَ حَتَّى بَقِيَ
وَحْدَهُ يَتَلَدَّدُ فِي أَرْقَةِ الْكُوفَةِ، لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، وَدَفَعَ! إِلَى بَابِ
امْرَأَةٍ يُقَالُ لَهَا: طُوعَةٌ» (٢) ..

وقال الدينوري:

«... فَأَخَذَ نَحْوَ كَنْدَةٍ، فَلَمَّا مَضَى قَلِيلًا انْتَفَتَحَتْ، فَلَمْ يَرِ مِنْهُمْ
أَحَدًا، وَلَمْ يَصِبْ إِنْسَانًا يَدُلُّهُ عَلَى الطَّرِيقِ، فَضَى هَائِمًا عَلَى

(١) الفتوح: ٨٨ / ٥.

(٢) جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٣٣٨، أنساب الأشراف: ٢ / ٨١.

وجهه في ظلمة الليل حتّى دخل على كندة.
فإذا امرأة قائمة على باب دارها تنتظر ابنها، وكانت ممّن خفّ
مع مسلم فأوته وأدخلته بيتها» (١) ...

القول الثاني: أمّ ولد للأشعث

نصّ الطبري أنّها كانت مولاة للأشعث فأعتقها وتزوّجت من رجل
حضرمي فولدت له بلالاً، فهي حرّة يوم المولى الغريب عليه السلام غير أنّها
كانت مملوكة من قبل:
قال الطبري:

«حتّى خرج إلى دور بني جبلة من كندة، فمضى حتّى انتهى
إلى باب امرأة يقال لها: طوعة، أمّ ولد كانت للأشعث بن
قيس، فأعتقها، فتزوّجها أسيد الحضرمي» (٢) ..

القول الثالث: ابنها مولى لمحمّد بن الأشعث

وذكر الطبري أيضاً والمزّي وابن حجر والشجري أنّ ابنها كان مولى
لمحمّد بن الأشعث:

(١) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣٩ - ٢٤٠.

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧١، الكامل في التاريخ: ٤ / ٣١، مقاتل الطالبين: ١٠٤.

«وكان ابنها مولى لمحمد بن الأشعث، فلما علم به الغلام انطلق إلى محمد فأخبره، فانطلق محمد إلى عبيد الله فأخبره» (١) ..

وكذا ذكر ابن الجوزي في التذكرة، فقال:

«وقد بقي وحده فجاء إلى باب فجلس عليه فجاءته امرأة أو خرجت إليه فقال لها: يا أمة الله اسقيني ماءً ... وكانت المرأة أم مولى لمحمد بن الأشعث» (٢) ..

القول الرابع: الولاء الاجتماعي

أن يفسر معنى الولاء في القول الثاني بالولاء الاجتماعي والجوار والحماية لا بمعنى ولاء الملكية، فيرجع القول الثاني إلى القول الأول.

القول الخامس: من بني هاشم

في نور العين في مشهد الحسين عليه السلام للاسفرائيني (٣):

«.. فقالت له المرأة: من أي الناس أنت؟ فقال: من بني

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٠، الأمالي للشجري: ١ / ١٩١، تهذيب الكمال للمزي: ٦

/ ٤٢٦، تهذيب التهذيب لابن حجر: ٢ / ٣٥١.

(٢) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ١٣٨، ١٤٠.

(٣) بغض النظر عن صحة نسبة الكتاب للمؤلف، فإنه وثيقة قديمة.

هاشم، أنا مسلم بن عقيل، قد غمرني هؤلاء القوم وباعوني
ونقضوا بيعتي.

فقلت: وأنا من بني هاشم، وأحقّ بإجارتك» (١).

وقال الأستاذ محمّد علي عابدين - حفظه الله -:

«تدعى تلك المرأة الصالحة باسم "طوعة" كانت سيّدة مؤمنة
ممن استأثرت الأحداث باهتمامهنّ، وقيل: أنّها كانت مولاة
للهاشميين تخدمهم أيّام كانوا في الكوفة خلال خلافة الإمام
أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - عليه الصلاة
والسلام» (٢).

(١) نور العين في مشهد الحسين عليه السلام ط دار المنار تونس: ٢٧.

(٢) مبعوث الحسين عليه السلام: ١٩٨.

نسبها ونسبته

لم يسجل لنا المؤرخ نسب طوعة وانتماءها العائلي، وقد بخل علينا حتى باسم أبيها، وربما كان ذلك لأحد الأسباب التالية:

السبب الأول: خدرها

إن طوعة كانت امرأة خفرة وحرّة غير برزة، وكان هذا الموقف المشرف كافياً لإثارة فضول المؤرخ والراوي الذي يخوض في السفساف والتوافه أحياناً، ويلاحق بعض تصرفات النساء الساقطات والبغايا الرخيصات، ويسجل الشارد والوارد عنهنّ، وفي كتاب الأغاني لأبي الفرج نماذج كثيرة لهذا القول.

غير أنّه عمل هنا ما يعمله مع الطيّبين، فبخسها حقّها وقصّر معها، وأزعجه متابعتها، تماماً كما فعل مع الكثير من الطيّبات الطاهرات، من

قبيل الصديقة الصغرى زينب الحوراء وأخواتها ونسائها، وزوجة سيد الوصيين وأمير المؤمنين وأم حامل لواء الحسين عليه السلام، أم البنين عليها السلام، وكذا الكثير الكثير.

وسنقتصر هنا على ذكر بعض الأمثلة الواضحة من أيام القيام الحسيني، لتكون شاهداً على أن المؤرخ لا يرصد النساء اللواتي وقفن مع الحق ويلهو عنهنّ عامداً أو مقصراً أو قاصراً أحياناً، نظروفهنّ الخاصة وحشمتهنّ واختفائهنّ خلف أستار الخدور، قبل وبعد اتخاذ الموقف الذي يخلّد أسماءهنّ، ويضطرّ المؤرخ لذكرهنّ..

المثال الأول: زوجة علي بن مظاهر الأسدي

روي أن سيد الشهداء الحسين عليه السلام جمع أصحابه ليلة العاشر، وكلمهم وأذن لهم بالانصراف، فأبوا إلا أن ينصروه ويفدوه بالأرواح والأبدان، وأن يدافعوا عن حرم الله وحرم رسوله ما دام قوائم سيوفهم بأيديهم، وما دام فيهم عرق ينبض وعين تطرف، فكشف لهم سيد شباب أهل الجنة عن مواقعهم في الجنة، وأراهم قصورهم وحورهم ثم قال:

«ألا ومن كان في رحله امرأة فلينصرف بها إلى بني أسد، فقام

علي بن مظاهر وقال: ولماذا يا سيدي؟

فقال عليه السلام: إن نسائي تسبي بعد قتلي وأخاف على نسائكم من

السي.

فمضى علي بن مظاهر إلى خيمته، فقامت زوجته إجلالاً له،
فاستقبلته وتبسمت في وجهه، فقال لها: دعيني والتبسم.

فقلت: يا ابن مظاهر! إنني سمعت غريب فاطمة خطب فيكم،
وسمعت في آخرها همهمة ودمدمة، فما علمت ما يقول؟!

قال: يا هذه إنَّ الحسين عليه السلام قال لنا: ألا ومن كان في رحله
امرأة فليذهب بها إلى بني عمّها، لأنّي غداً أقتل ونسائي
تسي. فقلت: وما أنت صانع؟

قال: قومي حتّى ألحقك ببني عمّك بني أسد.

فقامت ونطحت رأسها في عمود الخيمة وقالت: والله ما
أنصفتي يا ابن مظاهر!

أيسرك أن تسبي بنات رسول الله صلى الله عليه وآله وأنا آمنة من السبي؟

أيسرك أن تسلب زينب إزارها من رأسها وأنا استتري بأزاري؟

أيسرك أن تذهب من بنات الزهراء أقراطها وأنا أترّين بقرطي؟

أيسرك أن يبيضّ وجهك عند رسول الله ويسودّ وجهي عند

فاطمة الزهراء؟ والله أنتم تواسون الرجال ونحن نواسي النساء.

فرجع علي بن مظاهر إلى الحسين عليه السلام وهو يبكي، فقال له

الحسين عليه السلام: ما يبكيك؟

فقال: سيدي، أبت الأسدية إلا مواساتكم. فبكى الحسين عليه السلام وقال: جزيتم منا خيراً» (١)..
 ما أعظم موقفها، وأقوى شكيمتها، وأثبت جنانها، وأشد يقينها، وأجمل صنيعها.. مثل هذه اللبوة الوفية، لا يحدثنا التاريخ عن نسبها أكثر من أئمة أسدية!

المثال الثاني: دلهم زوجة زهير بن القين

دلهم بنت عمرو زوجة زهير بن القين صاحب ميمنة الإمام الحسين عليه السلام.
 ورد اسمها في بعض المصادر «دلهم بنت عمرو»، وفي بعضها «ديلم بنت عمرو».
 ولم نجد في كتب الرجال والتاريخ لها أي ذكر إلا بعد أن جاء رسول الحسين عليه السلام يدعو زهيراً.
 بيد أن موقفها الذي سجله التاريخ بكل عزّ وافتخار جعلها في رتبة النساء المميّزات، وكشف عن عمق ولائها، ومعرفتها بالحق، وأدبها الرفيع في التعامل مع إمامها وزوجها (٢).

(١) معالي السبطين للحائري: ١ / ٣٤٢، موسوعة الإمام الحسين عليه السلام: ٣ / ١٣٥.

(٢) انظر للمزيد: كتاب «زهير بن القين علوي خرج يتلقّى الحسين عليه السلام» للمؤلف.

المثال الثالث: المرأة من آل بكر بن وائل

روى حميد بن مسلم قال:

«رأيت امرأة من بني بكر بن وائل كانت مع زوجها في أصحاب
عمر بن سعد، فلما رأت القوم قد اقتحموا على نساء
الحسين عليه السلام فسطاطهنّ، وهم يسلبونهنّ، أخذت سيفاً
وأقبلت نحو الفسطاط وقالت:

يا آل بكر بن وائل! أتسلب بنات رسول الله صلى الله عليه وآله؟! لا حكم إلا
لله، يا لثارات رسول الله صلى الله عليه وآله.

فأخذها زوجها وردّها إلى رحله» (١) ...

أرأيت الحميّة والغيرة والشجاعة والوعي العميق؟!

تخرج امرأة في معسكر الأعداء.. تحمل سيفاً! تريد أن تذبّ عن
عرض رسول الله صلى الله عليه وآله، وترفع شعاراً واعياً ينمّ عن عميق معرفتها وبُعد
نظرها.. الثأر.. ثأر النبي صلى الله عليه وآله.. العيال عيال النبي صلى الله عليه وآله.. الخيام خيام
النبي صلى الله عليه وآله.. العرض عرض النبي صلى الله عليه وآله.. ناموس النبي صلى الله عليه وآله.. حرمة
النبي صلى الله عليه وآله.

(١) اللهوف للسيد ابن طاووس: ١٣٠، مثير الأحران لابن نما: ٧٧، بحار الأنوار

ثم نرى المؤرخ لا يجود لنا حتى باسمها، أو اسم زوجها.. رحمها إذ استصرخت واستجاشت آل بكر بن وائل فعرفنا انتماءها..
ولم يقتصر الأمر على النساء فقط، بل شمل الرجال والمصاييح التي أنارت الدنيا والآخرة، نذكر لذلك مثلاً واحداً:

المثال الرابع: الأسدّي الذي كان ينتظر الحسين عليه السلام في كربلاء

روى ابن عساكر في تاريخ دمشق مسنداً عن العريان بن الهيثم قال: «كان أبي يتبدّى، فينزل قريباً من الموضع الذي كان فيه معركة الحسين عليه السلام، فكنا لا نبدو إلا وجدنا رجلاً من بني أسد هناك!

فقال له: إنّي أراك ملازماً هذا المكان؟
قال: بلغني أنّ حسيناً يقتل ها هنا، فأنا أخرج لعلّي أصادفه فأقتل معه.

فلما قتل الحسين عليه السلام قال أبي: انطلقوا ننظر هل الأسدّي فيمن قتل؟

وأتينا المعركة، فطوّفنا، فإذا الأسدّي مقتول» (١)..

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر: ١٤ / ٢١٦، قال محقق الكتاب: الخبر نقله ابن العديم في بغية الطلب ٦ / ٢٦١٩.

المنتظر الذي أدرك ما أمّل.. سكن البرية، واعتزل العمران
والبشرية، واختار تحمّل الهجير والرمضاء والفيافي والصحراء منذ زمن
بعيد انتظاراً لنصرة سيّد شباب أهل الجنة وسبط خير البرية والفوز
بالشهادة معه! إنّه وجود مقدّس يُعدّ استثناءً مشرقاً ومشرقاً في تاريخ
البشر.. لم يذكروا لنا حتّى اسمه؟!

والأمثلة على ذلك في قيام سيّد الشهداء ﷺ فقط كثيرة جداً
تتسع لكتاب كبير، مثل الإخوة الأربعة من اليمن الفتيان الطوال
كالنخلات أصحاب المعجزة التي أظهرها لهم أمير المؤمنين ﷺ في
أختهم (١)..

وابن أخ أسيد بن حذيفة، وأسد الكلبّي، وشهداء الحملة الأولى،
والرجال الذين التحقوا بمعسكر التوحيد ليلة العاشر من المحرم، وهكذا..
فلا نطيل.

فمن المتوقع أن لا يسعفنا التاريخ بتفاصيل نسبها أو تفاصيل عن
حياتها قبل وبعد موقفها.

السبب الثاني: كونها أمة

كان الموالي من غير العرب ممتنّين اجتماعياً لا يقام لهم وزن ولا

(١) انظر تفصيل قصّتهم في نوادر المعجزات للطبري الشيعي: ٣٠.

يحسب لهم حساب ضمن الأعراف الجاهليّة السائدة.. فهم لا يهتمّون بأسمائهم وأنسابهم، وغالباً ما يغيّرون أسماءهم إلى أسماء يحبّونها ويتفألون بها، ولا يعدّونهم في المحاربين والقتلى إذا وقعت معركة بينهم، ويحسب كلّ مولى على سيّده، إلّا إذا كان المولى له ميزة وخصوصيّة ترفعه إلى صفّ الأحرار بالاهتمام.

فإذا كانت «طوعة» مولاة كما في بعض المصادر، فمن الطبيعي أن لا يعرف لها نسب ولا عشيرة ضمن حسابات ذلك الزمان.

* * * * *

المهمّ، إن أغفل التاريخ نسب طوعة لأيّ سبب كان، فقد كان لها موقفها في الكوفة مع المولى الغريب عليه السلام حسباً ونسباً جعلها مفخراً لأهل الحفاظ والغيارى والعظماء..

زوجها

قال الشيخ عبد الواحد المظفر رحمته الله في هامش كتابه سفير

الحسين عليه السلام:

«أسيد هذا هو زوج طوعة، هو أسيد بن مالك، كان شرطياً
عند ابن زياد ومن حرسه الخاص، وشهد حرب الحسين عليه السلام
مع عمر بن سعد، وصدرت منه أعمال خبيثة، شرك في قتل
عبد الله بن مسلم بن عقيل، وفي رواية البحار: وكان أحد
العشرة الذين داسوا جسد الحسين عليه السلام بحوافر خيلهم، وهؤلاء
العشرة أخذهم المختار فبطحهم وضرب في أيديهم وأرجلهم
سكك الحديد وأجرى عليهم الخيل، وهم أحياء حتى قطعتهم

بجوافرها» (١).

وعبارة الشيخ المجلسي ؑ في البحار هي نفس عبارة السيّد ابن طاووس في اللهوف (٢)، قال:

«... ثمّ نادى عمر بن سعد في أصحابه: من ينتدب للحسين

فيوطى الخيل ظهره، فانتدب منهم عشرة، وهم:

إسحاق بن حوية الذي سلب الحسين ؑ قميصه.

وأخنس بن مرثد.

وحكيم بن الطفيل السنبي.

وعمرو بن صبيح الصيداوي.

ورجاء بن منقذ العبدي.

وسالم بن خيثمة الجعفي.

وواظ بن ناعم.

وصالح بن وهب الجعفي.

وهانئ بن ثبيت الحضرمي.

وأسيد بن مالك.

(١) سفير الحسين ؑ للشيخ المظفر: ٩٤.

(٢) اللهوف للسيّد ابن طاووس: ١٣٥.

فداسوا الحسين عليه السلام بحوافر خيلهم حتى رَضُوا ظهره وصدره.
قال: وجاء هؤلاء العشرة حتى وقفوا على ابن زياد، فقال أسيد
ابن مالك أحد العشرة:
نحن رضضنا الصدر بعد الظهر بكلّ يعبوب شديد الأسرِ
فقال ابن زياد: من أنتم؟

فقالوا: نحن الذين وطأنا بخيولنا ظهر الحسين حتى طحنا
جناجن صدره، فأمرهم بجائزة يسيرة.

قال أبو عمرو الزاهد: فنظرنا في هؤلاء العشرة، فوجدناهم جميعاً
أولاد زنا، وهؤلاء أخذهم المختار، فشدّ أيديهم وأرجلهم
بسكك الحديد وأوطأ الخيل ظهورهم حتى هلكوا» (١).

وعده البلاذري في أنساب الأشراف فيمن انتهب رحل الحسين عليه السلام
ومال على الورس والحلل والإبل، قال:

«.. ومال الناس على الورس والحلل والإبل فانتهبوها، وأخذ
الرحل ابن زهير المجعفي وجري بن مسعود الحضرمي وأسيد بن
مالك الحضرمي أكثر تلك الحلل والورس» (٢) ...

(١) بحار الأنوار: ٤٥ / ٥٩.

(٢) أنساب الأشراف للبلاذري: ٣ / ٢٠٤.

وعده ابن سعد - في أحد قولين - قاتل عبد الله بن عقيل، قال ابن

سعد:

«وعبد الله بن عقيل، الآخر، وأمه أم ولد، قتله عمرو بن

صبيح الصدائي، ويقال: قتله أسيد بن مالك الحضرمي» (١).

وعده الطبري - في أحد قولين - قاتل عبد الله بن مسلم بن

عقيل عليه السلام، قال:

«وقتل عبد الله بن مسلم بن عقيل بن أبي طالب، وأمه رقية

ابنة علي بن أبي طالب، وأمها أم ولد، قتله عمرو بن صبيح

الصدائي، وقيل: قتله أسيد بن مالك الحضرمي» (٢).

يبقى أن ما جاء في أخبار المولى الغريب عليه السلام ومجريات الأحداث في

الكوفة، التصريح باسم زوج طوعة ونسبته من دون الإشارة إلى اسم

أبيه، فكل من ذكره قال: «أسيد الحضرمي»، وما جاء في الأخبار التي

ذكرناها آنفاً التصريح باسم أبيه أيضاً، فهل هما واحد؟

نترك الجواب للمحقق المرحوم الشيخ المظفر رحمته الله إذ عدهما واحداً،

وهو خير في التاريخ وعارف برجاله، فإن كان حدساً منه رحمته الله، فالتوقف

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد: خ ١ / ٤٧٧.

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٤٦٩، الكامل في التاريخ: ٤ / ٩٣.

أجمل، وإن كان ثابتاً لديه بالقرائن أو النصوص التاريخية، فالقول قوله.
وقد صرح الشيخ شمس الدين في كتاب «أنصار الحسين عليه السلام» (١)
أنها كانت أرملة، فيلزم أن يكون زوجها ميتاً ولا يمكن أن يكون له وجود
في كربلاء.

(١) أنصار الحسين عليه السلام لشمس الدين: ١٩١.

عمرها

لم يحدّد المؤرّخون عمرها بالضبط ، ولكن الطبري وأبو الفرج الأصفهاني وابن الأثير، وابن كثير والشيخ المفيد والفتّال النيسابوري والعلامة المجلسي والفاضل البحراني، اتّفقوا قولاً واحداً أنّها كانت عجوزاً.

قال الطبري:

«... وأصبح ابن تلك العجوز وهو بلال بن أسيد الذي أوت

أمّه ابن عقيل»^(١)..

وقال أبو الفرج:

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧١.

«.. وأصبح بلال ابن العجوز التي آوت ابن عقيل» (١) ..

وقال ابن الأثير:

«.. فلمّا أصبح جلس للناس. ولمّا أصبح بلال ابن تلك

العجوز التي آوت مسلم بن عقيل» (٢) ..

وقال الشيخ المفيد، وابن كثير، والفتّال النيسابوري، والمجلسي،

والبحراني:

«.. وأصبح ابن تلك العجوز فغدا إلى عبد الرحمن» (٣) ..

ونحسب أنّ المصدر الأول لهذا القول إنّما هو الطبري، فهو أقدمهم،

وفي نصوص من تأخّر عنه شواهد تدلّ على الأخذ عنه.

والعجوز من النساء: الشَّيْخَةُ الهَرِمَةُ، وهي المرأة الكبيرة

المسنّة (٤)، سمّيت بذلك لأنّها عجزت عن أكثر الأمور (٥).

(١) مقاتل الطالبين: ١٠٤.

(٢) الكامل لابن الأثير: ٤ / ٣٢.

(٣) الارشاد للمفيد: ٢ / ٥٣ وما بعدها، البداية والنهاية لابن كثير: ٥ / ١٥٥،

البحار للمجلسي: ٤٤ / ٣٥٠، العوالم للبحراني: ١٧ / ١٩٩، أسرار الشهادة

للدربندي: ٢٢٣ / نفس المهموم للقمي: ١٠٦، روضة الواعظين للفتال: ١٥٠،

أعيان الشيعة للأمين: ١ / ٥٩٢، لواعج الأشجان: ٥٥.

(٤) انظر: لسان العرب مادة «عجز».

(٥) انظر: مجمع البحرين للطريحي مادة «عجز».

فهي امرأة طاعنة في السنّ، قد أكلت السنون أيّامها، وشيخة هرمة قد علّمتها السنين دروساً من تجاربها ومنحتها الخبرة والحنكة في التعامل مع الأحداث.

ومعنى أنّها هرمة مسنة، أنّها عاشت الفترة المظلمة المhalكة منذ أيّام السقيفة، مروراً بما جرى على أهل بيت النبي ﷺ خلال حكم الملوك الثلاثة، إلى الطامة الكبرى التي أتت على البلاد والعباد حين نزل قردة بني أمية على الحكم والسلطان..

عاشت حكم الطاغوت وما تبعه من خوف ورعب وإرهاب وقتل على الظنّة والتهمة، وتعقّب الصالحين تحت كلّ حجر ومدر، وحملات التهجير، والإبادة التي تعرّض لها المجتمع الكوفي إبان حقبة الحكم الأمويّ بالخصوص..

ومعنى أنّها هرمة مسنة، أنّها عاشت في أفياء حكم سلطان الدنيا والآخرة، أمير المؤمنين عليه السلام، واستروحت عبير الأمن والأمان والإيمان، ورفلت في ظلّ الرخاء والعطاء والسعادة والحنان العلويّ.

يعني أنّها عاشت الكوفة يوم أشرقت عليها أنوار السيّدة الصديقة الصغرى، وأضاءت بمصابيح آل محمّد رجالاً ونساءً، بوجود الإمامين الحسين عليه السلام، ووجود بنات أمير المؤمنين عليه السلام بما فيهنّ رقية، زوجة المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام، وفاح منها أريج الوجود المسلمي

المقدّس ...

وكان الناس - ولا زالوا - يهتمّون بأرحام العظماء وأقربائهم
وأصهارهم.. فكيف بمن فرض الله معرفته على العباد؟!

محلّتها

لم يحدّد لنا التاريخ موضع بيتها بالضبط، مع أنّه يعتبر قضية غاية في الأهميّة، إذ صار معقلاً مهمّاً من معاقل أهل البيت عليه السلام في ليلة من ليالي التاريخ، وصار مناراً للفخر والشهامة والشرف والجوار يحقّ للشرفاء وأهل الحفاظ أن يفخروا به، وصار كانونا يشعّ منه نور الفضيلة في بقعة غمرها الظلام والاستسلام..

والأهمّ من ذلك أنّه صار موضعاً شهد أشدّ المساجلات والمعارك الضارية التي شهدتها الكوفة عبر تاريخها الطويل.. معركة غير عادية بكلّ الموازين والمقاسات، يوم قابل الليث الطالبيّ جموع الكتائب وردّها، وحطّم أكداس السلاح وصدّها..

ولكي نستكشف موضع البيت على نحو التقريب، علينا أن نتردّد في

صفحات كتب المؤرخين، ونستنطق نصوصهم، فلعلنا نصل قريباً من دارها..

وقد انقسمت المتون التاريخية من حيث تحديد البلد إلى قسمين:

القسم الأول: الحيرة

انفرد - حسب فحصنا - كتاب أبي مخنف المشهور بالنص على أنّ المولى الغريب عليه السلام خرج من الكوفة وأتى الحيرة، واستضافته هناك امرأة، وربما نصّ على ذلك الطريحي في المنتخب تبعاً لهذه النسخة من مقتل أبي مخنف، فقال أبو مخنف:

«فلما سمع مسلم بن عقيل عليه السلام قتل هاني عليه السلام، خرج من داره التي كان فيها يخترق الشوارع حتى خرج من الكوفة، وأتى الحيرة وجعل يدور فيها، حتى بلغ إلى دار عالية البنيان» (١) ...

وقال الطريحي في المنتخب:

«قال الناقلون: لما وصل خبر هاني إلى مسلم، خرج من الدار [دار هاني] هارباً حتى انتهى إلى الحيرة، فأضافته امرأة هناك بعد ما سألته عن حاله وقصته» (٢) ...

(١) مقتل أبي مخنف المشهور: ٣١.

(٢) المنتخب للطريحي: ٢ / ٤٢٥.

وبناءً على ما في النصّين لا يمكن حمل «الحيرة» على منطقة أو محلة في الكوفة، لأنّ المقتل يصرّح بخروجه من الكوفة..

وخبر المقتل المشهور - بغضّ النظر عن الكتاب نفسه - فيه من الشذوذ في نقل الأحداث ما يعين على تقديم أخبار القسم الثاني عليه بدون عناء.

القسم الثاني: الكوفة

عدا ما ذكرنا في القسم الأوّل فإنّ كلّ مصدر وقع بأيدينا وجدناه ينصّ على أنّ بيت طوعة في الكوفة، ولكنّها اختلفت في التحديد من حيث الإشارة إلى عنوان قد يقرب الباحث عن دارها أكثر من غيره، ويمكن تقسيم أخبارهم إلى ثلاثة عناوين:

العنوان الأوّل: لم تحدّد المنطقة

لم يحدّد الطبري في إحدى رواياته، والشجري في الأمالي والمزّي في تهذيب الكمال وابن حجر في تهذيب التهذيب وابن حبان في الثقات المنطقة بالضبط، فقالوا:

«.. فلمّا رأى مسلم أنّه قد بقي وحده يتردّد في الطرق أتى باباً

فنزل عليه، فخرجت إليه امرأة» (١)..
 وهذا العنوان لا يفيد غير أن يحصر البيت في الكوفة.

العنوان الثاني: حيّ كندة

قال ابن سعد:

«وجاء الليل فهرب!! مسلم حتى دخل على امرأة من كندة

يقال لها: طوعة» (٢)..
 وقال الدينوري:

«... فضى هائماً على وجهه في ظلمة الليل، حتى دخل حيّ

كندة، فإذا امرأة قائمة على باب دارها» (٣)...

وقال البلاذري:

«.. خرج متوجّهاً نحو أبواب الكندة، وتفرّق عنه الباكون حتى

بقي وحده يتلدد في أزقة الكوفة، ليس معه أحد، ودفع! إلى

باب امرأة يقال لها طوعة» (٤)..

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٠، الأمالي للشجري: ١ / ١٩١، تهذيب الكمال للمزي: ٦

/ ٤٢٦، تهذيب التهذيب لابن حجر: ٢ / ٣٥١.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد: خ ١ / ٤٦١.

(٣) الأخبار الطوال: ٢٤٠.

(٤) جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٣٣٨، أنساب الأشراف: ٢ / ٨١.

وقال أيضاً:

«... ولجأ مسلم إلى دار من دور كندة» (١)..
فأخذ نحو كندة، فلمّا مضى قليلاً التفت، فلم يرمّنهم أحداً، ولم

يصب إنساناً يدّله على الطريق، فمضى هائماً على وجهه في ظلمة الليل
حتّى دخل على كندة، فإذا امرأة قائمة على باب دارها تنتظر ابنها،
وكانت ممّن خفّ مع مسلم فأوته وأدخلته بيتها (٢) ...

وفي تاريخ الطبري:

«... فخرج مسلم فدخل داراً من دور كندة» (٣)..
وهذه الأخبار تفيد حصر الدار في دائرة أضيق من أخبار العنوان

الأول، فلا يعدّو أن يكون في محلّة كندة، وكانت كندة تسكن في جهة
القبلة جنوباً (٤).

غير أنّ كندة كبيرة ومحلّتها واسعة منتشرة.

(١) أنساب الأشراف: ٣ / ٢٢٤، جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٣ / ٣٧١،

٤٢٢.

(٢) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣٩.

(٣) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٩١.

(٤) انظر: تاريخ الكوفة للبراق: ١٦٣.

العنوان الثالث: دور بني جبلة من كندة

حدّد الطبري في إحدى رواياته وأبوالفرج في المقاتل والشيخ المفيد في الإرشاد والفتال في روضة الواعظين المنطقة تحديداً يحصر المحلّة من حيّ كندة، ويقربنا أكثر من بيت طوعة، قالوا:

«.. فمضى على وجهه يتلدد في أزقة الكوفة لا يدري أين

يذهب! حتّى خرج إلى دور بني جبلة من كندة، فمضى حتّى

انتهى إلى باب امرأة يقال لها: طوعة» (١)..

وبهذا نعرف أنّ دارها كانت في الكوفة في جهة القبلة جنوباً، في

منطقة بني جبلة من حيّ كندة.

* * * * *

تبقى هنا إشارتان ربما تعين الباحث على تحديد أكثر لموقع الدار،

وهما:

الإشارة الأولى: لم يكن بيتها قريباً من المسجد

يبدو من النصوص التاريخية أنّ دار طوعة لم يكن قريباً جداً من

المسجد الأعظم، ويشهد لذلك تعبير المؤرّخ بما يفيد أنّ المولى

الغريب عليه السلام جعل يتردّد في أزقة الكوفة ويطوف في شوارعها ويمشي

حتّى أتى الباب..

«ففضى على وجهه يتلدد في أزقة الكوفة لا يدري أين
يذهب! حتّى خرج إلى دور بني جبلة من كندة، فمشى حتّى
انتهى إلى باب امرأة يقال لها: طوعة» (١) ...

ربما كان هذا النصّ - وغيره من النصوص التي مرّت معنا مراراً -
معبراً عن وجود مسافة غير قصيرة بين دارها والمسجد الأعظم، لكنّه
يبقى محصوراً بين كري سعد «كري سعدة» والمسجد الأعظم، لأنّ الكري
كان حدّاً للكوفة من تلك الجهة (٢)، وهو لا يبعد عن المسجد الأعظم
أكثر من كيلومترين (٣) ..

الإشارة الثانية: بيتها في زقاق

كانت الكوفة مقسّمة يومذاك إلى مناهج وسكك وأزقة، وهي
تختلف حسب السعة عرضاً من خمسين ذراعاً إلى خمسة وعشرين
ذراعاً، وهكذا.

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧١.

(٢) انظر: تاريخ الكوفة للبراق: ١٥٥.

(٣) نرجو من الله أن يوفّقنا أو يوفّق ذوي الاختصاص لتحديد موقع جبلة من
كندة في بقعة معيّنة من حيّ كندة، الذي لا زال يحمل نفس الاسم إلى اليوم.

وقد انقسمت المصادر في تحديد موقع بيت طوعة إلى ثلاث أقسام:

منها: ما لم يصرح بالزقاق أو الشارع.

ومنها: ما عبّر بالشارع.

ومنها: ما عبّر بالزقاق.

ويبدو أنّ الطائفة الثالثة هي الأكثر والأضبط في التعبير، إذ أنّه دار في حيّ، فيقتضي- أن يكون واقعاً في زقاق لا في سكة ولا منهج، كما يمكن حمل الشارع على الزقاق ...

صفة الدار

لم نجد - حسب فحصنا - مصدراً يرسم لنا صفة الدار من الخارج سوى ما ذكر في مقتل أبي مخنف المشهور ونور العين للأسفراييني:

«قال أبو مخنف: فلما سمع مسلم بن عقيل عليه السلام قتل هاني رضي الله عنه،

خرج من داره التي كان فيها يخترق الشوارع حتى خرج من

الكوفة، وأتى الحيرة وجعل يدور فيها، حتى بلغ إلى دار عالية

البنيان، وفيها دهليز كبير، وامرأة جالسة على باب الدهليز،

فوقف مسلم ينظر إليها» (١).

وفي نور العين في مشهد الحسين عليه السلام:

(١) مقتل أبي مخنف المشهور: ٣١.

«فبينما هو يمشي إذ رأى داراً عالية وامرأة جالسة على

بابها» (١) ...

وبالرغم من أنّ خبر المقتل يتحدّث عن الدار في الحيرة، فإنّه وصف للدار.

وقد اتّفقا على أنّ الدار كانت عالية البنيان، وزاد في مقتل أبي مخنف المشهور أنّ فيها دهليزاً كبيراً..

وهذه الصفة تنبؤ عن دار ضخمة فخمة منيفة في تلك الأعصار، لأنّ التعبير بارتفاع البنيان وعلوّه يحكي تكثر مرافقه، وربما أفاد أنّه أكثر من طابق، ووجود الدهليز يحكي سعته وامتداده في العمق..

أمّا من الداخل فقد أفاد الطبري وابن كثير والشيخ المفيد وأبو الفرج والقتال وغيرهم، واللفظ للطبري:

«فأدخلته بيتاً في دارها غير البيت الذي تكون فيه، وفرشت له، وعرضت عليه العشاء فلم يتعشّ، ولم يكن بأسرع من أن جاء ابنها، فرآها تكثر الدخول في البيت والخروج منه، فقال: والله إنّّه ليربيني كثرة دخولك هذا البيت منذ الليلة وخروجك منه! إنّ لك لشأناً»..

(١) نور العين في مشهد الحسين عليه السلام للاسفرائيني: ٢٧.

وهذا النص يفيد صراحة أنَّ الدار كان فيها أكثر من بيت «غرفة»،
لأنَّها «أدخلته بيتاً في دارها غير البيت الذي تكون فيه...».
وربما أفاد أنَّ البيت الذي نزل فيه المولى الغريب عليه السلام لم تكن تعتاد
دخوله لاستغنائها عنه، حيث أثار فضول ابنها حسب النص.

سبب وقوفها على الباب

اختلفت المصادر في تقرير الموقف، كما اختلفت من قبل، وسوف نقسمها إلى وقفات لنستطلع الأمر:

الوقفة الأولى: مصادر لم تذكر وقوفها

أغفلت بعض المصادر ذكر الوقوف على الباب، ولم تتعرض لذلك نفيًا أو إثباتًا:

قال ابن سعد:

«... وجاء الليل فهرب!! مسلم حتى دخل على امرأة من كندة يقال لها: "طوعة"، فاستجار بها»^(١)..

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد: خ ١ / ٤٦١.

وقال البلاذري:

«ودفع! إلى باب امرأة يقال لها: "طوعة"، فاستسقى ماء، فسقته» ...

وقال الطبري:

«... فخرج مسلم فدخل داراً من دور كنده، فجاء رجل إلى محمد بن الأشعث وهو جالس إلى ابن زياد، فسأره، فقال له: إن مسلماً في دار فلان» (١) ..

ربما يقال: إن قوله «حتى دخل» و«فدخل..» يفيد أنها لم تكن واقفة بالباب، وإنما دخل عليها المولى الغريب عليه السلام، فإن صحّت الإفادة يدخل النصّ في الوقفة الثانية.

الوقفة الثانية: لم تكن واقفة على الباب

تفيد نصوص هذه الوقفة أنّ طوعة لم تكن واقفة على الباب، وإنما خرجت إليه بعد أن نزل على بابها:

قال الطبري، والشجري والمزي وابن حجر:

«فلما رأى مسلم أنه قد بقي وحده يتردد في الطرق أتى باباً فنزل عليه، فخرجت إليه امرأة، فقال لها: اسقيني،

فسقته» (١) ..

وقال ابن الجوزي:

«فجاء إلى باب فجلس عليه فجاءته امرأة أو خرجت إليه
فقال لها: يا أمة الله اسقيني ماءً، فسقته وقالت: من أنت؟
فقال: أنا مسلم بن عقيل، فقالت: ادخل فدخل، وكانت المرأة
أم مولى لمحمد بن الأشعث» (٢).

وقال ابن كثير في البداية والنهاية:

«... فأتى باباً فنزل عنده وطرقه، فخرجت منه امرأة يقال لها:
طوعة» (٣) ..

وعبارة ابن كثير أكثر العبارات وضوحاً حيث أفاد أنها إنما خرجت
بعد أن طرق المولى الباب ..

الوقف الثالث: كانت واقفة على الباب من دون ذكر السبب

صرحت بعض المصادر بوقوفها على الباب من دون ذكر السبب:

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٠، الأماشي للشجري: ١ / ١٩١، تهذيب الكمال للمزي: ٦

/ ٤٢٦، تهذيب التهذيب لابن حجر: ٢ / ٣٥١.

(٢) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ١٣٨، ١٤٠.

(٣) البداية والنهاية: ٨ / ١٥٥.

قال ابن الأعثم فى الفتوح:

«... وكانت المرأة واقفة على باب دارها، فسلم عليها مسلم بن عقيل، فردّت عليه السلام» (١).

وقال ابن حبان فى الثقات:

«... فمضى مسلم بن عقيل على وجهه وحده، فرأى امرأة على باب دارها، فاستسقاها ماءً» (٢) ..

الوقفة الرابعة: كانت واقفة تنتظر ولدها

صرّح الطبرى فى إحدى رواياته أنّها كانت واقفة على الباب تنتظر ولدها، وكأنّه يخبر عن قلقها عليه لخروجه مع الناس، وكان الوضع يومئذٍ ملتهباً، وقد دهمها الليل وتأخّر الوقت وهو بعد لم يعد إلى البيت، فخرجت تترقّب الطريق وتتسقط الأخبار وتستعجل عودته إليها..

قال الطبرى:

«... فمضى على وجهه يتلدد فى أزقة الكوفة لا يدري أين يذهب! حتّى خرج إلى دور بني جبلة من كنده، فمضى حتّى انتهى إلى باب امرأة يقال لها: طوعة، أمّ ولد كانت للأشعث

(١) الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٨٨.

(٢) الثقات لابن حبان: ٢ / ٣٠٨.

ابن قيس، فأعتقها، فتزوّجها أسيد الحضرمي فولدت له بلالاً، وكان بلال قد خرج مع الناس وأمه قائمة تنتظره، فسلم عليها ابن عقيل» (١) ..

وقال ابن الأثير:

«فلما رأى ذلك خرج متوجّهاً نحو أبواب كندة، فلما خرج إلى الباب لم يبق معه أحد، فمضى في أزقة الكوفة لا يدري أين يذهب، فأنتهى إلى باب امرأة من كندة يقال لها: "طوعة" أم ولد كانت للأشعث وأعتقها، فتزوّجها أسيد الحضرمي فولدت له بلالاً، وكان بلال قد خرج مع الناس وهي تنتظره» (٢) ..

وقال أبو الفرج في مقاتل الطالبين:

«وكان بلال قد خرج مع الناس، وأمه قائمة تنتظر، فسلم عليها ابن عقيل، فردّت السلام» (٣) ..

وقال الشيخ المفيد:

«.. وكان بلال قد خرج مع الناس فأمه قائمة تنتظره فسلم

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧١ وما بعدها.

(٢) الكامل لابن الأثير: ٤ / ٣٢.

(٣) مقاتل الطالبين لأبي الفرج: ١٠٤.

عليها ابن عقيل فردّت عليه» (١) ..

ملاحظات

الملاحظة الأولى: أوّل من روى الانتظار الطبري

يلاحظ أنّ المصادر القديمة - حسب فحصنا - لم تنصّ على وقوفها بالباب أو على سبب وقوفها، سوى ما ذكره الطبري في إحدى رواياته، والذين جاءوا من بعده من قبيل أبي الفرج وابن الأثير والشيخ المفيد، والشواهد تشير إلى أخذهم عنه ..

الملاحظة الثانية: تحليل المؤرّخ

ذكرنا في أكثر من مناسبة أنّ المؤرّخ والراوي يصوغان الحدث وفق بناءاتهم العقلية والدينية والذهنية والنفسية وغيرها من المؤثرات، ولكنّه أحياناً يضيف تحليلاً أو تصوّراً بصراحة ليعلّل به المشهد أو يتمّم به الصورة التي يريد لها أن تظهر للعيان أمام القارئ ..

وهنا نحسب أنّ ما ذكره الطبري كان من هذا القبيل، إذ لم يصرح بذلك أحد من أشخاص الحدث، لا طوعة نفسها ولا ابنها ولا غيرها، وإنّما هذا ما تصوّره أو ما صوّره لنا المؤرّخ تفسيراً لوقوفها على الباب .

ويمكن أن نفترض لوقوفها أسباباً أخرى من قبيل: أنها كانت واقفة
تنتظر البطل الهاشمي مسلماً عليه السلام بناءً على احتمال أن تكون مُبلغة
بمجيء المولى مسلم عليه السلام عندها، وأنها كانت تنتظره إلا أنها لا تعرفه
شخصاً وصورة، كما مرّ فيما مضى من البحث.

أو أنها كانت واقفة ترقب الأحداث، وهي امرأة لا تريد الخروج، وما
شاكل من الفرضيات التي تنسجم مع المشاهد الآتفة الذكر..

كيف حصل اللقاء

ذكرنا فيما مضى بعض الاحتمالات عند الحديث عن مشاهد موقف المولى الغريب عليه السلام والنصوص المؤيدة لها، وهنا نذكر بعض النصوص التي تصوّر لنا كيفية لقاء المولى الغريب عليه السلام بطوعة، وقد اختلف المؤرّخون في تصوير ذلك:

الصورة الأولى: دخل عليها واستجار بها!

قال ابن سعد:

«وجاء الليل فهرب مسلم حتّى دخل على امرأة من كندة يقال لها: طوعة، فاستجار بها»^(١)..

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد: خ ١ / ٤٦١.

لقد ناقشنا هذا الخبر في أكثر من موضع، ونرى من القبيح أن نذكره، لولا ضرورة البحث التي تدعونا لاستقصاء ما وقع لنا من النصوص التاريخية، ولولا ذلك لكان من التفاهة والسخافة والحمق اعتبار كلام ابن سعد خبراً يناقش وكلاماً يعرض على مجنون ليصدقَه فضلاً عن العاقل.

لكننا ذكرناه لنعرف مدى مظلوميّة المولى الغريب مسلم بن عقيل ﷺ والمجسّرة التي تعرّض لها من قبل حفنة من الجهلة وشرذمة من شذاذ الآفاق، حتّى جرّت بهم الوقاحة أن تسيل أقلامهم بهذا اللعاب اللزج الموبوء..

هرب؟! ثمّ دخل على امرأة؟! هكذا اقتحم عليها اقتحام المضطرّ المستكين؟! ثمّ استجار بامرأة؟!!

أمسلم بن عقيل البطل الهاشمي والليث الطالبّي والشجاع الحيدريّ والكريم الحسيني، والأبي الحسيني يستجير؟! يستجير؟! يستجير بامرأة؟! ولتكن طوعة رضوان الله عليها من تكون.. تبقى امرأة من عرض الناس الأشراف النبلاء والصالحين العظماء، لكنّها تلجأ إلى الضيغم الطالبّي مسلم وتستجير به، ولا تكون مستجاراً له.. لو أنّ الكوفة وما والهّا استجاروا جميعاً بسيف مسلم بن عقيل لأجارهم وحماهم..

هكذا هو التاريخ، وسترى في بعض الصور القادمة مشاهد قائمة

ينبو عنها الطبع السليم.

الصورة الثانية: استسقى ثم طلب المأوى

قال البلاذري:

«.. ودفع! إلى باب امرأة يقال لها: "طوعة"، فاستسقى ماءً، فسقته، ثم قال: يا أمة الله أنا مسلم بن عقيل بن أبي طالب، كذبي هؤلاء القوم، وغروني، فأويني، فأدخلته منزلها وآوته» (١) ..

ربما يستفاد من قوله: «ودفع» أنه اضطرَّ إلى باب طوعة، فيحمل على أحد المشاهد التي أسلفناها في تصوير موقفه عليه السلام.

الصورة الثالثة: طرق الباب

في البداية والنهاية لابن كثير:

«.. فذهب على وجهه واختلط الظلام وهو وحده يتردد في الطريق لا يدري أين يذهب، فأتى باباً فنزل عنده وطرقه، فخرجت منه امرأة يقال لها: طوعة» (٢) ..

(١) جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٣٣٨، أنساب الأشراف: ٢ / ٨١.

(٢) البداية والنهاية: ٨ / ١٥٥.

هذه الصورة أيضاً تقبل بالمقدار الذي يوافق بعض المشاهد الآنفه في تصوير موقفه عليه السلام، بشرط أن لا يكون فيها خدش بساحة قدسه، أو تشويه لحقيقة أمره.

الصورة الرابعة: نزل على باب

روى الطبري والمزني وابن حجر والشجري:

«... فلما رأى مسلم أنه قد بقي وحده يتردد في الطرق أتى باباً فنزل عليه، فخرجت إليه امرأة، فقال لها: اسقيني، فسقته» (١) ..

وهي صورة تختلف عن غيرها حيث أنّ الحرّة طوعة لم تكن تقف على باب دارها وإنما طرق المولى عليها الباب فخرجت إليه، فاستسقاها..

الصورة الخامسة: كانت تنتظر ولدها فأدخلته

أفاد الدينوري والطبري أنّ طوعة كانت واقفة على باب دارها تنتظر ابنها فوجدها المولى الغريب عليه السلام.

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٠، الأمالي للشجري: ١ / ١٩١، تهذيب الكمال للمزني: ٦

قال الدينوري:

«... فمضى هائماً على وجهه في ظلمة الليل، حتّى دخل حيّ كندة، فإذا امرأة قائمة على باب دارها تنتظر ابنها» (١)..
وقال الطبري:

«... فمضى حتّى انتهى إلى باب امرأة يقال لها: طوعة، أمّ ولد كانت للأشعث بن قيس، فأعتقها، فتزوّجها أسيد الحضرميّ فولدت له بلالاً، وكان بلال، قد خرج مع الناس وأمّه قائمة تنتظره، فسلم عليها ابن عقيل، فردّت عليه، فقال لها: يا أمة الله، اسقيني ماءً» (٢)..
الصورة السادسة: جلس فخرجت إليه

قال سبط ابن الجوزي في التذكرة:

«... وجعلوا يكلمونهم، فتفرّق من كان مع مسلم، وتسألوا عنه، ودهمه الليل، وقد بقي وحده، فجاء إلى باب فجلس عليه، فجاءته امرأة أو خرجت إليه، فقال لها: يا أمة الله اسقيني ماءً فسقته» (٣) ...

(١) الأخبار الطوال: ٢٤٠.

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧١ وما بعدها.

(٣) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ١٣٨، ١٤٠.

الصورة السابعة: كانت جالسة فوقف عليها

في نور العين في مشهد الحسين عليه السلام:

«.. فبينما هو يمشي إذ رأى داراً عالية وامرأة جالسة على

بابها، فوقف ينظر إلى تلك الدار» (١)..

وهنا أيضاً - بغضّ النظر عن الكتاب ونسبته للمؤلف وما فيه من

أخبار شاذة -، ينقل لنا صورة وقوفه عليه السلام ينظر إلى تلك الدار والمرأة

جالسة على بابها بشكل مريب لا يطاق سيما إذا لوحظ مع تتمّة الخبر،

كما سيأتي الحديث عنه في «حوار الباب».

(١) نور العين في مشهد الحسين عليه السلام ط دار المنار تونس: ٢٧.

حوار الباب

اختلف المؤرخون في نص الحوار والأحداث والحركات التي زامنت الحوار بين مفصل ومجمل، واقتطعت بعضها الحوار فلم تذكره أبداً.

القسم الأول: مصادر لم تذكر حواراً

قال ابن سعد:

«... وجاء الليل فهرب! مسلم حتى دخل على امرأة من كندة يقال لها: "طوعة"، فاستجار بها»^(١)..

وقال الدينوري:

«... فمضى هائماً على وجهه في ظلمة الليل، حتى دخل حيي

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد: خ ١ / ٤٦١.

كندة، فإذا امرأة قائمة على باب دارها تنتظر ابنها، وكانت ممن خفّ مع مسلم، فأوته، وأدخلته بيتها» (١)..
وقال الطبري في إحدى رواياته:
«... فخرج مسلم فدخل داراً من دور كندة» (٢)..

القسم الثاني: مصادر ذكرت الحوار

أمّا المصادر التي ذكرت الحوار فقد نقلته بصورشتي، سنسمعها ضمن الحوارات التالية:

الحوار الأول: البلاذري

«... ودفع! إلى باب امرأة يقال لها "طوعة"، فاستسقى ماءً، فسقته.

ثمّ قال: يا أمة الله أنا مسلم بن عقيل بن أبي طالب، كذّبي هؤلاء القوم، وغروني، فأويني. فأدخلته منزلها وآوته» (٣)..

(١) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٤٠.

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٩١.

(٣) جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٣٣٨، أنساب الأشراف: ٨١ / ٢.

الحوار الثاني: الطبري، الشجري، المزي، ابن حجر

«.. فلَمَّا رأى مسلم أنه قد بقي وحده يتردّد في الطرق أتى باباً فنزل عليه، فخرجت إليه امرأة، فقال لها: اسقيني، فسقته. ثمّ دخلت، فمكثت ما شاء الله، ثمّ خرجت، فإذا هو على الباب.

قالت: يا عبد الله! إنّ مجلسك مجلس ريبة! فقم.
قال: إني أنا مسلم بن عقيل، فهل عندك مأوى؟
قالت: نعم، ادخل» (١)..

الحوار الثالث: الطبري

«.. فضى على وجهه يتلدّد في أزقة الكوفة لا يدري أين يذهب! حتّى خرج إلى دور بني جبلة من كنده، فمشى حتّى انتهى إلى باب امرأة يقال لها: طوعة، أمّ ولد كانت للأشعث ابن قيس، فأعتقها، فتزوّجها أسيد الحضرمي فولدت له بلالاً، وكان بلال، قد خرج مع الناس وأمّه قائمة تنتظره. فسلم عليها ابن عقيل، فردّت عليه.

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٠، الأُمالي للشجري: ١ / ١٩١، تهذيب الكمال للمزي: ٦ /

فقال لها: يا أمة الله، اسقيني ماءً.

فدخلت فسقته، فجلس وأدخلت الإناء، ثم خرجت، فقالت:

يا عبد الله! ألم تشرب؟! قال: بلى.

قالت: فاذهب إلى أهلك. فسكت، ثم عادت، فقالت مثل

ذلك، فسكت.

ثم قالت له: في الله! سبحان الله! يا عبد الله! فمر إلى أهلك

عافاك الله، فإنه لا يصلح لك الجلوس على بابي، ولا أحله

لك.

فقام فقال: يا أمة الله، ما لي في هذا المصرمزل ولا عشيرة،

فهل لك إلى أجر ومعروف، ولعلي مكافؤك به بعد اليوم!

فقالت: يا عبد الله، وما ذاك؟

قال: أنا مسلم بن عقيل، كذبي هؤلاء القوم وغروني.

قالت: أنت مسلم؟! قال: نعم.

قالت: ادخل، فأدخلته بيتاً في دارها غير البيت الذي تكون

فيه» (١) ..

الحوار الرابع: ابن أعثم

«... وكانت المرأة واقفة على باب دارها، فسلم عليها مسلم بن

عقيل، فردّت عليه السلام، ثمّ قالت: ما حاجتك؟

قال: اسقيني شربة من الماء فقد بلغ منّي العطش.

قال: فسقته حتّى روى، فجلس على بابها.

فقالت: يا عبد الله! ما لك جالس؟! أما شربت؟

فقال: بلى والله، ولكنّي ما لي بالكوفة منزل، وإنيّ غريب قد

خذلني من كنت أثق به! فهل لك في معروف تصطنعيه إليّ،

فإنيّ رجل من أهل بيت شرف وكرم، ومثلي من يكافئ

بالإحسان.

فقالت: وكيف ذلك؟ ومن أنت؟

فقال مسلم: خليّ هذا الكلام! وأدخليني منزلك عسى الله أن

يكافئك غداً بالجنة.

فقالت: يا عبد الله! خبرني اسمك، ولا تكتمني شيئاً من أمرك،

فإنيّ أكره أن يدخل منزلي من قبل معرفة خبرك، وهذه الفتنة

قائمة، وهذا عبيد الله بن زياد بالكوفة.

فقال لها مسلم بن عقيل: إنك لو عرفتني حقّ المعرفة

لأدخلتني دارك، أنا مسلم بن عقيل بن أبي طالب!

فقالت المرأة: قم فادخل رحمك الله!

فأدخلته منزلها» (١) ..

الحوار الخامس: ابن الأثير

«... فلما رأى ذلك خرج متوجّهاً نحو أبواب كندة، فلما خرج إلى الباب لم يبق معه أحد، ففضى في أزقة الكوفة لا يدري أين يذهب، فاتهى إلى باب امرأة من كندة يقال لها: "طوعة" ... فسلم عليها ابن عقيل وطلب الماء فسقته، فجلس.

فقالت له: يا عبد الله! ألم تشرب؟ قال: بلى.

قالت: فاذهب إلى أهلك، فسكت.

فقالت له ثلاثاً فلم يبرح.

فقالت: سبحان الله! إنّي لا أحلّ لك الجلوس على بابي.

فقال لها: ليس لي في هذا المصر منزل ولا عشيرة، فهل لك إلى

أجر ومعروف، ولعلي أكافؤك به بعد اليوم؟

قالت: وما ذاك؟

قال: أنا مسلم بن عقيل، كذّبتني هؤلاء القوم وغروني.

قالت: ادخل» (١).

الحوار السادس: نور العين في مشهد الحسين عليه السلام

«فلما علت الضجة في دار هاني لأجل قتله وكثر البكاء خرج مسلم بن عقيل، وجعل يطلب لنفسه مجيراً ودار في شوارع الكوفة.

فبينما هو يمشي إذ رأى داراً عالية وامرأة جالسة على بابها، فوقف ينظر إلى تلك الدار.

فقالت له المرأة: يا فتى، ما وقوفك على هذا الباب وفي الدار حريم؟

فقال لها: يا أمة، والله ما خطر ببالي شيء من ذلك، وإنما أنا رجل مطلوب وأريد من يجيرني بقية يومي هذا. فقالت له المرأة: من أي الناس أنت؟

فقال: من بني هاشم، أنا مسلم بن عقيل، قد غمرني هؤلاء القوم وبائعوني ونقضوا بيعتي.

فقالت: وأنا من بني هاشم، وأحقّ بإجارتك» (٢) ...

(١) الكامل: ٤ / ٣٢.

(٢) نور العين في مشهد الحسين عليه السلام ط دار المنار تونس: ٢٧.

كلمة عجلان:

اكتفينا هنا بذكر نماذج من الحوار الذي رواه المؤرخون بين المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام والمرأة النبيلة طوعة، ولا نريد مناقشتها بالتفصيل، بيد أننا نشير إلى تذكيرين فقط:

التذكير الأول: من عرف مسلماً

تركنا التعليق على تفاصيل الحوارات اعتماداً على القارئ الذي عرف المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام، فإنه سيميّز بعد أن تعرّف إلى شخصيّة المولى الغريب وأخلاقيّاته ومقامه ومنزلته أيّ حوار سيصدق وأيّها لا..

وربما قيّض الله من هو أجدر بنا وأخبر لمناقشتها، أو رزقنا الله خدمة المولى من جديد بتوفيق جديد ينهض بنا لمناقشتها بالتفصيل.

التذكير الثاني: الميزان العام

لقد قدّمنا في أكثر من موضع موازين عامّة للنظر في أخبار المؤرخين، وهي جميعاً تنطبق هنا بالتمام والكمال، فكلّ ما لم يخالف عقائدنا ومركزاتنا الحقّة نقبله وإلاّ فردّه أو نتوقّف فيه.

فما كان من الحوارات يعرض لنا المولى الغريب عليه السلام والشجاع الأبّي في مشهد الخائف المستجير أو المستجدي المستعجل - والعياذ بالله -،

فنحن لا نقبله ولا نصدّقه.

وكذا ما يخالف غير الأبّي الكريم ورجل الحفاظ وصاحب الأنفة الهاشمية النبوية، الذي تأبى له الحجور الطيبة والأنوف الحميّة من قبول الصغار والذلّ، كما لو يطرد من باب أكثر من مرّة ويحرّم عليه الجلوس ويشكّك في موقفه باعتباره يؤدّي إلى الريبة، ويبقى هو مصرّاً متوسلاً لعلّه يستعطف قلب المخاطب فيؤويه..

إن كان هذا مقبولاً عند الهاشميين الكرماء والسادة النبلاء، وأهل الشرف والعلواء، فليقبل في المولى سفير الحسين عليه السلام، وإلا فلا.

أمّا ما ورد في نور العين فهو تصوير هابط، ونكاية يأنف عن التفوّه بها من له أدنى معرفة بالمولى الغريب عليه السلام، ولاندري كيف يسمح جاهل فضلاً عن العالم أن يدخل الريبة إلى ساحة رجل تعلوه هالة القدس النبويّ، وتشعّ من وجهه أنوار الإيمان الطالبيّ، وتحوطه الهيبة الحيدريّة، وتبرق من عينيه لمعات التقى، وتكتنز أحداقه معادن الحلم والنهي، وتفيض من نظراته الرحمة الحسينيّة، وهو غريب قضى يوماً صاخباً بالأحداث الجسيمة.. ومع كلّ هذا ترتاب المرأة من نظراته؟! ويقسم لها على براءته؟! تعساً لهاتيك الأقلام الخائبة.

ولدها

لم نكن بحاجة إلى التعرّض لابنها لولا أنّه قد ذكر في بعض المصادر وأسندت له بعض المواقف، لذا فإنّنا سنشير إليه إشارة سريعة إن شاء الله تعالى.

ابن من؟

اكتفت بعض المصادر بالنصّ على كونه مولى لمحمّد بن الأشعث، وأغفلت نسبه، كما فعل الطبري في إحدى رواياته، والشجري والمزّي وابن حجر وسبط ابن الجوزي في التذكرة^(١)..

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٠، الأُمالي للشجري: ١ / ١٩١، تهذيب الكمال للمزّي: ٦ / ٤٢٦، تهذيب التهذيب لابن حجر: ٢ / ٣٥١، تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ١٤٠.

وفي خبر آخر للطبري وغيره صرح أنه ابن أسيد الحضرمي، قال الطبري:

«... طوعة، أم ولد كانت للأشعث بن قيس، فأعتقها، فتزوجها أسيد الحضرمي فولدت له بلالاً، وكان بلال» (١)..
وانفرد ابن أعثم في الفتوح بنسبته إلى أسد بن البطين، قال:
«... حتى صار إلى دار امرأة، يقال لها: طوعة، وقد كانت فيما مضى امرأة قيس الكندي، فتزوجها رجل من حضرموت يقال له: أسد بن البطين، فأولدها ولداً يقال له: أسد».

اسمه:

والكلام في اسمه هو نفس الكلام الذي ذكرناه آنفاً في تحديد اسم أبيه، والاختلاف نفس الاختلاف وقد سماه الطبري وغيره: «بلالاً»، وانفرد ابن أعثم بتسميته: «أسداً».

النص على خيانتة لضيّفه

نصّت جملة من المصادر على خيانة ابن طوعة لضيّفه، وأنه نام تلك الليلة وغدا مصباحاً ليخبر عن مكان ضيّفه ونزوله عندهم، وبذلك

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧١، الكامل في التاريخ: ٤ / ٣١، مقاتل الطالبين: ١٠٤،

دلّ على المولى الغريب عليه السلام، فبعث ابن الأمة الفاجرة في طلبه..
وقد اختلفت المصادر - كما هو المعهود في أخبار المولى الغريب
مسلم بن عقيل عليه السلام - في الشخص الذي أخبره ابنها إلى ثلاثة أقسام:

لمن أخبر؟

الإخبار الأول: أخبر عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث

قال البلاذري وغيره:

«.. وجاء ابنها فجعل ينكر كثرة دخولها إلى مسلم وخروجها
من عنده، فسألها عن قصّتها، فأعلمته إجارتها مسلماً، فأتى
عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فأخبره بذلك.

وكان ابن زياد، حين تفرّق عن ابن عقيل الناس فتح باب
القصر، وخرج إلى المجلس، فجلس فيه، وحضره أهل الكوفة،
فجاء عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث إلى أبيه، وهو عند
ابن زياد، فأخبره خبر ابن عقيل، فأعلم محمد بن الأشعث
ابن زياد بذلك، فوجّه ابن زياد من الوجوه من يأتيه
به» (١) ..

(١) أنساب الأشراف: ٢ / ٨١، الإرشاد للمفيد: ٢ / ٥٣ وما بعدها، البحار
للمجلسي: ٤٤ / ٣٥٠، العوالم للبحراني: ١٧ / ١٩٩، أسرار الشهادة للدربندي:
←

وقال الدينوري:

«... وأقبل ابن تلك المرأة التي مسلم في بيتها إلى عبد الرحمن ابن محمد بن الأشعث، وهو حينئذٍ غلام حين راهق، فأخبره بمكان مسلم عنده.

فأقبل عبد الرحمن إلى أبيه محمد بن الأشعث، وهو جالس مع ابن زياد، فأسرَّ إليه الخبر» (١).

الإخبار الثاني: محمد بن الأشعث

قال الطبري والمزّي والشجري وابن حجر:

«... وكان ابنها مولى لمحمد بن الأشعث، فلما علم به الغلام انطلق إلى محمد فأخبره، فانطلق محمد إلى عبيد الله فأخبره» (٢) ..

وقال المسعودي:

/ ٢٢٣، نفس المهموم للقمي: ١٠٦، روضة الواعظين للفتال: ١٥٠، أعيان الشيعة للأمين: ١ / ٥٩٢، لوايعج الأشجان: ٥٥.
(١) الأخبار الطوال: ٢٤٠.

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٠، الأمالي للشجري: ١ / ١٩١، تهذيب الكمال للمزّي: ٦ / ٤٢٦، تهذيب التهذيب لابن حجر: ٢ / ٣٥١.

«.. وجاء ابنها، فعلم بموضعه، فلما أصبح غدا إلى محمد بن الأشعث فأعلمه، فمضى ابن الأشعث إلى ابن زياد فأعلمه، فقال: انطلق فأنتي به» (١) ...

الإخبار الثالث: أخبر ابن زياد

قال ابن حبان:

«.. كان للمرأة ابن فذهب الابن وأعلم عبيد الله بن زياد أن مسلماً في دار والدته» (٢) ...

* * * * *

كيف كان! فإن مؤدّى هذه الأخبار جميعاً أن ابن طوعة هو الذي أفشى بمكان المولى عليه السلام عندهم وخان ضيفه، سواء أخبر عبد الرحمن بن محمد، وكان غلاماً قد راهق، أو أخبر محمد بن الأشعث مولاه - حسب بعض المصادر - أو أخبر ابن زياد مباشرة، باعتبار أنه خبر مهم جعلت له الجعل، ووعد ابن الأمة الفاجرة لمن جاء به الحظوة والزلفى، حسب المصادر، فلماذا يتوصل ابن طوعة إلى ابن زياد عن طريق غلام قد راهق؟

(١) مروج الذهب للمسعودي: ٣ / ٥٨.

(٢) الثقات لابن حبان: ٢ / ٣٠٨.

المصادر التي لم تنسب الخيانة له

قال ابن سعد:

«... وجاء الليل فهرب! مسلم حتى دخل على امرأة من كندة يقال لها: "طوعة"، فاستجار بها، وعلم بذلك محمد بن الأشعث بن قيس، فأخبره عبيد الله بن زياد، فبعث إلى مسلم فجيء به» (١)..
 وقال الطبري في التاريخ:

«... فخرج مسلم فدخل داراً من دور كندة، فجاء رجل إلى محمد بن الأشعث وهو جالس إلى ابن زياد، فسأره، فقال له: إن مسلماً في دار فلان، فقال ابن زياد: ما قال لك؟ قال: إن مسلماً في دار فلان» (٢)..
 يلاحظ في هذين النصين إغفال التصريح بابن طوعة، حيث قال

ابن سعد:

«وعلم بذلك محمد بن الأشعث بن قيس».

وقال الطبري:

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد: خ ١ / ٤٦١.

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٩١.

«فجاء رجل إلى محمد بن الأشعث وهو جالس إلى ابن زياد، فسأره».

وربما قيل بحمل هذا الإجمال على ذاك التفصيل، فيكون ابن الأشعث قد علم عن طريق ابن طوعة، ويكون الرجل الذي جاء محمداً هو ابنها، من دون تنصيب على الاسم، وتصريح بتحديد هويته.

لكن يبقى لمن أراد تجنّب نسبة الخيانة لابن طوعة الاستناد إلى هذين المصدرين.

ما هي الضرورة لقبول خيانة ابن طوعة

لم تصلنا معلومات عن ابن طوعة تسمح لنا باتخاذ موقف من تصرّفاته، وتكشف لنا هويته كشفاً وافياً كافياً، وتعرّفنا بتربيته وأخلاقيّاته، سوى ما ورد في بعض المصادر من كونه كان مولاً لمحمد ابن الأشعث، وربما يستفاد من ذلك أنّه على ملّة مولاة قد أخذ عنه أخلاقيّاته وممارساته، ويشهد لذلك ما قاله الطبري في حقّه بلفظ: «زعموا»، قال:

«.. وزعموا أنّه قد كان شريداً من الناس، وقال بعضهم: كان

يشرب مع أصحاب له» (١) ..

هذا ما يخص ابن طوعة، بيد أن سؤالاً قد يثب هنا للذّب عن هذه المرأة الحرّة وعن المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام:

السؤال الأوّل:

لماذا يضطرنا المؤرّخ لقبول نسبة الخيانة لولد المرأة الصالحة، ويفرض لنا في أغلب الأحيان خيانة في بيت شيعي أو ناصر لأهل البيت عليهم السلام ؟

ولا يخفى أن هذه الخيانة تؤدّي إلى لوازم غاية في الخطورة على طوعة نفسها، فالقضيّة ليست خفر ذمام الضيف فحسب، فيحكم بمقاييس الأعراف العربيّة، أو الموازين الشرعيّة، فيكون مخالفاً لخلق رفيع، أو مرتكباً لمعصية كبيرة، وينتهي الأمر عند هذا الحدّ.

القضيّة تمسّ العرض والشرف مباشرة، إذ إنّ الوشاية بأولياء الله والسعي في خيط رقبتهم والمتاجرة بدمائهم لا تصدر من رجل ركض في رحم طاهر، وخلق من نطفة نظيفة.. وقد قرأت مرّة في كتاب لا يحضرني الآن اسمه، تعبيراً قاسياً لولا ضرورة البحث كنت أربأ بنفسي عن ذكره، حيث عبّر مؤلّفه عن ابن طوعة قائلاً: «فجاء نغلها»!!

هذا من نتائج القول بخيانة ابن طوعة ..

السؤال الثاني:

ما هي الضرورة لأن يخبر ابن طوعة بالخصوص مع أن الكوفة كانت مزدحمة، والمولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام كان مميزاً، وقد رآه الناس يدخل بيت طوعة، أو - قل على الأقل - رآه الراوي ونقل لنا قصته، فلماذا لا يعرف ابن زياد إلا من خلال خيانة ابن المرأة الصالحة؟!

السؤال الثالث:

يلاحظ تكرّر مشهد وقوع المولى الغريب عليه السلام في فخّ الجواسيس وتقتحمه العيون، وهو - والعياذ بالله - غافل!!

* * * * *

ربما أمكن الاستناد إلى المصادر التي تركت المخبر مجهولاً من دون نصّ على ابن طوعة، فقد علم ابن الأشعث، أو أن رجلاً علم بذلك فأعلمه .. وليكن هذا الرجل ممن رأى المولى الغريب عليه السلام داخلاً إلى بيت طوعة، فجاء وأخبر ..

ويمكن افتراض أن ابن الأشعث أو غيره من رجال كندة كذب على ابن طوعة أمام ابن زياد، فنسب الإخبار إليه ليكون الدالّ على المولى الغريب عليه السلام هو نفس الذي استضافه، وبذلك يبرء ساحته أمام ابن

الأمة الفاجرة ويعني عرافة كندة وابن الأشعث نفسه من العقوبات
المعلنة من قبل ابن زياد لمن استضاف المولى مسلم بن عقيل عليه السلام.

كانت ممّن خفّ مع المولى الغريب عليه السلام

قال الدينوري:

«.. فأخذ نحو كنده، فلمّا مضى قليلاً التفت، فلم ير منهم

أحداً، ولم يصب إنساناً يدلّه على الطريق، ففضى هائماً على

وجهه في ظلمة الليل حتّى دخل على كنده.

فإذا امرأة قائمة على باب دارها تنتظر ابنها، وكانت ممّن خفّ

مع مسلم فأوته وأدخلته بيتها» (١) ...

يمكن الاستفادة من هذا النصّ عدّة فوائد:

(١) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣٩ - ٢٤٠.

الفائدة الأولى: مشاركة طوعة في الأحداث

إنَّ طوعة كانت ممَّن شارك المولى الغريب عليه السلام في الأحداث التي جرت عليه، فإذا كانت ممَّن خَفَّ مع مسلم عليه السلام، فهي ليست غريبة عن الجوّ، تسمع الأخبار وتتابع الحدث، ولولا ذاك لما صَحَّ التعبير عنها أنَّها ممَّن خَفَّ معه عليه السلام.

الفائدة الثانية: قصد المولى بيتها

يشهد هذا التعبير لاحتمال أن يكون المولى الغريب عليه السلام قد قصد بيتها باتِّفاق مسبق، كما مرَّ في بيان موقفه عليه السلام، باعتبار أنَّها امرأة غير معروفة ولا مشهورة قبل ذلك اليوم، وكانت قد أُخبرت بمجيء المولى إلى بيتها، فربما كانت واقفة على الباب تنتظره، وتعبير المؤرِّخ بانتظار ابنها تفسير منه للوقوف، ويشهد لهذا الاحتمال ما سيأتي في الفائدة الثالثة.

الفائدة الثالثة: دخوله البيت دون حوار

يلاحظ أنَّ النصَّ لم يذكر حواراً بين طوعة وبين المولى الغريب عليه السلام، ولا استنكاراً لوقوفه، ولا طلباً منه بالإيواء، «فإذا امرأة قائمة على باب دارها تنتظر ابنها، وكانت ممَّن خَفَّ مع مسلم فأوته وأدخلته بيتها».. وربما شهد هذا النصُّ أنَّها كانت تنتظر المولى الغريب عليه السلام وأنَّ انتظارها لابنها تفسير الراوي أو المؤرِّخ، إذ أنَّه يذكر مبادرتها في التشرف

بإدخال المولى عليه السلام بيتها من دون أن يطلب هو منها شيئاً..

الفائدة الرابعة: إدخالها المولى إلى بيتها لأنها كانت من أنصاره

يكشف النص عن دافع مهم لاستضافته عليه السلام، فهي لم تستضفه كما في بعض النصوص لأنها رقت له، أو لأنه ألح عليها بطلب الدخول، أو أنه استجار بها فأجارته، وإنما كانت واحدة من أفراد وأنصاره في الكوفة، فأقبل إليها، فأدخلته.

وقد أشار الشيخ محمد مهدي شمس الدين - رحمه الله وحشره مع سيد الشهداء عليه السلام - في كتابه «أنصار الحسين عليه السلام» إلى الدافع الذي دعا طوعة لاتخاذ هذا الموقف، وأوعز ذلك بترجيح أن تكون نتيجة سلوك الموالي ومواقفهم مع القيام الحسيني، فقال وهو يتحدث عن علاقة «الموالي بالثورة الحسينية ودلالات هذه العلاقة»:

«ومن هذه الإشارات أنَّ السيِّدة الأرملة التي لجأ! مسلم بن عقيل إلى منزلها بعد أن فشلت حركته! وتفرَّق الناس عنه، وهي السيِّدة طوعة، كانت مولاة لمحمد بن الأشعث، وقد أدخلت مسلم بن عقيل إلى منزلها بمجرد أن عرفت اسمه، دون أن تبدي أي حذر ممَّا قد تجرَّ عليها استضافته عندها من متاعب، وقد أخفته، وهي تعلم بأنَّه مطلوب من السلطة...»

وقال أيضاً:

«وهل تدلّ استجابة السيّدة طوعة لطلب مسلم بن عقيل وإخفائه في منزلها، بعد أن أعلمها بأنّ أهل الكوفة قد خذلوه، على أنّها قد تصرّفت لموقف نفسيّ إيجابيّ من الثورة حال بينها وبين أن تفكر في عواقب تصرّفها؟

لا نملك أجوبة حاسمة على هذه التساؤلات، وإن كنّا نرجّح أن الاعتبارات السياسيّة والاجتماعيّة في ذلك الحين تدعونا إلى تقديم إجابة موافقة وإيجابية.

فنحن نعلم أنّ الموالي كانوا على علاقة وثيقة بالإمام علي بن أبي طالب، ناشئة من سياسة الإمام العادلة التي ساوتهم بغيرهم من المسلمين، وقد نقم بعض زعماء القبائل على هذه العلاقة، فقال الأشعث بن قيس للإمام علي: يا أمير المؤمنين، غلبتنا هذه الحمراء ^(١) على قربك.

ومن المؤكّد أنّ هؤلاء كانوا في أيام يزيد بن معاوية لا يزالون يتذكّرون أنّ حياتهم في السنين القليلة لخلافة الإمام علي بن

(١) الحمراء: هو الاسم القديم الذي أطلق على الفرس المسلمين، ثمّ أطلق على الروم المسلمين. منه عليه السلام.

أبي طالب كانت أكثر رخاءاً واستقراراً وكرامة من حياتهم في ظلّ حكم معاوية بن أبي سفيان الذي عاملهم نظامه باحتقار شديد، والذي كان يفضّل أن يقتل بطريقة ما نصفهم خشية من تزايد عددهم وما يستتبع هذا من مشكلات سياسية (١) ...

إلى آخر ما قاله عليه السلام، ونحن لا نستطيع أن نوعز موقفها بدقّة إلى داع بعينه، كما أننا لا نستطيع أن نجزم بأنّها كانت مولاة، لوجود مصادر تفيد أنّها كانت من حرائر كندة.

ولا يخفى أنّ موقفها كان يعني الموت الأحمر تماماً، كما سيأتي بيانه إن شاء الله، وهو موقف مشرّف وباعث على المباهاة والفخر والاعتزاز، وسواء كانت مولاة أو حرّة فإنّها أدّت ما عليها نصرة للحقّ وأهله..

(١) أنصار الحسين عليه السلام لشمس الدين: ١٩١ وما بعدها.

موقفها

هل وقف المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام على بيتها هكذا من دون تخطيط مسبق؟

هل كان ثمة اتفاق معها على رجوع المولى عليه السلام إلى بيتها بعد انتهاء الحدث، باعتبار أنها كانت ممن خَفَّ معه، وأنها امرأة أبعد ما تكون عن عيون السلطان؟

هل استسقى المولى طوعة، فعرفته ودعته إلى بيتها؟
هل كان المولى قاصداً الرجوع إلى بيت هاني، أو إلى بيت آخر كان قد عزم على الرجوع إليه، غير أن طوعة دعتة فدخل؟
هل خرجت طوعة إلى المولى الغريب عليه السلام ودعته؟
الإجابة على هذه الأسئلة وغيرها من الاحتمالات تعرّضنا لها خلال

دراسة موقف المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام، فلا نعيد.

نهايتها

لقد هدد ابن الأمة الفاجرة ابن زياد كل من يتعاون مع المولى الغريب عليه السلام ببراءة الذمة منه، وإهدار دمه، وبإسقاط العرافة من العطاء، وكان قد أخذ العرفاء والناس أخذاً شديداً، فقال في إحدى هذياناته من فوق الأعواد:

«اكتبوا إليّ الغرباء، ومن فيكم من طلبة أمير المؤمنين، ومن فيكم من الحرورية وأهل الريب الذين رأيهم الخلف والشقاق، فمن كتبهم لنا فبريء، ومن لم يكتب لنا أحداً، فيضمن لنا ما في عرافته ألا يخالفنا منهم مخالف، ولا يبغى علينا منهم باغ، فمن لم يفعل برئت منه الذمة، وحلال لنا ماله وسفك دمه.

وأيما عريف وجد في عرافته من بغية أمير المؤمنين أحد لم يرفعه
إلينا صلب على باب داره، وألقيت تلك العرافة من العطاء،
وسير إلى موضع بعمان الزارة» (١).

وقال أيضاً في كلام له:

«... فبرئت ذمة الله!!! من رجل وجدناه في داره، ومن جاء به
فله ديتة» (٢) ..

وهذا الوغد الحقير معروف بالانتقام والحقد والضعينة المتراكمة في
أعماقه منذ انعقاد نطفته المركبة القذرة، وهو في وقت يريد أن يفرض
فيه واقعاً مرعباً وإرهاباً كاجماً وترويعاً مانعاً يزدري به الناس ويستخفهم
ليطيعوه..

فيلزم أن يقدم على رد فعل يكون عبرة لمن اعتبر، ونكالاً لمن أراد
أن يتخطى حدود ما رسمه اللعين في الكوفة..

فهل تبادى على المرأة الصالحة ونفذ تهديداته ووعيده؟

هل قتلها وهدم دارها وأسقط عرافة من انضوت تحت عرافته؟

هل أسقط العرافة التي تنتمي إليها طوعة من العطاء؟

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٩.

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٠.

أم أن اللعين اعتبر خيانة ابنها - حسب المصادر - شفيحاً لها فتركها؟
أو أن ابن الأشعث افترى على ابنها ونسب الخيانة له ليكون عذراً
لها؟

أو أن وجهاء كندة تدخلوا فأنقذوها من مخالفه؟
أو أنه اعتبرها امرأة خارجة عن دائرة التهديد فتركها؟
لم يسعفنا التاريخ - حسب فحصنا - بجواب لهذه التساؤلات، ربما
وفق الله من يجد الجواب.

قالوا في طوعة

السيد حسين البراقى رحمته الله (ت ١٣٣٢):

«طوعة: وهي أم ولد حازت شرف التاريخ، إذ عرفت قيمة الفضيلة، بينما قومها ضيعوا هذا الشرف الخالد وغرتهم المطامع»^(١)..

السيد المقرّم رحمته الله

«لقد كان في الكوفة مَن تحلّى بسمات الرجال المَهْدِبِينَ الذين لم تلم بساحتهم أيّ لائمة، ولا توجّهت إليهم مغبّة، وأنّه ذلك الإنسان الواحد المحاوي للشرف المعلى، والذكر الخالد والثناء

(١) تاريخ الكوفة للبراقى: ٣٢٨.

الجميل، وحضى- بالرضوان مع حبيب الله وخاتم رسله، ألا وهي "طوعة".

ولو كنّ النساء كمن ذكرنا لفُضِّلَت النساء على الرجالِ
فلا التأنيث باسم الشمس عيبٌ ولا التذكير فخرٌ للهلالِ
أصحيح أنّ امرأة تفوق الرجال في الفضائل والفواضل؟ نعم
إنّ ذلك لما أجتته في أضالعها من طهارة النفس، وشرف
المنبت، والولاء الصحيح لأهل هذا البيت، فقامت بما يرضي
الله ورسوله ويحبّذه الشرف والإنسانية، ويدعو إليه الخطر،
والناس يتمايزون بالنفسيّات الكريمة والغرائز الطيّبة والعمل
الصالح.

وماذا على "طوعة" وقد طاوعتها نفسها على متابعة العقل
واقترصاص أثر الدين وأداء أجر الرسالة بإيواء ابن عمّ سيّد
الشهداء وممثله الفدّ، فتحلّت بما تخلّى عنه ذووا الهمم القاصرة
والنفوس الضعيفة والحلوم الضئيلة، فشعّ نورها بين هاتيك
الظلم المدهمة كما شاع ذكرها في الجوامع والزبر، وفي ثنايا
الحقب والأجيال المتتالية فهي حيّة بعمرها الثاني حتّى يسكنها
الله تعالى الخلد محبورة في جوار المصطفى ووصيّيه

المرتضى» (١).

الشيخ عبد الواحد المظفر^{رحمته الله}:

«إنّ الولاء والحبّ الراسخ في قلب هذه المرأة لأهل البيت عليهم السلام ليبعثها على التردّد إلى ذلك البيت الذي اختبأ^(٢)!! فيه البطل الطالبيّ، ويحثّها على الإكثار من الولوج عليه لتوفية حقّ الخدمة إذ كانت له عندها ثلاثة حقوق: حقّ الولاء، وحقّ الجوار! والضيافة، وحقّ الولاء والتابعيّة» (٣) ...

الشيخ باقر شريف القرشي^{رحمته الله}:

«طوعة هي سيّدة من في المصّر رجالاً ونساءً أبا تملكه من إنسانيّة ونبل» (٤) ..

الأستاذ محمّد نعمة السماوي حفظه الله:

«.. موقف طوعة المرأة الشجاعة التي آوت مسلماً رغم علمها

(١) الشهيد مسلم بن عقيل عليه السلام للسيد المقرّم: ١٣٥.

(٢) أرايت بطلاً يختبأ من عدوّ؟!

(٣) سفير الحسين عليه السلام، مسلم بن عقيل عليه السلام: ٨٩.

(٤) حياة الشهيد الخالد مسلم بن عقيل عليه السلام للشيخ باقر شريف القرشي: ١٥٦.

بقسوة الجلال، وقد اهتمت به وأفردت له غرفة في منزلها وحاولت أن تكتم على وجوده لديها، ولعلّ عواطف الرحمة والحب لآل الرسول صلّى الله عليه وآله قد أظهرتلك المرأة بذلك المظهر الفريد لتتميّز علماً بين قريناتها عندما سجّلت ذلك الموقف الشجاع باستضافة مسلم رغم كلّ الأخطار المحتملة» (١) ..

(١) موسوعة الثورة الحسينية لمحمد نعمة السماوي: ٥ / ٦١.

موادّ البحث

إنّ ما مرّ من دراسة وبحث احتوت على نصوص تكرّر توظيفها أحياناً بحكم الحاجة إليها في مواضع متعدّدة، أو لحاظات شتى مختلفة. وثمة نصوص أخرى استفدنا منها مرّة واحدة، بحكم الحاجة إليها. وسنذكر هنا النصوص الأكثر استخداماً، لتكون في متناول القارئ الكريم، فربما قرأها وفهم منها غير ما فهمنا، أو تلقّف ما فاتنا وكان بالإمكان الاستفادة منه في بحثنا فلم نثبتته، هذا من جهة. ومن جهة أخرى ربما فاتنا في موضع من مواضع البحث أن نرجع إلى المصدر، فاتّه سيجده هنا إن شاء الله.

ابن سعد: (ت ٢٣٠):

«وبلغ الخبر مسلم بن عقيل، فخرج في نحو من أربعمائة من

الشيعة، فما بلغ القصر إلا وهو في نحو من ستين رجلاً، فغربت الشمس، واقتتلوا قريباً من الرحبة، ثم دخلوا المسجد وكثرهم أصحاب عبيد الله بن زياد، وجاء الليل، فهرب مسلم! حتى دخل على امرأة من كندة يقال لها: طوعة، فاستجار بها! (١).

البلاذري: (ت ٢٧٩):

«... فتفرّق أصحاب ابن عقيل عنه؛ حتى أمسى، وما معه إلا نحو من ثلاثين رجلاً، فلما رأى ذلك خرج متوجّهاً نحو أبواب الكندة، وتفرّق عنه الباقيون حتى بقي وحده يتلدد في أزقة الكوفة، ليس معه أحد، ودفع! إلى باب امرأة يقال لها: "طوعة"، فاستسقى ماءً، فسقته، ثم قال: يا أمة الله أنا مسلم ابن عقيل بن أبي طالب، كذبي هؤلاء القوم، وغروني، فأويني. فأدخلته منزلها وآوته» (٢).

«قال حصين: فحدثني هلال بن إساف، قال: لقد تفرّقوا عنه، فلما قلت الأقوات [الأصوات] فقيّل لابن زياد: ما نرى معه

(١) ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من الطبقات لابن سعد: ٦٦، سير أعلام النبلاء للذهبي عن ابن سعد: ٣ / ٢٩٩.

(٢) جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٣٣٨، أنساب الأشراف: ٨١ / ٢.

كبيراً أحد، فأمر، فرفعت حرادي فيها النار، حتّى نظروا، فإذا ليس مع مسلم إلا قدر خمسين.

فقال ابن زياد للناس: تميّزوا أرباعاً، فانطلق كلّ قوم إلى رأس ربّهم، فنهض إليهم قوم قاتلوا مع مسلم، فجرح مسلم جراحة، وقتل ناس من أصحابه، ولجأ مسلم إلى دار من دور كندة» (١).

الدينوري: (ت ٢٨٢):

«فلما سمع أصحاب مسلم مقاتلهم فترّوا بعض الفتور. وكان الرجل من أهل الكوفة يأتي ابنه، وأخاه، وابن عمّه فيقول: انصرف، فإنّ الناس يكفونك، وتجيء المرأة إلى ابنها وزوجها وأخيها فتتعلّق به حتّى يرجع، فصلّى مسلم العشاء في المسجد وما معه إلا زهاء ثلاثين رجلاً، فلما رأى ذلك مضى منصرفاً ماشياً، ومشوا معه، فأخذ نحو كندة، فلما مضى قليلاً التفت، فلم يرم منهم أحداً، ولم يصب إنساناً يدّله على الطريق، ففضى هائماً على وجهه في ظلمة الليل حتّى دخل على كندة. فإذا امرأة قائمة على باب دارها تنتظر ابنها، وكانت ممّن خفّ

مع مسلم فأوته وأدخلته بيتها» (١) ...

اليقوبي: (ت بعد ٢٩٢):

«ووجه بالشرط يطلبون مسلماً، وخرج وأصحابه وهو لا يشك في وفاء القوم، وصحة نياتهم، فقاتل عبيد الله فأخذه فقتله عبيد الله وجربرجله في السوق، وقتل هاني بن عروة لنزول مسلم منزله وإعانتته إياه» (٢).

الطبري (ت ٣١٠) والشجري وأبو الفرج (ت ٣٥٦) والمزي وابن حجر:

«فأتى مسلماً الخبر، فنادى بشعاره، فاجتمع إليه أربعة آلاف من أهل الكوفة، فقدم مقدمته، وعبي ميمنته وميسرته، وسار في القلب إلى عبيد الله.

وبعث عبيد الله إلى وجوه أهل الكوفة، فجمعهم عنده في القصر، فلما سار إليه مسلم، فأنتهى إلى باب القصر، أشرفوا على عشائرتهم، فجعلوا يكلمونهم ويردّونهم، فجعل أصحاب

(١) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣٩ - ٢٤٠.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٢١٦.

مسلم يتسلّلون حتّى أمسى في خمسمائة.
فلما اختلط الظلام ذهب أولئك أيضاً، فلما رأى مسلم أنّه قد
بقي وحده يتردّد في الطرق أتى باباً فنزل عليه، فخرجت إليه
امرأة» (١).

«قال أبو مخنف: فحدّثني المجالد بن سعيد: أنّ المرأة كانت
تأتي ابنها أو أخاها، فتقول: انصرف، الناس يكفونك، ويحيي
الرجل إلى ابنه أو أخيه فيقول: غداً يأتيك أهل الشام، فما
تصنع بالحرب والشر! انصرف، فيذهب به.

فما زالوا يتفرّقون ويتصدّعون حتّى أمسى ابن عقيل وما معه
ثلاثون نفساً في المسجد، حتّى صليت المغرب، فما صلى مع
ابن عقيل إلّا ثلاثون نفساً.

فلما رأى أنّه قد أمسى، وليس معه إلّا أولئك نفر خرج
متوجّهاً نحو أبواب كندة، وبلغ الأبواب ومعه منهم عشرة، ثمّ
خرج من الباب وإذا ليس معه إنسان (٢)، والتفت، فإذا هو لا

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٠، الأُمالي للشجري: ١ / ١٩١؛ تهذيب الكمال للمزي: ٦

/ ٤٢٦، تهذيب التهذيب لابن حجر: ٢ / ٣٥١.

(٢) أبو الفرج، مقاتل الطالبين: ٦٦ - ٦٧.

يَحْسَ أَحَدًا يَدْلَهُ عَلَى الطَّرِيقِ، وَلَا يَدْلَهُ عَلَى مَنْزَلٍ وَلَا يَوَاسِيهِ
بِنَفْسِهِ إِنْ عَرَضَ لَهُ عَدُوٌّ» (١).

* * * * *

«فبلغ ذلك مسلم بن عقيل، فخرج ومعه ناس كثير، فبلغ ابن
زياد ذلك، فأمر بباب القصر، فأغلق، وأمر منادياً فنادى: يا
خيل الله اركبي، فلا أحد يجيبه، فظنَّ أنه في ملأ من الناس.
قال حصين: فحدَّثني هلال بن يساف، قال: لقيتهم تلك
الليلة في الطريق عند مسجد الأنصار، فلم يكونوا يمرّون في
طريق يميناً ولا شمالاً إلاَّ وذهبت منهم طائفة؛ الثلاثون
والأربعون، ونحو ذلك.

قال: فلمّا بلغ السوق، وهي ليلة مظلمة، ودخلوا المسجد، قيل
لابن زياد: والله ما نرى كثيراً أحد، ولا نسمع أصوات كثيراً أحد.
فأمر بسقف المسجد فقلع، ثمَّ أمر بحراذي فيها النيران، فجعلوا
ينظرون، فإذا قريب خمسين رجلاً.

قال: فنزل: فصعد المنبر، وقال للناس: تميّزوا أرباعاً أرباعاً،
فانطلق كلّ قوم إلى رأس ربّهم، فنهض إليهم قوم يقاتلونهم،

فجرح مسلم جراحة ثقيلة، وقتل ناس من أصحابه، وانهزموا، فخرج مسلم فدخل داراً من دور كنده» (١).

ابن أعثم: (ت ٣١٤):

«قال: ثم جعل القوم يتسلّلون والنهار يمضي، فما غابت الشمس حتّى بقي مسلم بن عقيل في عشرة أفراس من أصحابه لا أقلّ ولا أكثر، واختلط الظلام، فدخل مسلم بن عقيل المسجد الأعظم ليصلي المغرب وتفرّق عنه العشرة، فلمّا رأى ذلك استوى على فرسه ومضى في بعض أزقة الكوفة، وقد أثنى بالجراحات حتّى صار إلى دار امرأة يقال لها: طوعة» (٢).

المسعودي: (ت ٣٤٦):

«ولمّا بلغ مسلماً ما فعل ابن زياد بهائي، أمر منادياً فنادى: "يا منصور"، وكانت شعارهم، فتنادى أهل الكوفة بها، فاجتمع إليه في وقت واحد ثمانية عشر ألف رجل، فسار إلى ابن زياد، فتحصّن منه، فحصروه في القصر، فلم يمس مسلم ومعه غير

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٩١.

(٢) الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٥٠.

مائة رجل.

فلما نظر إلى الناس يتفرقون عنه، سار نحو أبواب كندة، فما بلغ الباب إلا ومعه منهم ثلاثة، ثم خرج من الباب، فإذا ليس معه منهم أحد، فبقي حائراً لا يدري أين يذهب، ولا يجد أحداً يدلّه على الطريق، فنزل عن فرسه ومشى متلّداً في أزقة الكوفة لا يدري أين يتوجّه» (١).

ابن حبان: (ت ٣٥٤):

«ثم ركب مسلم بن عقيل في ثلاثة آلاف فارس يريد عبيد الله بن زياد، فلما قرب من قصر عبيد الله نظر، فإذا معه مقدار ثلاثمائة فارس، فوقف يلتفت يمنة ويسرة، فإذا أصحابه يتخلفون عنه حتى بقي معه عشرة أنفس، فقال: يا سبحان الله! غرنا هؤلاء بكتبهم، ثم أسلمونا إلى أعدائنا هكذا، فولى راجعاً.

فلما بلغ طرف الزقاق التفت، فلم ير خلفه أحداً، وعبيد الله ابن زياد في القصر متحصّن يدبر في أمر مسلم بن عقيل، فمضى مسلم بن عقيل وحده فرأى امرأة على باب

(١) مروج الذهب للمسعودي: ٣ / ٦٧.

دارها».. (١).

الشيخ المفيد (ت ٤١٣) والفتال (ت ٥٠٨):

«فلما سمع الناس مقالهم أخذوا يتفرقون وكانت المرأة تأتي ابنها وأخاها فتقول: انصرف، الناس يكفونك، ويحيي الرجل إلى ابنه وأخيه فيقول: غداً يأتيك أهل الشام، فما تصنع بالحرب والشر؟ انصرف، فيذهب به، فينصرف، فما زالوا يتفرقون حتى أمسى ابن عقيل وصلّى المغرب وما معه إلا ثلاثون نفساً في المسجد، فلما رأى أنه قد أمسى وما معه إلا أولئك نفر، خرج من المسجد متوجّهاً نحو أبواب كنده، فما بلغ الأبواب إلا ومعه منهم عشرة، ثم خرج من الباب، فإذا ليس معه إنسان يدلّه فالتفت، فإذا هو لا يحس أحداً، يدلّه على الطريق، ولا يدلّه على منزله ولا يواسيه بنفسه إن عرض له عدوّ، فمضى على وجهه متلّداً في أزقة الكوفة لا يدري أين يذهب حتى خرج إلى دور بني جبلة من كنده».. (٢).

(١) الثقات لابن حبان: ٢ / ٣٠٨.

(٢) الإرشاد للمفيد: ٢ / ٥٠، ٦٧، البحار للمجلسي: ٤٤ / ٣٤٨، ٣٦٣، العوالم

للبحراني: ١٧ / ١٩٧، روضة الواعظين للفتال: ١٤٩، لواعج الأشجان: ٥٢ -

أبو علي مسكويه: (ت ٤٢١):

«فما زال الناس يتفرقون، حتى أمسى مسلم بن عقيل، وما معه إلا ثلاثون رجلاً حين صليت المغرب، فصلّى بهم مسلم، فلمّا رأى أنّه قد أمسى وليس معه إلا أولئك، خرج متوجّهاً نحو كندة، فما بلغ الأبواب ومعه منهم عشرة، ثمّ خرج من الباب، فإذا ليس معه إنسان، والتفت فإذا هو لا يحسّ أحداً يدلّه على الطريق، ولا على منزل، ولا يواسيه بنفسه. إن عرض له عدوّ فبقي متلّداً في أزقة الكوفة، لا يدرى أين يذهب. فمشى حتى انتهى إلى باب امرأة» (١).

الطبرسي: (ت ٥٤٨):

«فلما سمع الناس مقاتلهم أخذوا يتفرقون، وكانت المرأة تأتي ابنها وأخاها وزوجها وتقول: انصرف، الناس يكفونك، ويحيى الرجل إلى ابنه وأخيه، ويقول: غداً يأتيك أهل الشام، فما تصنع بالحرب الشرّ؟ فيذهب به، فينصرف، فما زالوا يتفرقون حتى أمسى ابن عقيل وصلى المغرب وما معه من أصحابه إلا

٦٨، مثير الأحزان للجواهرى: ٢٠ - ٢٨.

(١) تجارب الأمم لأبي علي مسكويه: ٢ / ٤٨.

ثلاثون رجلاً، فلما رأى ذلك خرج متوجّهاً نحو باب كنده،
فلما بلغ الباب معه منهم عشرة، فخرج من الباب، فإذا ليس
معه إنسان ولا يجد أحداً يدلّه على الطريق فمضى على وجهه
متلّدياً في أزقة الكوفة لا يدري أين يذهب.
فمضى حتّى انتهى إلى باب امرأة».. (١).

الخوارزمي: (ت ٥٦٨):

«وكانت المرأة تأتي أخاها وأباها أو زوجها أو بنيتها، فتشرّده، ثمّ
جعل القوم يتسلّلون والنهار يمضي، فما غابت الشمس حتّى
بقي مسلم بن عقيل في عشرة من أصحابه، واختلط الظلام،
فدخل مسلم المسجد الأعظم ليصلّي المغرب، فتفرّق عنه
العشرة، فلما رأى ذلك استوى على فرسه» (٢).

ابن شهر آشوب: (ت ٥٨٨):

«فرجع الرؤساء إليها، فدخلوا القصر، فقال لهم عبيد الله:
أشرفوا على الناس، فمّنوا أهل الطاعة وخوّفوا أهل المعصية.

(١) إعلام الوری للطبرسي: ٢٢٧ - ٢٣٠.

(٢) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ٢٠٦.

فما زال الناس يتفرّقون حتّى أمسى مسلم وما معه إلا ثلاثون نفساً، فلمّا صلّى المغرب، ما رأى أحداً فبقي في أزقة كندة متحيّراً» (١).

ابن الجوزي: (ت ٥٩٧هـ):

«فنادى مسلم أصحابه، فاجتمع إليه من أهل الكوفة أربعة آلاف، فمضى بهم إلى القصر، فأشرف أصحاب عبيد الله على أهاليهم يعدونهم ويقولون: غداً يأتيكم جنود الشام. فتسلّلوا، فما اختلط الظلام حتّى بقي مسلم وحده» (٢).

ابن الأثير: (ت ٦٣٠هـ):

«فلمّا سمع الناس مقالة أشرافهم، أخذوا يتفرّقون، حتّى أنّ المرأة تأتي ابنها وأخاها، وتقول: انصرف، الناس يكفونك. ويفعل الرجل مثل ذلك، فما زالوا يتفرّقون حتّى بقي ابن عقيل في المسجد في ثلاثين رجلاً. فلمّا رأى ذلك خرج متوجّهاً نحو أبواب كندة، فلمّا خرج من

(١) المناقب لابن شهر آشوب تحقيق السيّد عليّ أشرف: ١٠ / ٣١٧.

(٢) المنتظم لابن الجوزي: ٥ / ٣٢٦.

الباب لم يبق معه أحد» (١) ...

ابن نما: (ت ٦٤٥):

«ولمّا بلغ مسلم بن عقيل خبره، خرج بجماعة ممّن بايعه إلى حرب عبيد الله بعد أن رأى أكثر من بايعه من الأشراف نقضوا البيعة وهم مع عبيد الله، فتحصّن بدار الإمارة، واقتتلوا قتالاً شديداً إلى أن جاء الليل، ففترّقوا عنه وبقي معه أناس قليل، فدخل المسجد يصليّ وطلع متوجّهاً نحو باب كندة، فإذا هو وحده لا يدري أين يذهب» (٢).

ابن الجوزي: (ت ٦٥٤):

«وجعلوا يكلمونهم، ففترّق من كان مع مسلم، وتسلّلوا عنه، ودهمه الليل، وقد بقي وحده» (٣) ...

ابن طاووس: (ت ٦٦٤):

«فجعل أصحاب مسلم، يتفترّقون عنه ويقول بعضهم لبعض:

(١) الكامل لابن الأثير: ٣ / ٢٧١، نفس المهموم للقمي: ١٠٥.

(٢) مثير الأحزان لابن نما: ١٩ - ١٦.

(٣) تذكرة الخواصّ لسبط ابن الجوزي: ١٣٨.

ما نصنع بتعجيل الفتنة، وينبغي أن نقعد في منازلنا، وندع هؤلاء القوم حتى يصلح الله ذات بينهم، فلم يبق معه سوى عشرة أنفس، فدخل مسلم المسجد ليصلي المغرب، فتفرق العشرة عنه.

فلما رأى ذلك خرج وحيداً في دروب الكوفة» (١).

النويري: (ت ٧٣٣):

«فما زالوا يتفرقون حتى بقي مسلم بن عقيل في المسجد في ثلاثين رجلاً، فلما رأى ذلك خرج نحو أبواب كندة، فلما وصل إلى الباب لم يبق معه أحد» (٢).

الذهبي: (ت ٧٤٨):

«وروي الواقدي والمدائني بإسنادهم: أن مسلم بن عقيل بن أبي طالب، خرج في أربعمائة، فاقتتلوا، فكثرهم أصحاب عبيد الله وجاء الليل فهرب سلم حتى دخل على امرأة من كندة، فاستجار بها» (٣).

(١) اللهوف للسيد ابن طاووس: ٥٣.

(٢) نهاية الإرب: ٢٠ / ٣٩٧ وما بعدها.

(٣) البداية والنهاية لابن كثير: ٤ / ١٥٤ وما بعدها، تاريخ الإسلام للذهبي: ٤ /

ابن كثير: (ت ٧٧٤):

«فتخاذل الناس وقصروا وتصرّموا وانصرفوا عن مسلم بن عقيل، حتّى لم يبق إلا في خمسمائة نفس، ثمّ تقالّوا، حتّى بقي في ثلاثمائة، ثمّ تقالّوا، حتّى بقي معه ثلاثون رجلاً، فصلّى بهم المغرب وقصد أبواب كندة، فخرج منها في عشرة، ثمّ انصرفوا عنه، فبقي وحده ليس معه من يدلّه على الطريق، ولا من يؤانسه بنفسه، ولا من يأويه إلى منزله، فذهب على وجهه واختلط الظلام وهو وحده» (١).

المقريزي (ت ٨٤٥):

«ثمّ ركب من البصرة ودخل الكوفة وقد بايع مسلم بن عقيل ثمانية عشر ألفاً، فركب بهم وحاصر عبيد الله فلم يثبتوا وتفرّقوا عنه حتّى فرّ، فأخذ بعد خطوب وحروب وقتل» (٢).

ابن حجر (ت ٨٥٢) وابن بدران:

«فجعلوا يتسلّلون، فأمسى مسلم وليس معه إلا عدد قليل

(١) البداية والنهاية لابن كثير: ٤ / ١٥٤ وما بعدها.

(٢) إمتاع الأسماع للمقريزي: ٥ / ٣٦٣.

منهم، فلما اختلط الظلام ذهب أولئك أيضاً» (١).

(١) الإصابة لابن حجر: ٨ / ٣٣٣، ابن بدران في ما استدركه على ابن عساكر: ٤

طوعة واللقاء في المصادر

مقتل أبي مخنف (المشهور):

«قال أبو مخنف: فلما سمع مسلم بن عقيل عليه السلام قتل هاني رضي الله عنه، خرج من داره التي كان فيها يخترق الشوارع حتى خرج من الكوفة، وأتى الحيرة وجعل يدور فيها، حتى بلغ إلى دار عالية البنيان، وفيها دهليز كبير، وامرأة جالسة على باب الدهليز، فوقف مسلم ينظر إليها، فقالت له: ما وقوفك يا هذا في دار فيها حرم غيرك؟ فقال: والله ما وقع في قلبي شيء مما تقولين، ولكن أنا رجل مظلوم وأريد من يخبرني بقية يومي هذا، فإذا جنّ الليل خرجت في ظلمته، قالت له المرأة: من أنت؟ قال

لها: أنا مسلم بن عقيل المغرور المخدول. فعرفته» (١) ..

ابن سعد (ت ٢٣٠):

«... وجاء الليل فهرب! مسلم حتى دخل على امرأة من كندة يقال لها: طوعة، فاستجار بها. وعلم بذلك محمد بن الأشعث ابن قيس فأخبره عبيد الله بن زياد، فبعث إلى مسلم فجيء به» (٢) ..

البلاذري (ت ٢٧٩):

«ودفع! إلى باب امرأة يقال لها: "طوعة"، فاستسقى ماءً، فسقته، ثم قال: يا أمة الله أنا مسلم بن عقيل بن أبي طالب، كذبي هؤلاء القوم، وغروني، فأويني. فأدخلته منزلها وآوته. وجاء ابنها فجعل ينكر كثرة دخولها إلى مسلم وخروجها من عنده، فسألها عن قصتها فأعلمته إجازتها مسلماً، فأتى عبد الرحمان بن محمد بن الأشعث فأخبره بذلك، وكان ابن زياد، حين تفرق عن ابن عقيل الناس فتح باب القصر، وخرج إلى المجلس، فجلس فيه، وحضره أهل الكوفة، فجاء عبد

(١) مقتل أبي مخنف المشهور: ٣١.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد: خ ١ / ٤٦١.

الرحمان بن محمد بن الأشعث إلى أبيه وهو عند ابن زياد، فأخبره خبر ابن عقيل، فأعلم محمد بن الأشعث ابن زياد بذلك، فوجه ابن زياد من الوجوه من يأتيه به» (١)..

الدينوري (ت ٢٨٢):

«فضى هائماً على وجهه في ظلمة الليل، حتى دخل حي كندة، فإذا امرأة قائمة على باب دارها تنتظر ابنها، وكانت ممن خف مع مسلم، فأوته، وأدخلته بيتها وجاء ابنها، فقال: من هذا في الدار؟ فأعلمته، وأمرته بالكتمان ...
فلما أصبح جلس للناس، فدخلوا عليه، ودخل في أوائلهم محمد بن الأشعث، فأقعه معه على سريره.
وأقبل ابن تلك المرأة التي مسلم في بيتها إلى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، وهو حينئذ غلام حين راهق، فأخبره بمكان مسلم عنده.

فأقبل عبد الرحمن إلى أبيه محمد بن الأشعث، وهو جالس مع ابن زياد، فأسر إليه الخبر. فقال ابن زياد: ما سار به ابنك؟ قال: أخبرني أن مسلم بن عقيل في بعض دورنا. فقال:

انطلق، فأتني به الساعة» (١)..

الطبري (ت ٣١٠)، الشجري، المزي، ابن حجر:

«فلما رأى مسلم أنه قد بقي وحده يتردد في الطرق أتى باباً
 فنزل عليه، فخرجت إليه امرأة، فقال لها: اسقيني، فسقته، ثم
 دخلت فمكثت ما شاء الله، ثم خرجت فإذا هو على الباب،
 قالت: يا عبد الله، إن مجلسك مجلس ريبة، فقم، قال: إني أنا
 مسلم بن عقيل، فهل عندك مأوى؟ قالت: نعم، ادخل.
 وكان ابنها مولى لمحمد بن الأشعث، فلما علم به الغلام
 انطلق إلى محمد فأخبره، فانطلق محمد إلى عبيد الله
 فأخبره» (٢)..

الطبري:

«فمضى على وجهه يتلدد في أزقة الكوفة لا يدري أين
 يذهب! حتى خرج إلى دور بني جيلة من كندة، فمضى حتى
 انتهى إلى باب امرأة يقال لها: طوعة، أم ولد كانت للأشعث

(١) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٤٠.

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٠، الأمالي للشجري: ١ / ١٩١، تهذيب الكمال للمزي:

٦ / ٤٢٦، تهذيب التهذيب لابن حجر: ٢ / ٣٥١.

ابن قيس، فأعتقها، فتزوّجها أسيد الحضرمي فولدت له بلالاً، وكان بلال، قد خرج مع الناس وأمه قائمة تنتظره، فسلم عليها ابن عقيل، فردّت عليه، فقال لها: يا أمة الله، اسقيني ماء، فدخلت فسقته، فجلس وأدخلت الإناء، ثم خرجت فقالت: يا عبد الله ألم تشرب! قال: بلى، قالت: فاذهب إلى أهلك، فسكت، ثمّ عادت فقالت مثل ذلك، فسكت.

ثمّ قالت له: في الله، سبحان الله يا عبد الله! فمرّ إلى أهلك عافاك الله، فإنّه لا يصلح لك الجلوس على بابي، ولا أحله لك، فقام فقال: يا أمة الله، ما لي في هذا المصر منزل ولا عشيرة، فهل لك إلى أجرو معروف، ولعليّ مكافؤك به بعد اليوم! فقالت: يا عبد الله، وما ذاك؟

قال: أنا مسلم بن عقيل، كذّبتني هؤلاء القوم وغرّوني، قالت: أنت مسلم! قال: نعم قالت: ادخل، فأدخلته بيتاً في دارها غير البيت الذي تكون فيه، وفرشت له، وعرضت عليه العشاء فلم يتعشّ، ولم يكن بأسرع من أن جاء ابنها فرآها تكثر الدخول في البيت والخروج منه، فقال: والله إنّه ليربيني كثرة دخولك هذا البيت منذ الليلة وخروجك منه! إنّ لك لشأناً، قالت: يا بنيّ، الهُ عن هذا، قال لها: والله لتخبرني: قالت:

أقبل على شأنك ولا تسألني عن شيء، فألحَّ عليها، فقالت: يا بني، لا تحدَّثنَّ أحداً من الناس بما أخبرك به، وأخذت عليه الأيمان، فحلف لها، فأخبرته، فاضطجع وسكت - وزعموا أنه قد كان شريداً من الناس وقال بعضهم: كان يشرب مع أصحاب له - ...

فلما أصبح جلس مجلسه وأذن للناس فدخلوا عليه، وأقبل محمد بن الأشعث، فقال: مرحباً بمن لا يستغش ولايتهم! ثم أقعده إلى جنبه، وأصبح ابن تلك العجوز، وهو بلال بن أسيد الذي آوت أمه ابن عقيل، فغدا إلى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فأخبره بمكان ابن عقيل عند أمه.

قال: فأقبل عبد الرحمن حتَّى أتى أباه وهو عند ابن زياد، فسأره، فقال له ابن زياد: ما قال لك؟ قال: أخبرني أنَّ ابن عقيل في دار من دورنا، فنخس بالقضيب في جنبه، ثم قال: قم فأتني به الساعة» (١).

الطبري:

«فخرج مسلم فدخل داراً من دور كندة، فجاء رجل إلى محمد

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧١ وما بعدها.

ابن الأشعث وهو جالس إلى ابن زياد، فسارّه، فقال له: إنّ مسلماً في دار فلان، فقال ابن زياد: ما قال لك؟ قال: إنّ مسلماً في دار فلان» (١).

ابن أعثم (ت ٣١٤):

«فلما رأى ذلك استوى على فرسه، ومضى في بعض أزقة الكوفة، وقد أثنى بالجراحات حتى صار إلى دار امرأة، يقال لها: طووعة، وقد كانت فيما مضى امرأة قيس الكندي، فتزوجها رجل من حضرموت يقال له: أسد بن البطين، فأولدها ولداً يقال له: أسد.

وكانت المرأة واقفة على باب دارها، فسلم عليها مسلم بن عقيل، فردّت عليه السلام، ثمّ قالت: ما حاجتك؟ قال: اسقيني شربة من الماء فقد بلغ منّي العطش.

قال: فسقته حتى روى، فجلس على بابها، فقالت: يا عبد الله! ما لك جالس؟ أما شربت؟ فقال: بلى والله، ولكني ما لي بالكوفة منزل، وإني غريب قد خذلني من كنت أثق به! فهل لك في معروف تصطنعيه إليّ فيأتي رجل من أهل بيت شرف

وكرم، ومثلي من يكافئ بالإحسان. فقالت: وكيف ذلك؟ ومن أنت؟ فقال مسلم: خلي هذا الكلام وأدخليني منزلك عسى الله أن يكافئك غداً بالجنة.

فقالت: يا عبد الله! خبرني اسمك ولا تكتمني شيئاً من أمرك، فإنني أكره أن يدخل منزلي من قبل معرفة خبرك وهذه الفتنة قائمة، وهذا عبید الله بن زياد بالكوفة.

فقال لها مسلم بن عقيل: إنيك لو عرفتني حق المعرفة لأدخلتني دارك، أنا مسلم بن عقيل بن أبي طالب! فقالت المرأة: قم فادخل رحمك الله! فأدخلته منزلها وجاءته بالمصباح وبالطعام فأبى أن يأكل.

فلم يكن بأسرع من [أن] جاء ابنها فلما أتى وجد أمه تكثر دخولها وخروجها إلى بيت هناك وهي باكية، فقال لها: يا أمه! إن أمرك يربيني لدخولك هذا البيت وخروجك منه باكية، ما قصتك؟

فقالت: يا ولداه! إنني مخبرتك بشيء لا تفشه لأحد، فقال لها: قل لي ما أحببت، فقالت له: يا بني! إن مسلم بن عقيل في ذلك البيت، وقد كان من قصته كذا وكذا.

قال: فسكت الغلام ولم يقل شيئاً، ثم أخذ مضجعه ونام.

فلَمَّا كان من الغد نادى عبيد الله بن زياد في الناس أن يجتمعوا، ثمَّ خرج من القصر وأتى إلى المسجد الأعظم فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثمَّ قال: ...

قال: وأقبل محمَّد بن الأشعث حتَّى دخل على عبيد الله بن زياد، فلَمَّا رآه قال: مرحباً بمن لا يتَّهم في مشورة! ثمَّ أدناه وأقعده إلى جنبه.

وأقبل ابن تلك المرأة التي مسلم بن عقيل في دارها إلى عبد الرحمن بن [محمَّد بن] الأشعث فخبَّره بمكان مسلم بن عقيل عند أمِّه. فقال له عبد الرحمن: اسكت الآن ولا تعلم بهذا أحداً من الناس.

قال: ثمَّ أقبل عبد الرحمن بن محمَّد إلى أبيه فسارَه في أذنه وقال: إنَّ مسلماً في دار طوعة، ثمَّ تنحَّى عنه.

فقال عبيد الله بن زياد: ما الذي قال لك عبد الرحمن؟ فقال: أصلح الله الأمير! البشارة العظمى. فقال: وما ذاك؟ ومثلك من بشر بخير!

فقال: إنَّ ابني هذا يخبرني أنَّ مسلم بن عقيل في دار طوعة عند مولاة! لنا.

قال: فسرَّ بذلك، ثمَّ قال: قم فأت به ولك ما بذلت من

الجائزة الحظّ الأوفى» (١) ...

المسعودي (ت ٣٤٦):

«فنزّل عن فرسه ومشى متلّدداً في أزقة الكوفة لا يدري أين يتوجّه، حتّى انتهى إلى باب مولاة للأشعث بن قيس، فاستسقاها ماءً، فسقته، ثمّ سأله عن حاله، فأعلمها بقضيّته، فرقت له، وآوته.

وجاء ابنها، فعلم بموضعه، فلمّا أصبح غداً إلى محمّد بن الأشعث فأعلمه، فمضى ابن الأشعث إلى ابن زياد فأعلمه، فقال: انطلق فأتني به» (٢).

ابن حبّان (ت ٣٥٤):

«فمضى مسلم بن عقيل على وجهه وحده، فرأى امرأة على باب دارها، فاستسقاها ماءً، وسألها مبيتاً، فأجابته إلى ما سأل وبات عندها، وكان للمرأة ابن فذهب الابن وأعلم عبيد الله بن زياد أنّ مسلماً في دار والدته» (٣) ...

(١) الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٨٨.

(٢) مروج الذهب للمسعودي: ٣ / ٥٨.

(٣) الثقات: ٢ / ٣٠٨.

أبو الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦):

«فخرج متوجّهاً نحو أبواب كندة، فما بلغ الأبواب إلّا ومعه منها عشر، ثمّ خرج من الباب فإذا ليس معه منهم إنسان فمضى متلّدداً في أزقة الكوفة لا يدري أين يذهب، حتّى خرج إلى دور بني بجيلة من كندة، فمضى حتّى أتى باب امرأة يقال لها: طووعة، أمّ ولد كانت للأشعث وأعتقها، فتزوّج بها أسيد الحضرمي، فولدت له بلالاً، وكان بلال قد خرج مع الناس، وأمه قائمة تنتظر فسلم عليها ابن عقيل، فردّت السلام، فقال لها: اسقيني ماءً.

فدخلت فأخرجت إليه، فشرب، ثمّ أدخلت الإناء، وخرجت وهو جالس في مكانه، فقالت: ألم تشرب؟ قال: بلى. قالت: فاذهب إلى أهلِكَ فسكت، فأعادت عليه ثلاثاً ثمّ قالت: سبحان الله يا عبد الله، قم إلى أهلِكَ - عافاك الله - فإنّه لا يصلح لك الجلوس على بابي ولا أحلّه لك، ثمّ قام، فقال: يا أمة الله، والله ما لي في هذا المصر من أهل، فهل لك في معروف وأجر لعلّي أكافؤك به بعد اليوم. قالت: يا عبد الله وما ذاك؟ قال: أنا مسلم بن عقيل، كذّبتني هؤلاء القوم، وغروني وخذلوني، قالت: أنت مسلم؟ قال: نعم. قالت: ادخل، فأدخلته بيتاً في دارها، وفرشت له، وعرضت عليه العشاء،

وجاء ابنها فرآها تكثر الدخول في البيت، فسألها، فقالت: يا بني الله عن هذا، قال: والله لتخبرني، وألحَّ عليها، فقالت: يا بني، لا تخبره أحداً من الناس، وأخذت عليه الأيمان، فحلف لها، فأخبرته، فاضطجع وسكت.

فلَمَّا أصبح أذن للناس، فدخلوا عليه، وأقبل محمد بن الأشعث فقال: مرحباً بمن لا يتهم ولا يستغش، وأقعده إلى جنبه.

وأصبح بلال ابن العجوز التي آوت ابن عقيل فغداً إلى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فأخبره بمكان ابن عقيل عند أمه فأقبل عبد الرحمن حتَّى أتى إلى أبيه وهو جالس، فسارَه، فقال له ابن زياد: ما قال لك؟ قال: أخبرني أنّ ابن عقيل في دار من دورنا، فنخسه ابن زياد بالقضيب في جنبه ثمَّ قال: قم فأتني به الساعة» (١).

**الشيخ المفيد (ت ٤١٣)، الفتال، المجلسي، البحراني،
الدريندي، القمي:**

«فمضى على وجهه متلذداً، في أزقة الكوفة لا يدري أين يذهب، حتَّى خرج إلى دور بني جبلة من كندة، فمشى حتَّى

(١) مقاتل الطالبين: ١٠٤ وما بعدها.

انتهى إلى باب امرأة يقال لها: طوعة، أم ولد كانت للأشعث ابن قيس فاعتقها فتزوجها أسيد الحضرمي فولدت له بلالاً وكان بلال قد خرج مع الناس فأمة قائمة تنتظره فسلم عليها ابن عقيل فردت عليه، فقال لها: يا أمة الله، اسقيني ماءً، فسقته وجلس وأدخلت الإناء ثم خرجت، فقالت: يا عبد الله، ألم تشرب؟ قال: بلى. قالت: فاذهب إلى أهلك، فسكت، ثم أعادت مثل ذلك، فسكت، ثم قالت له في الثالثة: سبحان الله يا عبد الله، قم عافاك الله إلى أهلك فإنه لا يصلح لك الجلوس على بابي ولا أحله لك.

فقام وقال: يا أمة الله ما لي في هذا المصرمزل ولا عشيرة، فهل لك في أجر ومعرفة لعليّ مكافؤك بعد اليوم!

فقالت: يا عبد الله وما ذاك؟ قال: أنا مسلم بن عقيل كذبتني هؤلاء القوم وغروني وأخرجوني، قالت: أنت مسلم؟ قال: نعم، قالت: ادخل، فدخل بيتاً في دارها غير البيت الذي تكون فيه، وفرشت له وعرضت عليه العشاء فلم يتعش.

ولم يكن بأسرع أن جاء ابنها فرآها تكثر الدخول في البيت والخروج منه، فقال لها: والله إنه ليريني كثرة دخولك هذا البيت منذ الليلة وخروجك منه، إن لك لشأناً، قالت: يا بني

الله عن هذا، قال: والله لتخبريني، قالت: أقبل على شأنك ولا تسألني عن شيء، فألح عليها، فقالت: يا بني لا تخبرن أحداً من الناس بشيء مما أخبرك به، قال: نعم، فأخذت عليه الأيمان، فحلف لها فأخبرته فاضطجع وسكت.

فلما أصبح جلس مجلسه وأذن للناس، فدخلوا عليه وأقبل محمد بن الأشعث، فقال: مرحباً بمن لا يستغش ولايتهم، ثم أقعده إلى جنبه.

وأصبح ابن تلك العجوز فغدا إلى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، فأخبره بمكان مسلم بن عقيل عند أمه، فأقبل عبد الرحمن حتى أتى أباه وهو عند ابن زياد، فساره فعرف ابن زياد سراره، فقال له ابن زياد بالقضيب في جنبه: قم فأتني به الساعة» (١).

أبو إسحاق الإسفراييني (ت ٤١٨):

«فلما علت الضجة في دار هائي لأجل قتله وكثر البكاء خرج

(١) الإرشاد للمفيد: ٢ / ٥٣ وما بعدها، البحار للمجلسي: ٤٤ / ٣٥٠، العوالم للبحراني: ١٧ / ١٩٩، أسرار الشهادة للدريندي: ٢٢٣، نفس المهموم للقمي: ١٠٦، روضة الواعظين للفتال: ١٥٠، أعيان الشيعة للأمين: ١ / ٥٩٢، لواعج الأشجان: ٥٥.

مسلم بن عقيل وجعل يطلب لنفسه مجيراً ودار في شوارع الكوفة.

فبينما هو عيشي إذ رأى داراً عالية وامرأة جالسة على بابها، فوقف ينظر إلى تلك الدار، فقالت له المرأة: يا فتى، ما وقوفك على هذا الباب وفي الدار حريم؟

فقال لها: يا أمة الله ما خطر ببالي شيء من ذلك، وإنما أنا رجل مطلوب وأريد من يجيرني بقيّة يومي هذا. فقالت له المرأة: من أيّ الناس أنت؟

فقال: من بني هاشم، أنا مسلم بن عقيل، قد غمرني هؤلاء القوم وباعوني ونقضوا بيعتي. فقالت: وأنا من بني هاشم، وأحقّ بإجارتك.

ثم إنّها أدخلته الدار وأجلسته في بيت، وعرضت عليه المأكّل والمشرب، فلم يتناول غير الماء» (١) ...

أبو علي مسكويه (ت ٤٢١):

فبقي متلذّداً في أزقة الكوفة، لا يدري أين يذهب، فمشى حتّى انتهى إلى باب امرأة [يقال لها: طوعة] كانت أمّ ولد للأشعث،

(١) نور العين في مشهد الحسين عليه السلام ط دار المنار تونس: ٢٧.

فزوّجها أسيداً الحضرمي، فولدت له بلالاً، وكان بلال خرج مع الناس، وأمّه قائمة تنتظر، فسلم مسلم عليها، فردّت عليه، فقال لها: يا أمة الله، اسقيني ماءً، فدخلت، فسقته، فجلس، فقالت: يا عبد الله، اذهب إلى أهلك، فسكت، ثمّ عادت، فسكت.

فقالت: سبحان الله! قم إلى أهلك، فما يصلح الجلوس على بابي، ولا أحله لك. فقال: يا أمة الله، مالي في هذا المصر منزل، ولا عشيرة، فهل لك في أجر ومعرفة، ولعلي أكافؤك به بعد اليوم.

قالت: وما ذاك؟ قال: أنا مسلم بن عقيل، كذمني هؤلاء القوم، وغزوني.

قالت: ادخل! ولم يكن بأسرع من أن جاء ابنها. فقالت: يا بني، مكرمة وافتك، وأخذت عليه الأيمان، أن لا يخبر أحداً، فحلف، فأخبرته الخبر، فاضطجع وسكت ...

وأصبح ابن تلك العجوز، وهو بلال بن أسيد، فغدا إلى عبد الرحمان بن محمد بن الأشعث، فأخبره بمكان ابن عقيل عنده، وكان محمد بن الأشعث قد باكر ابن زياد، وهو عنده. فأقبل عبد الرحمان حتّى أتى أباه، فدنا منه، وسارّه.

فقال ابن زياد: ما يقول ابنك؟ فقال: يقول: إِنَّ ابن عقيل في دار من دورنا، فنخس بالقضيب في جنبه، وقال: قم، وأتني به الساعة» (١).

الطبرسي (ت ٥٤٨هـ):

«فمضى على وجهه متلذداً في أزقة الكوفة لا يدري أين يذهب، فمضى على باب امرأة يقال لها: طوعة، وهي على باب دارها تنتظر ولدها فسلم عليها وقال: يا أمة الله، اسقيني ماءً فسقته وجلس، فقالت: يا عبد الله فاذهب إلى أهلِكَ، فقال: يا أمة الله، ما لي في هذا المصر منزل، هل لك في أجر ومعرّوف ولعلي أكافيك بعد اليوم! فقالت: وما ذاك؟ قال: أنا مسلم بن عقيل كذّبتني هؤلاء القوم وغرّوني وأخرجوني، قالت: أنت مسلم؟! قال: نعم، قالت: ادخل، فدخل داراً في بيتها غير الذي تكون فيه وفرشت له وعرضت عليه العشاء فلم يتعشّ. فجاء ابنها فراها تكثر الدخول إلى البيت والخروج منه فسأها عن ذلك، فقالت: يا بنيّ الهُ عن هذا، قال: والله لتخبريني فأخذت عليه الإيمان أن لا يخبر أحداً، فحلف فأخبرته وكانت

هذه المرأة أمّ ولد للأشعث بن قيس، فاضطجع ابنها وسكت.
وأصبح فغداً إلى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فأخبره
بمكان مسلم بن عقيل عند أمّه فأقبل عبد الرحمن حتّى أتى
أباه وهو عند ابن زياد فسارّه فعرف ابن زياد سراره، قال: قم
فأنتي به الساعة» (١) ..

ابن الأثير (ت ٦٣٠):

«فلما رأى ذلك خرج متوجّهاً نحو أبواب كندة، فلما خرج
[إلى] الباب لم يبق معه أحد، فمضى في أزقة الكوفة لا يدري
أين يذهب، فأنهى إلى باب امرأة من كندة يقال لها: طوعة،
أمّ ولد كانت للأشعث وأعتقها فتزوّجها أسيد الحضرمي
فولدت له بلالاً، وكان بلال قد خرج مع الناس وهي تنتظره،
فسلم عليها ابن عقيل وطلب الماء فسقته، فجلس، فقالت
له: يا عبد الله ألم تشرب؟ قال: بلى. قالت: فاذهب إلى
أهلك، فسكت، فقالت له ثلاثاً فلم يبرح.

فقالت: سبحان الله! إنّي لا أحلّ لك الجلوس على بابي.
فقال لها: ليس لي في هذا المصر منزل ولا عشيرة، فهل لك إلى

أجر ومعروف ولعلي أكافؤك به بعد اليوم؟ قالت: وما ذاك؟ قال: أنا مسلم بن عقيل، كذّبي هؤلاء القوم وغروني، قالت: ادخل. فأدخلته بيتاً في دارها وعرضت عليه العشاء فلم يتعشّ.

وجاء ابنها فرآها تكثر الدخول في ذلك البيت، فقال لها: إن لك لشأناً في ذلك البيت، وسألها فلم تخبره، فألحّ عليها فأخبرته واستكتمته وأخذت عليه الأيمان بذلك، فسكت ... ولما أصبح بلال ابن تلك العجوز التي آوت مسلم بن عقيل أتى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فأخبره بمكان ابن عقيل، فأتى عبد الرحمن أباه، وهو عند ابن زياد، فأسرّ إليه بذلك، فأخبر به محمد بن زياد، فقال له ابن زياد: قم فأتني به الساعة» (١).

ابن الجوزي (ت ٦٥٤):

«وجعلوا يكلمونهم، فتفرّق من كان مع مسلم، وتسلّلوا عنه، ودهمه الليل، وقد بقي وحده فجاء إلى باب فجلس عليه فجاءته امرأة أو خرجت إليه فقال لها: يا أمة الله، اسقيني ماءً

(١) الكامل في التاريخ: ٤ / ٣١ وما بعدها.

فسقته وقالت: من أنت؟ فقال: أنا مسلم بن عقيل، فقالت: ادخل فدخل، وكانت المرأة أم مولى لمحمد بن الأشعث، فعرفه ابنها فانطلق فأخبر ابن الأشعث فأخبر ابن زياد» (١).

ابن كثير (ت ٧٧٤):

«فصلى بهم المغرب وقصد أبواب كندة فخرج منها في عشرة، ثم انصرفوا عنه فبقي وحده ليس معه من يدله على الطريق، ولا من يؤانسه بنفسه، ولا من يأويه إلى منزله، فذهب على وجهه واختلط الظلام وهو وحده يتردد في الطريق لا يدري أين يذهب، فأتى باباً فنزل عنده وطرقه، فخرجت منه امرأة يقال لها: "طوعة"، كانت أم ولد للأشعث بن قيس، وقد كان لها ابن من غيره يقال له: بلال بن أسيد، خرج مع الناس وأمه قائمة بالباب تنتظره.

فقال لها مسلم بن عقيل: اسقني ماءً أفسقته، ثم دخلت وخرجت فوجدته، فقالت: ألم تشرب؟ قال: بلى! قالت: فاذهب إلى أهلِكَ عافاك الله، فإنه لا يصلح لك الجلوس على بابي ولا أجمله لك، فقام فقال: يا أمة الله، ليس لي في هذا

(١) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ١٣٨، ١٤٠.

البلد منزل ولا عشيرة، فهل إلى أجر ومعروف وفعل نكافؤك به بعد اليوم؟

فقلت: يا عبد الله وما هو؟ قال أنا مسلم بن عقيل، كذبني هؤلاء القوم وغزوني، فقلت: أنت مسلم؟

قال: نعم! قالت ادخل! فأدخلته بيتاً من دارها غير البيت الذي يكون فيه وفرشت له وعرضت عليه العشاء فلم يتعش، فلم يكن بأسرع من أن جاء ابنها فراها تكثر الدخول والخروج، فسألها عن شأنها، فقلت: يا بني اله عن هذا، فألح عليها فأخذت عليه أن لا يحدث أحداً، فأخبرته خبر مسلم، فاضطجع إلى الصباح ساكناً لا يتكلم.

وأما عبيد الله بن زياد فإنه نزل من القصر بمن معه من الأمراء والأشراف! بعد العشاء الآخرة فصلّى بهم العشاء في المسجد الجامع، ثم خطبهم وطلب منهم مسلم بن عقيل وحث على طلبه، ومن وجد عنده ولم يعلم به قدمه هدر، ومن جاء به فله ديتّه، وطلب الشرط وحثهم على ذلك وتهددهم.

فلما أصبح ابن تلك العجوز ذهب إلى عبد الرحمن بن محمد ابن الأشعث فأعلمه بأن مسلم بن عقيل في دارهم، فجاء عبد الرحمن فسارّ أباه بذلك وهو عند ابن زياد، فقال ابن

زياد: ما الذي سارَّك به؟ فأخبره الخبر فنخس بقضيب في جنبه وقال: قم فأتني به الساعة» (١)..

الطريحي (ت ١٠٨٥):

«قال الناقلون: لما وصل خبرهائي إلى مسلم، خرج من الدار [دارهائي] هارباً حتَّى انتهى إلى الحيرة، فأضافته امرأة هناك بعد ما سألته عن حاله وقصّته، فلمّا أدخلته الدار أكرمته وقدّمت إليه المأكول، فأبى عن ذلك، لما به من الوجل والألم» (٢)!!

لسان الملك سبهر (ت ١٢٩٧):

«نظرت وبحثت - وأنا أسطر هذه الصفحات - في كتاب بحار الأنوار، والعوالم، وكتاب زبدة الفكرة، وكتاب اللهوف، وكتب الشيخ المفيد، وكتاب ابن شهر آشوب، وكتاب إعلام الوري، وبحر اللثالي، والفي، والطبري، وكتاب مروج الذهب، وكتاب الفصول المهمّة، وكتاب تذكرة خواصّ الأئمّة، وكتاب شرح الشافية، وكتاب كشف الغمّة، وكتاب اليافعي، وكتاب

(١) البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥٥.

(٢) المنتخب: ٢ / ٤٢٥.

الطريحي، وكتاب أعثم الكوفي، والمعيني، وأبومخنف، وكتاب مطالب السؤول، وكتاب عبد الله بن محمد رضا الحسيني المعروف بجلاء العيون، وفي مئات الكتب والمجلدات العربيّة والفارسيّة التي ألفها العلماء العظام في مقتل الحسين عليه السلام، ولم أجد في أيّ واحدة منها قصّة تدخل محمد بن كثير في نصرة مسلم بن عقيل بهذا التفصيل الذي يأتي.

ولما كان ابن أعثم الكوفيّ من علماء أهل السنّة والجماعة، وله إحاطة ودراية في جمع السير، وهو يروي في الغالب عن ابن إسحاق وابن هشام، رأيت من المؤسف أن لا آخذ ما كتبه بنظر الاعتبار، فهو يقول:

لما تفرّق الناس عن مسلم واختلط الظلام استوى مسلم على فرسه ومضى يخرج من الكوفة، وهو لا يعرف الطريق، فمضى يطوف في بعض الأزقة فرآه سعيد بن الأحنف فعرفه فقال له: إلى أين يا سيّدي ومولاي في مثل هذا الوقت؟

فقال: أريد أن أخرج من هذا البلد إلى مأمن، حتّى يجتمع إليّ بعض من بايعني من القوم فينصروني.

فقال سعيد بن الأحنف: لا أدعك تذهب أبداً، فقد جعلوا المدينة عليك سجنًا مقفلًا، وأحاطوا بك، وملاؤا الأزقة

والسكك بالجنود والحرس، فأين ذهبتم قبضوا عليكم وأسروكم. فقال مسلم: فماذا ترى؟ قال: تعال معي حتى أدلك على الطريق وأهديك إلى مكان تأمن فيه. فجاء به حتى وقف على باب دار محمد بن كثير، فنادى: يا محمد بن كثير أسرع واستقبل مسلماً.

فخرج محمد من الدار مسرعاً واستقبل مسلماً استقبالاً مبجلًا، وحمد الله على ما أنعم عليه وأكرمه باستضافة مسلم، وأدخله إلى بيته وجعله في موضع لا يدخله أحد غيره، وهياً له ما يلزمه.

وكان أصحاب عبيد الله بن زياد يطوفون في الأرزقة والمحلات ويدخلون كل موضع ومكان بحثاً عن مسلم بن عقيل، فكأنهم أحسّوا بموضعه فأرسلوا إلى ابن زياد يخبرونه بذلك، ففرح ابن زياد فرحاً شديداً، وأمر ابنه خالد أن يخرج مع فوج من الجنود ويحاصروا دار محمد بن كثير، ويهجموا عليه مغافصة وعلى حين غرة، فحاصروه ولم يكن معه أعوان ولا أنصار، فأمسكوا به وبابنه دون قتال ولا جدال، فلا ضربوا سيفاً ولا سفكوا دماً، فأرسلوا بهما إلى ابن زياد، وفتشوا البيت فلم يجدوا عيناً ولا أثراً، فرجع خالد إلى قصر الإمارة.

فلما سمع بذلك سليمان بن صرد الخزاعي والمختار بن أبي عبيدة الثقفي وورقاء بن عازب وجماعة آخرون من أشرف الكوفة تعاهدوا على الخروج غداة غد للهجوم على ابن زياد لانتفاذ محمد وابنه، والخروج بعد ذلك خارج الكوفة يتلقون الحسين عليه السلام لينصروه ويقاتلوا معه أعداءه، فتعاقدوا على ذلك وتعاهدوا وأرسلوا إلى قبائلهم ليستعدوا ويخرجوا غداة الغد لقتال ابن زياد.

فلما أصبح الصباح وصل عامر بن الطفيل ومعه عشرة آلاف رجل من جند الشام والتحق بابن زياد، ففرح ابن زياد واستقوى بهم، فأرسل إلى محمد بن كثير.

فلما حضر عنده سبه وشتمه، وتكلم معه كلاماً غليظاً. فقال محمد: يا ابن زياد! اعرف قدرك، والنزم حدك، ولا تقل ما لا يليق بك، فإني أعرف حسبك ونسبك وأعلم استلحاق معاوية لزياد، وما فعله في ذلك من فتنة وفساد.

فبينما كان محمد يتكلم ارتفعت أصوات طبول الحرب تصم الآذان، وتخرق الصماخ، وإذا بأربعين ألف رجل - أو ما يقرب من ذلك - قد حاصروا قصر الإمارة، واصطفوا حوله صفوفاً.

فاشتد غضب ابن زياد وقال: يا ابن كثير أقسم بيزيد أن ليس

على كلامي مزيد، لتأتيني بمسلم أو لأضربنّ عنقك. فقال له:
أنت أحقر من أن تمسّ شعرة منّي. فسكت ابن زياد، وأطرق
برأسه إلى الأرض، وكنم غضبه، وفكّر في عواقب فعله، وإن
كانت تلك الكلمات ثقيلة عليه، وهو لا يطيق سماعها.

ثمّ رفع رأسه وقال: يا ابن كثير! أيهما أحبّ إليك أهلك
وعشيرتك أم مسلم بن عقيل؟ فقال: يا ابن زياد إنّ الله
حافظ ابن عقيل وناصره ومعينه، وأنا لي ثلاثون ألف سيف
متعطّشة للدماء تحيط الآن بقصر الإمارة.

فغضب ابن زياد ولم يعد يحتمل الصبر عليه، فأخذ دواة كانت
أمامه فرمى بها محمّداً، فأصابته في جبهته فشجّته، وسال الدم
على وجهه.

فوثب محمّد إلى سيف، فأخذه وهجم على ابن زياد، فأحاط
به أشراف! الكوفة ومنعوه من الوصول إليه.

فلما رأى معقل! ذلك، وكان من قبل قد جرحه هاني كما
ذكرنا، حمل على محمّد فوثب عليه محمّد كالليث الغضبان
وضربه بسيفه فقطّعه نصفين.

فلما رأى ابن زياد إقدام محمّد وشجاعته تنحّى جانباً ونادى
بغلمانه: اقتلوه ولا تبقوه. فأحاطوا به من كلّ جانب وتكاثروا

عليه ومحمد يقاتلهم يميناً وشمالاً، فقتل منهم اثنين، ثم إنه عشر بوتد، فسقط إلى الأرض، فانتهزوها فرصة، فحملوا عليه وقتلوه.

أما ابن محمد فقد سل سيفاً وقاتل وهو يريد الوصول إلى باب القصر، فقاتل قتال الأبطال، فقتل عشرين حتى وصل إلى باب القصر، فطعنه غلام في ظهره بالرمح، فسقط شهيداً. وكان جيش الشام مشغولاً بقتال الكوفيين على الباب يتبادلون معهم الضرب والطعان بالسيوف والسنان، وهم يتعجبون ويتأهبون لصبر الكوفيين وجلدهم.

فقال ابن زياد: إنما يقاتل أهل الكوفة لمكان محمد بن كثير وابنه فاقطعوا رأسيهما وارموا بها إلى الناس ليرؤنهم، فيفت في عضد المقاتلين، ويخمد حماسهم، فقطعوا الرؤوس ورموا بها من أعلى الشرف بين الناس، فعلموا أن محمداً وابنه قد قتلا.

ولكنهم استمروا في القتال حتى انتهى النهار، وهبط عليهم الظلام، فانصرف كل واحد إلى أهله، ولم يبق منهم ولا رجل واحد في الميدان.

فلما سمع مسلم بن عقيل بالخبر خرج من مكمنه في دار محمد ابن كثير، وهو لا يعلم إلى أين يذهب! وكان ابن زياد على

وجل من أهل الكوفة وانقلابهم عليه! وفي نفس الوقت كان جاداً في البحث عن مسلم بن عقيل غاية الجِدِّ، ولهذا فرّق جنده - وهم اثنا عشر ألفاً - في شوارع الكوفة وأزقتها ومناطقها، فلم يترك محلّة إلا وجعل فيها جماعة من عسكره، سيّما في الليل، فأخذوا كلّ المعابر والسبل.

فلما خرج مسلم لقتله جماعة من الحُرّاس فسأله: من أنت؟ وإلى أين تريد؟

فقال: أنا رجل من بني فزارة!!! أريد الرجوع إلى قومي!! فقالوا له: ارجع فليس هذا طريقك، فرجع مسلم ومشى في طريق آخر حتّى وصل إلى دار البيع، وكان خالد بن عبيد الله ابن زياد في اثني عشر ألفاً حُرّاساً على تلك المحلّة، فرجع من هناك وأخذ يميناً وشمالاً في السكك والأزقة حتّى وصل إلى الكناسة، وكان هناك خادم الشاميّ في ألبي رجل، فمرّ مسلم بشجاعة وإقدام من هناك وعبر إلى سوق الحدّادين، فراه رجل يقال له: الحارث، فقال في نفسه: لا يكون هذا الفارس المتعجّل! الذي مرّ من هنا إلا مسلم بن عقيل، وكان الوقت يقارب الفجر، فجاء راكضاً مسرعاً إلى قصر الإمارة وقال لنعمان الحاجب: رأيت مسلماً وهو يدخل سوق الحدّادين

ويَتَّجه نحو باب البصرة، فركب نعمان في خمسين فارساً وتبعوه.

فلَمَّا سمع مسلم وقع حوافر الخيل عرف أنهم في طلبه، فنزل عن ظهر جواده وضربه، فانطلق الجواد مسرعاً، ودخل مسلم في شارع آخر، فأتبع الفرسان الجواد حتى لحقوه في محلة الحلاجين، فوجدوه دون فارس، فأخذوه ورجعوا به إلى ابن زياد، فأخبروه بالخبر.

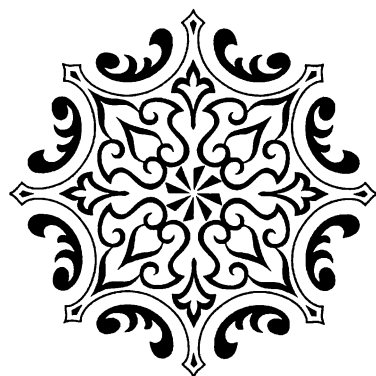
فأمر ابن زياد أن يشدّدوا الحراسة، ويأخذوا الطرقات، وينصبوا الكمائن ويشدّدوا على المخارج والمداخل، وأمر مناديه فنأدى في الكوفة: من دلّنا على مسلم أو جاءنا به فله من مال الدنيا ما يغنيه، ويكون من أهل الزلفى والقربى عند الأمير. فطمع بذلك المتهافتين على الذهب والفضّة، وخرجوا في طلب مسلم لا يفترّون ليلاً ونهاراً.

أما مسلم، فبعد أن أفلت من نعمان الحاجب ومن معه من الفرسان، جعل يطوف في الأرقّة لا يدري إلى أين يذهب، وقد أترفيه الجوع والعطش، حتى وجد نفسه في زقاق مسدود، فجعل يذهب يمناً وشمالاً، وهو في حيرة من أمره! إذ رأى مسجداً خراباً، فدخله وجلس في زاوية منه حتى غربت

الشمس، وهبط الظلام فلفح الكون بالسواد، فخرج من المسجد، وجعل يمرّ من زقاق إلى زقاق حتّى عبر على دور بني جبلة، وهم جماعة من كندة، فالتفت فرأى بنياناً منيفاً عالياً، فجلس في فناءه يستريح ساعة، وكانت الدار لامرأة يقال لها: "طوعة"، وهي أمّ ولد كانت للأشعث بن قيس، فأعتقها وتزوّجها أسيد الحضرميّ، فولدت له بلالاً، وكان بلال قد خرج في حاجة له، فتأخّر فقلقت أمّه له، فوقفت على الباب تنتظره. فلمّا رآها مسلم سلّم عليها، فردّت عليه السلام، فقال لها: يا أمة الله اسقيني ماءً، فسقته وجلس ودخلت ثمّ خرجت، فقالت: يا عبد الله ألم تشرب؟ قال: بلى، قالت: فاذهب إلى أهلك، فسكت، ثمّ أعادت مثل ذلك، فسكت، ثمّ قالت في الثالثة: سبحان الله يا عبد الله، قم عافاك الله إلى أهلك، فإنّه لا يصلح لك الجلوس على بابي ولا أحلّه لك، فقام وقال: يا أمة الله ما لي في المصر أهمل ولا عشيرة، فهل لك في أجر ومعروف، ولعلّي مكافيك بعد هذا اليوم، قالت: يا عبد الله وما ذاك؟ قال: أنا مسلم بن عقيل كذّبي هؤلاء القوم وغروني وأخرجوني، قالت: أنت مسلم؟ قال: نعم، قالت: ادخل. فدخل إلى بيت دارها غير البيت الذي تكون فيه، وفرشت له

وعرضت عليه العشاء، فلم يتعشَّ.
ولم يكن بأسرع من أن جاء ابنها فرآها تكثر الدخول في البيت
والخروج منه، فقال لها: والله إنه ليربيني كثرة دخولك إلى هذا
البيت وخروجك منه منذ الليلة، إنَّ لك لشأنًا!
قالت له: يا بنيَّ الٰهُ عن هذا، قال: والله لتخبريني، قالت له:
أقبل على شأنك ولا تسألني عن شيء.
فألحَّ عليها، فقالت: يا بنيَّ لا تخبرنَّ أحداً من الناس بشيء
مما أخبرك به، قال: نعم، فأخذت عليه الأيمان، فحلف لها،
فأخبرته فاضطجع وسكت» (١) ...

(١) ناسخ التواريخ / حياة الإمام الحسين عليه السلام ترجمة السيّد عليّ أشرف: ١ / ٢٨٤ وما بعدها.



الحرب الأخيرة

المقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين
محَمَّد وآله الطيّبين الطاهرين واللعن الدائم على أعدائهم من الأولين
والآخرين.

وصلّ - يا ربّ - صلاة خاصّة نامية زاكية طيّبة دائماً على مولاي
الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام وسلام الله العليّ العظيم وسلام ملائكته
المقرّبين، وأنبيائه المرسلين، وأئمّته المنتجبين، وعباده الصالحين، وجميع
الشهداء والصّدّيقين، والزاكيات الطيّبات فيما تغتدي وتروح عليك يا
مسلم بن عقيل بن أبي طالب، ورحمة الله وبركاته.

اللّهم صلّ على محمّد وآل محمّد، وتوفّنا على الإيمان بك والتصديق

برسولك والولاية لعلّي بن أبي طالب - صلوات الله عليهما - والأئمّة من ولده والبراءة من أعدائهم (١)..
 أمّا بعد:

قد تناولنا في دراسات سابقة بعض المفاصل المهمّة في تاريخ حياة مولانا الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام من قبيل: «قصة شراء والدته»، و«كونه عليه السلام ثائراً أم سفيراً»، و«قصة التطيّر»، و«قصة معقل»، و«قصة اغتيال ابن زياد في بيت هاني بن عروة رضي الله عنه»، و«معركة القصر» وحركته «بين المسجد الأعظم ودار طوعة».

وها نحن نحاول دراسة حربهِ الأخيرة التي خاضها، وقاتل فيها مدافعاً عن نفسه القدسيّة مجاهداً محتسباً وحيداً فريداً جنوداً مدجّجين يحملون أكداساً من الأسلحة والنيران، وهو يقاتل وحده بلا ناصر ولا أعوان، لا يجد من يسقيه جرعة من الماء، وقد أخذته الجراحات، وشخبت الدماء من بدنه الشريف تنزف نزفاً، وهم يهابونه ويرهبونه ويتخوّفون من الاقتراب منه، فيظنّون أنّهم يستطيعون أن يخدعوه بأمان زائف صفيق غادر، فيأبى الموعود بدرجات الشهادة العليا

(١) انظر: المزار لابن المشهدي: ١٧٧، بحار الأنوار: ٩٧ / ٤٢٨، زيارة المولى مسلم

إلا أن يقاتل فيقتل حرّاً، ويرفض الموت البارد على الفراش إذا قبل الأمان وصدقوا في انجاز وعدهم، فيكرّ عليهم كرات حيدرّية، ويهجم عليهم هجمات حسينية، فلا يدنو منه أحد رغم كثرتهم ووحدته، حتّى طعنوه طعنة غادرة أردته إلى الأرض صريعاً، وهو في هذه الحال تفيض عيونه التي جفّ مآقيها الظمأ دموعاً على الإمام غريب الغرباء وسيد الشهداء الحسين عليه السلام ...

وربما نوقّ ببركة المولى الغريب عليه السلام لإتمام المسير معه إن شاء الله في الساعات الباقية في الكوفة.

هذا، وقد تحرّينا فيما كتبنا سبيل الاحتياط، وحاولنا استكشاف الموقف، وقصدنا خدمة أهل البيت عليهم السلام، وعزمنا على الدفاع عن حريمهم وقداستهم، وكلّ ما ينسب إليهم، فإن وقّنا في ذلك فهو فضلهم ومنّهم وفيضهم وبركاتهم، وإلا فنستغفر الله ونسأله أن يعطينا أجر من أحسن عملاً، إنّه عفوّ جواد كريم، وهو نعم المولى ونعم النصير، والله من وراء القصد.

السيد علي السيد جمال أشرف الحسيني

الحرب الأخيرة

اختلفت المصادر في وصفها للحرب الأخيرة التي خاضها المولى الغريب عليه السلام في الكوفة، فمنهم من اقتضب واختصر، ومنهم من قلب الصورة ومارس الكذب المفترع، ومنهم من صوّر كما يحلّوله، وخلط البارد بالسّاخن، والحقّ بالباطل، والحلو بالمرّ، والحقيقة بالزيف، ومنهم من انفرد برسم المشهد كلّ في صورة تنسجم مع مجريات الأحداث، ولكّنها تختلف عن المشهور تماماً، ومنهم من انفرد في نقل بعض الجزئيات ورواية بعض التفاصيل.

بيد أنّها جميعاً - إلا ما شذّ منها عن الصواب وجانب الحقّ - تنبؤ عن يوم مشهود في الكوفة، سجّل فيه البطل الهاشمي بطولات ذكرتهم بشجاعة عمّه أمير المؤمنين عليه السلام، وأرعبت أولاد البغايا، وتركت أذنان

القرءة ترتجف رعباً وخوراً وفرقاً في جخورها.

وسوف نقسم ما ورد في تلك المصادر إلى أقسام ونصنفها تصنيفاً

نستعين به بعد استمداد العون والمدد من الله وآل البيت ؑ، على

استكشاف الحقيقة واستجلاء الموقف.

ويمكن تقسيم المصادر بدواً إلى قسمين:

القسم الأول: مصادر لم تذكر القتال

نقلت بعض المصادر ما جرى في الكوفة في ذلك اليوم العصيب، حتّى انتهى المولى في حركته إلى دار طوعة، ثمّ نقلت إرسال ابن الأمة الفاجرة في طلبه، ولكنها قدّمت صورة مشوّهة للمشهد، فجاءت الكذبة فجّة متهاوية لا يستسيغها الذوق. وتنقسم هذه المصادر إلى مستويين:

المستوى الأول: الاختصار

قال ابن سعد:

«.. وعلم بذلك محمّد بن الأشعث بن قيس، فأخبر به عبيد الله بن زياد، فبعث إلى مسلم، فجاء به، فأثبّه وبكّته، وأمر

بقتله» (١).

انفرد (٢) ابن سعد بهذه العبارة، وهي عبارة مقتضبة، يمكن حملها على الاختصار، وطى الأحداث بعدة كلمات، كما يمكن حملها على نفي الحدث، وذلك لترتيب الأحداث، وتفريع بعضها على بعض بالفاء، فكأنه يريد أن يوحى أن كل ما وقع هو ما ذكره: «بعث إلى مسلم عليه السلام، فجيء به، فأثبه وبكته، وأمر بقتله».. وانتهى الأمر بهذه السهولة، واستشهد المولى الغريب عليه السلام بهذه السرعة، والموقف يتحدث عن إقدام البغي العاتي ابن زياد، ولا يشير إلى أي رد من قبل المولى مسلم بن عقيل عليه السلام!

فهي إن كانت بمستوى الاختصار والاقتضاب، فستفصلها الأخبار في المصادر الأخرى، وإن كانت بمعنى نفي الحدث، فستدخل في المستوى الثاني، ويكذبها مجرد نسبتها للمولى عليه السلام الذي لا يعطي بيده أعطاء الذليل، ولا يفر [يقر] فرار [إقرار] العبيد.

المستوى الثاني: الاستسلام

صرّحت بعض المصادر باستسلام المولى الأبي!! ونحن نستغفر الله

(١) الطبقات الكبرى: خ ٥ / ٤٦١.

(٢) إذا قلنا «انفرد» أو «لم نجد في مصدر» أو ما شاكلها من العبارات، فنقص ذلك حسب فحصنا إلى حين تحرير ذلك.

من هذا التعبير، ونعتذر إلى مولانا، ولولا ضرورة البحث واضطرارنا إلى ذكر سخافات المؤرخين ووقاحاتهم، لردّها والتنويه إلى عوارها، لكان كسر القلم أولى من تحمّل عفن الجيف التي حشوا بها كتبهم، فإنّا لله وإنا إليه راجعون.

قد جاء بها البلاذري شوهاء عوراء فقماء، وكذبة بلهاء سوءاء مظلمة سوداء، فأعقبه الطبري كما هي عادته في تنميق هراء السابقين عليه، وتزويق كذبهم الذي تنفّر منه الطباع، فيعمل فيه بالإضافة والتعذيب، والزيادة والنقصان، فيمزج مرارته المقرّفة بما يجعلها مستساغة ولو على كره، وربما خدعت المستعدّ للخديعة!

قال البلاذري:

«فدخل (ابن الأشعث) عليه، وهو عند امرأة قد أوقدت ناراً،

فهي تغسل عنه الدم، فقالوا له: انطلق إلى الأمير.

فقال: عفواً!!!

قالوا: ما غلك ذلك.

فانطلق معهم فلمّا رآه أمر به فكثف» (١) ..

وقال الطبري في إحدى رواياته:

«قال ابن زياد لرجلين: انطلقا فأتياني به، فدخل عليه وهو عند امرأة قد أوقدت له النار، فهو يغسل عنه الدماء، فقالا له: انطلق، الأمير يدعوك.

فقال: اعقدا لي عقداً!

فقالا: ما نملك ذاك، فانطلق معهما حتى أتاه فأمر به فكفف» (١) ..

يا لله! الغضنفر الهاشمي، والليث الطالبي، والأسد العقيلي، يطلب العفو من الأذعياء!!

اثنان أو أكثر من أشباه الرجال، والعبيد والفئران يدخلون على البطل الهمام وسيفه في متناول يده، ثم يطلب منهم الأمان أو يفوه بكلمة كان الأجدر بالبلاذري أن يربأ بنفسه ويحترم عقله، إن كان ثمة عقل بعد أن كتب هذه الفرية القذرة، ويحترم الأجيال المتعاقبة التي ستقرأ كتابه، ويسمو عن كتابة مثل هذه الترهات الباهتة..

لقد «نسي الراوي أنّ مسلم بن عقيل عليه السلام بطل من أبطال بني هاشم، أو أنه جهل ذلك، أو تجاهله لمصلحة اقتضاها..

يجلس ابن الأمة الفاجرة في ديوانه ويرسل رجلين نكرتين لم

يذكرهما التاريخ حتّى بالاسم.. ليلقيا القبض على الغضب الإلهي
المصبوب على الكفرة وأبناء الأدعياء؟!

رجلان تافهان مجهولان يقتحمان على الليث الطالبي عرينه
ويدعوانه! يدعوانه إلى الدعي ابن الدعي؟!

الصاعقة التي نزلت على الدعي ابن الدعي.. الحمم المحارقة التي
أرعبت الجبان.. الريح العاصف المهلك الذي جعل ابن زياد يرتعش
مرتجفاً ويهترو ويختفي خلف أسوار القصر.. الموت الأحمر الذي أرق
الرعيدي وسلب النوم من عينه، وجعله لا يعرف أين يكون الأمان!
مسلم بن عقيل عليه السلام، يطلب الأمان من رجلين لا يعرفهما، ولا يعرفهما
الراوي والمؤرخ وبقي في ظلمات المجهولية إلى اليوم؟!

أوليس مسلم حفيد أبي طالب سفير الحسين عليه السلام وابن عمه
وأخاه؟ وقول إمامه عليه السلام ملء سمعه وقلبه: والله لا أعطيكم بيدي
إعطاء الذليل، ولا أقرّ [أقرّ] لكم فرار [إقرار] العبيد؟!

مسلم بن عقيل عليه السلام الذي نثر المنية في الكوفة نثراً، وأذاقهم الموت
كأساً مرّاً، وجعل النوائح النادبات تجوب الكوفة، فلا يفتريها أنين ولا
يهدأ لها صراخ وعويل ورنين! يطلب عقداً باهتاً من رجلين أفرزتهما
الكوفة التي خذلتها وتنكرت للبيعة، وأرسلهما ابن زياد الذي لا يرضى
لله إلّا ولا ذمة؟! ويقول لابن الأشعث!!: عفوا!!

يبدو أنّ هذه الفرية الساذجة الهابطة بمستوى من السقوط والتفاهة بحيث لا يحسن الاسترسال في مناقشتها، ونكتفي بهذا القدر من الكلام الذي ذكرناه غيره على المولى الغريب عليه السلام، لا تكذيباً للبهتان، إذ لا يصدّق هذه القصة من أنعم الله عليه بنعمة العقل والإيمان» (١).

(١) انظر: «مسلم بن عقيل عليه السلام بين المسجد الأعظم ودار طوعة».

القسم الثاني: مصادر ذكرت القتال

وهي باقي المصادر غير ما ذكرنا في القسم الأول، وسوف نتناولها بالتفصيل إن شاء الله تعالى، ضمن روايتين:

الرواية الأولى: خبر ابن قتيبة واليعقوبي

نقلت بعض المصادر القديمة من قبيل الإمامة والسياسة لابن قتيبة والتاريخ لابن واضح اليعقوبي، خبر مقاتلة المولى الغريب عليه السلام، في سياق يختلف عن سياق المصادر الأخرى، فجاءت مقتضبة غير أنها أفادت أن ابن الأمة الفاجرة بادر فأرسل شرطه إلى المولى مسلم بن عقيل عليه السلام وهو في دارته، دون الإشارة إلى أحداث معركة القصر، فخرج إليهم المولى الهمام فقاتلهم فأسر.

روى ابن قتيبة في الإمامة والسياسة قال:

«.. وأرسل جماعة إلى مسلم بن عقيل، فخرج عليهم بسيفه، فما زال يقاتلهم حتى أخرج وأسر»^(١)..

وروى اليعقوبي في التاريخ قال:

«ووجه - أي ابن زياد - بالشرط يطلبون مسلماً، وخرج وأصحابه، وهو لا يشك في وفاء القوم، وصحة نياتهم! فقاتل عبيد الله، فأخذه، فقتله عبيد الله، وجزّ برجله في السوق وقتل هاني بن عروة لنزول مسلم منزله وإعانتة إيّاه»^(٢)..

وهذا المشهد يختلف تماماً عن المشاهد الأخرى، حيث أنه لا يروي تفاصيل الخروج إلى القصر، وإنما يصوّر تقدّم جرذان القصر نحو المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام، أي أنه يرسم الصورة عكس المشهور تماماً.

ولا يخفى ما لهذين المصدرين من ثقل وقدم..

فأقدم مصدر - حسب وفاة المؤلف مما توفّر لدينا - هو ابن سعد (ت ٢٣٠)، ووفاة ابن قتيبة: «ت ٢٧٦» وولادته «٢١٣» فهو إذن معاصر لابن سعد.

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ٢ / ٩.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٢٤٣.

فرواية ابن سعد للأحداث وفق المشهور لم تكن بالتفصيل الوارد في مثل الطبري وغيره، وليس لها مرجح خاص يرجحها على رواية ابن قتيبة واليعقوبي.

فالمشهد وارد في مصدرين قديمين لهما وزنها وثقلهما في عالم التاريخ والتحقيق.

ومفاد خبرهما ينفي كل ما رواه ابن سعد ومن حذا حذوه، إذ يفيدان أنّ مسلماً عليه السلام كان في دارته وأرسل ابن زياد شرطته إليه، ووقع القتال بينه وبينهم، فلانداء رفع، ولا عساكر تتجحفل، ولا ناس يموجون، وهكذا بقيّة الأحداث التي تطوّرت عند المؤرّخين كلّما تقدّم بهم الزمن. وخبرهما يتجاوز الكثير من المحاذير التي كانت تشوب الخبر المشهور، من قبيل ما نسب للمولى عليه السلام من حيرة في أمره، وتلدّد في الشوارع، والمحاذير التي تترتب على النداء، والخروج إلى القصر، وكثير ممّا جعل المحقّقين والمحلّلين التاريخيّين يقفون موقف الذاهل، أو الباحث عن المسوّغات والمبرّرات للكثير من المشاهد التي ترسمها الرواية المشهورة!

وخبرهما لا يمّس الثابت التاريخي الناصّ على خذلان أهل الكوفة ونكثهم بيعتهم، وتركهم سيّدهم وحده، وتمسّكهم بذنب القرد حبلاً بدلاً حبلى الله الذي أمرهم الله أن يعتصموا به.

وذلك: لأنهم حسب هذا الخبر أيضاً تخلّوا عن المولى الغريب عليه السلام، بالخصوص في لفظ اليعقوبي، فهم لم ينهضوا للذبّ عن مولاهم ولا الدفاع عنه والوقوف سداً منيعاً دون اقتراب أزلام الطاغية الحقير إلى حريم المولى مسلم بن عقيل عليه السلام.

ولا يخفى أنّ المشهد - حسب ما يصوّره هذان المؤرّخان - يهزّ الغيور من الأعماق، ويخلع قلب المحبّ، فيذوب قلبه دموعاً، إذ يبقى المولى الغريب عليه السلام وحده لا ناصر له ولا معين، وتبقى شهادته تصدع الروح وتفتّت الأكباد، غير أنّ خبر طوعة سيختفي، وهذا بنفسه قد يكون محذوراً لا يسهل اجتيازه (١).

الرواية الثانية: الخبر المشهور

وهي الأخبار المشهورة التي نصّت على أنّ المولى الغريب عليه السلام قاتل بعد أن دخل بيت طوعة، وبات عندها ليلته تلك، ثمّ صبحته أزلام الطاغية القزم، وسنتناوها بالتفصيل ونحاول اصطيد محتوياتها إن شاء الله تعالى.

(١) انظر للمزيد: «مسلم بن عقيل عليه السلام بين المسجد الأعظم ودار طوعة».

المحتوى الأول: قائد عسكر السقيفة

اختلفت المصادر في تعيين الشخص الذي أرسل لمواجهة المولى
الغريب عليه السلام، ويمكن تقسيمها إلى عدّة مجاميع:

المجموعة الأولى: المجملة

قال ابن سعد:

«فبعث إلى مسلم، فجيء به» ^(١)..

وقال ابن قتيبة:

«وأرسل جماعة إلى مسلم بن عقيل» ^(٢)..

(١) الطبقات الكبرى: خ ٥ / ٤٦١.

(٢) الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ٢ / ١٠.

وقال اليعقوبي:

«ووجّه بالشرط يطلبون مسلماً» (١) ..

وقال الذهبي:

«فبعث عبيد الله الشرط إلى مسلم» (٢) ..

وهذه المجموعة لم تذكر اسماً معيناً ولا صفة تميّز لنا قائد العسكر أو الشرط الذي قاد الأوباش لحرب سفير العترة الطاهرة.

المجموعة الثانية: نصّت على بعض الأسماء

تُشعر النصوص التاريخية محاولة المؤرخ صياغة العبارة بشكل لا تلقي بالمسؤولية واللائمة على قائد بعينه، وكأنّها تريد أن تترجم ما قرّره الدينوري: «وكره أن يبعث إليه غير قريش خوفاً من العصبية أن تقع» (٣)، وما قاله الطبري وغيره: «وإنما كره أن يبعث معه قومه، لأنّه قد علم أنّ كلّ قوم يكرهون أن يصادف فيهم مثل ابن عقيل...» (٤).

(١) تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٢٤٣.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي: ٣ / ٢٠٨.

(٣) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٤٠.

(٤) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧٣ وما بعدها، البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥٨،

نفس المهموم للقمي: ١١٣.

وتريد أن تفرّق دم المولى الغريب عليه السلام في القبائل والرؤوس، فلا يعرف المطالب المطلوب بالدم، وغاب عنه أنّ الطالب بدم المقتول معصوم يخبر عن الله، عجل الله تعالى فرجه الشريف، وقد ذكر سيّد الشهداء عليه السلام ابن الأشعث أنّه مطلوب بدم المولى الغريب عليه السلام كما ستأتي الإشارة إليه، إن شاء الله تعالى.

الاسم الأول: محمّد بن الأشعث وبعض الوجوه:

قال البلاذري:

«فوجّه ابن زياد من الوجوه من يأتيه به، وفيهم محمّد بن الأشعث» (١) ..

الاسم الثاني: محمّد بن الأشعث وقريش

قال الدينوري:

«فقال: انطلق، فأتني به الساعة.

وقال لعبيد بن حريث: ابعث مائة رجل من قريش، وكره أن يبعث إليه غير قريش خوفاً من العصبية أن تقع» (٢) ..

(١) أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٨١.

(٢) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٤٠.

الاسم الثالث: عمرو بن حريث المخزومي وعبد الرحمن بن

محمد بن الأشعث

قال الطبري، والشجري، والمزي، وابن حجر:

«فبعث عبيد الله عمرو بن حريث المخزومي - وكان صاحب

شرطه - إليه، ومعه عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث» (١) ..

وقال ابن الجوزي:

«فبعث عبيد الله إليه صاحب الشرطة عمرو بن حريث، ومعه

عبد الرحمن بن محمد الأشعث» (٢)!

وربما كان ذكر عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث هنا فيه تصحيف

أو زيادة أو خطأ، بناءً على ما ذكره الدينوري ونص عليه من أن عبد

الرحمن بن محمد بن الأشعث كان قد راهق في تلك الأيام، فلا يتصور

أن يكون - وهو الجبان ابن الجبان والخبيث ابن الخبيث - في هذه السن

المبكرة قادراً على قيادة جماعة لقتال بطل من أبطال التاريخ البشري.

قال الدينوري:

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٠، الأمالي للشجري: ١ / ١٩١، تهذيب الكمال للمزي: ٦

/ ٤٢٦، تهذيب التهذيب لابن حجر: ٢ / ٣٥١.

(٢) المنتظم لابن الجوزي: ٥ / ٣٢٦.

«... وأقبل ابن تلك المرأة التي مسلم في بيتها إلى عبد الرحمن

ابن محمد بن الأشعث، وهو حينئذ غلام حين راهق» (١).

الاسم الرابع: عمرو بن حريث ومحمد بن الأشعث

قال ابن شهر آشوب:

«فأنفذ عبيد الله عمرو بن حريث المخزومي ومحمد بن

الأشعث في سبعين رجلاً» (٢).

وقال ابن الجوزي:

«فأخبر ابن زياد فبعث إليه عمرو بن حريث المخزومي، وكان

على شرطته ومعه محمد بن الأشعث» (٣).

الاسم الخامس: محمد بن الأشعث

قال الطبري أيضاً:

«فنخس بالقضيب في جنبه (أي في جنب محمد بن الأشعث)

ثم قال: قم فأتني به الساعة» (٤).

(١) الأخبار الطوال: ٢٤٠.

(٢) المناقب لابن شهر آشوب: ١٠ / ٣١٩.

(٣) تذكرة الخواص: ٢١٩.

(٤) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧٣ وما بعدها، البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥٨،

وقال ابن أعثم:

«... ثم أمر عبيد الله بن زياد خليفته عمرو بن حريث
المخزومي أن يبعث مع محمد بن الأشعث ثلاثمائة راجل من
صناديد أصحابه» (١) ..

وقال ابن حبان:

«فأنفذ عبيد الله بن زياد إلى دار المرأة محمد بن الأشعث بن
قيس في ستين رجلاً من قيس» (٢) ..

وقال السيد ابن طاووس:

«فأحضر محمد بن الأشعث وضم إليه جماعة، وأنفذه لإحضار
مسلم» (٣) ..

وقال الطريحي وأبومخنف المشهور:

«ثم إن ابن زياد دعا بمحمد بن الأشعث الكندي» (٤) ..

نفس المهموم للقمي: ١١٣.

(١) الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٥٣ وما بعدها.

(٢) الثقات لابن حبان: ٢ / ٣٠٨.

(٣) اللهوف للسيد ابن طاووس: ٥٤.

(٤) المنتخب للطريحي: ٢ / ٤٢٦، مقتل أبي مخنف المشهور: ٣٣.

الاسم السادس: محمّد بن الأشعث وعبد الله السلمي

قال المسعودي:

«فمضى ابن الأشعث إلى ابن زياد فأعلمه، فقال: انطلق فأتني به، ووجّه معه عبد الله بن العباس السلمي في سبعين رجلاً» (١) ..

الاسم السابع: محمّد بن الأشعث وابنه وعمرو بن حريث

قال ابن كثير:

«فأخبره الخبر، فنخس بقضيب في جنبه وقال: قم فأتني به الساعة. وبعث ابن زياد عمر بن حريث المخزومي - وكان صاحب شرطته - ومعه عبد الرحمن ومحمّد بن الأشعث في سبعين أو ثمانين فارساً» (٢) ..

الاسم الثامن: محمّد بن الأشعث أو عبد الله السلمي

قال ابن نما:

«ووصل الخبر إلى عبيد الله، فأخبر محمّد بن الأشعث، وقيل:

(١) مروج الذهب للمسعودي: ٣ / ٥٧.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥٥.

عبد الله بن عباس السلمي في سبعين رجلاً من قيس حتى
أتوا دار طوعة» (١).

المحصلة

إنّ المصادر التي صرّحت بالأسماء، قد ذكرت محمّد بن الأشعث
بشكل من الأشكال، فربما كان هو القائد الأول، وكان الآخرون قادة في
البعثات المتأخّرة، أو كان ابن الأشعث هو القائد الأصليّ والباقون قادة
تحت إمّرتة، أو كانوا قادة بالاشتراك كلّ على قطيع.

وكيف كان، فإنّ محمّد بن الأشعث الخبيث ابن الخبيث هو المطالب
المباشر - بعد أسياده الذين أمروه وأمّروه - بدم المولى الغريب ؑ المقتول
ظلماً.

وقد صرّح سيّد الشهداء ؑ بمطالبة آل الأشعث بدم المولى
الغريب ؑ حينما خطب في القوم يوم عاشوراء، فدعا
براحلته فركبها ونادى بأعلى صوته: أيّها الناس اسمعوا قولي.
فتكلّم بكلام فيه فضل أهل بيته، ثمّ قال: أطلبوني بقتيل؟ أو
بمال استهلكته؟ أو بقصاص من جراحة جرحتها؟ فجعلوا لا
يكلمونه، ثمّ نادى ؑ:

(١) مثير الأحران لابن غا: ٣٥.

يا شبت بن ربعي! يا حجار بن أبحر! يا قيس بن الأشعث! يا
يزيد بن الحرث! ألم تكتبوا إلي أن قد أئبعت الثمار، واخضر
الجناب، وطمت الحمام، وإنما تقدم على جند لك مجتد؟
قالوا: لم نفعل!!!

ثم قال عليه السلام: أيها الناس! إذ كرهتموني، فدعوني أنصرف إلى
مأمني!

فقال له قيس بن الأشعث: أو لا تنزل على حكم بني عمك،
فإنهم لن يروك إلا ما تحب!

فقال له: إنك أخوأخيك! أتريد أن يطلبك بنو هاشم بأكثر من
دم مسلم بن عقيل الذي غره ^(١) أخوك؟! والله لا أعطي
بيدي إعطاء الذليل ولا أفرار العبيد، عباد الله إني عذت
بربي وربكم أن ترجمون، وإن لم تؤمنوا لي فاعتزلون، فبكين
أخواته فسكتن» ^(٢)..

(١) في بحار الأنوار: ٤٥ / ١٠ وغيره من دعاء سيد الشهداء عليه السلام يوم عاشوراء:
«فإنهم غزونا وخذلونا وغدروا بنا وقتلونا».

(٢) أنساب الأشراف: ٣ / ٣٩٧، وانظر: تاريخ الطبري: ٥ / ٤٢٥، الكامل لابن
الأثير: ٣ / ٢٨٧، البداية والنهاية: ٨ / ١٧٩.

عدد العسكر

لقد حشد ابن الأمة الفاجرة عسكراً كثيفاً لمواجهة البطل الهاشمي، فلما أتى عليهم المولى الغريب عليه السلام أرسل لهم مدداً، فالعدد لا يكاد يكون ثابتاً وإنما هو متحرك حسب الإرساليات التي اقتحمت ميدان القتال.

الإرسال الأول

انقسمت المصادر في بيان العدد المبعوث في الإرسال الأول لمقابلة المولى عليه السلام، فمنهم من أجمل، ومنهم من ذكر العدد والانتماء، ومنهم من ذكر العدد:

العدد الأول: الإجمال

أجمل كل من ابن سعد وابن قتيبة واليعقوبي، فقال ابن سعد:

«فبعث إلى مسلم، فجيء به» (١) ..

وقال ابن قتيبة:

«وأرسل جماعة إلى مسلم بن عقيل» (٢) ..

وقال اليعقوبي:

«ووجه بالشرط يطلبون مسلماً» (٣) ..

العدد الثاني: مائة كلهم من قریش

قال الدينوري:

«قال: أخبرني إن مسلم بن عقيل في بعض دورنا: فقال:

انطلق، فأتني به الساعة.

وقال لعبيد بن حريث: ابعث مائة رجل من قریش، وكره أن

يبعث إليه غير قریش خوفاً من العصبية أن تقع» (٤).

العدد الثالث: ستون أو سبعون كلهم من قيس

قال الطبري:

(١) الطبقات الكبرى: خ ٥ / ٤٦١.

(٢) الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ٢ / ١٠.

(٣) تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٢٤٣.

(٤) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٤٠.

«قال أبو مخنف: فحدثني قدامة بن سعيد بن زائدة بن قدامة الثقفني: أنَّ ابن الأشعث حين قام ليأتيه بـابن عقيل بعث إلى عمرو بن حريث، وهو في المسجد خليفته على الناس: أن ابعث مع ابن الأشعث ستين أو سبعين رجلاً كلهم من قيس - وإنما كره أن يبعث معه قومه، لأنه قد علم أنَّ كل قوم يكرهون أن يصادف فيهم مثل ابن عقيل - فبعث معه عمرو ابن عبيد الله بن عباس السلمي في ستين أو سبعين من قيس» (١) ..

وقال ابن حبان:

«فأنفذ عبيد الله بن زياد إلى دار المرأة محمد بن الأشعث بن قيس في ستين رجلاً من قيس» (٢) ..
وقال ابن نما:

«ووصل الخبر إلى عبيد الله، فأخبر محمد بن الأشعث، وقيل: عبد الله بن عباس السلمي في سبعين رجلاً من قيس حتى

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧٣ وما بعدها، البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥٨،

نفس المهموم للقمي: ١١٣.

(٢) الثقات لابن حبان: ٢ / ٣٠٨.

أتوا دار طوعة» (١).

العدد الرابع: ثلاثمائة راجل من الصناديد

قال ابن أعثم:

«قال: ثم أمر عبيد الله بن زياد خليفته عمرو بن حريث المخزومي أن يبعث مع محمد بن الأشعث ثلاثمائة راجل من صناديد أصحابه» (٢).

العدد الخامس: سبعون رجلاً

قال المسعودي:

«فمضى ابن الأشعث إلى ابن زياد فأعلمه، فقال: انطلق فأتني به، ووجه معه عبد الله بن العباس السلمي في سبعين رجلاً» (٣).

العدد السادس: سبعون أو ثمانون فارساً

قال ابن كثير:

(١) مثير الأحزان لابن نما: ٣٥.

(٢) الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٥٣ وما بعدها.

(٣) مروج الذهب للمسعودي: ٣ / ٥٧.

«فأخبره الخبر فنخس بقضيب في جنبه وقال: قم فأتني به الساعة.

وبعث ابن زياد عمر بن حريث المخزومي - وكان صاحب شرطته - ومعه عبد الرحمن ومحمد بن الأشعث في سبعين أو ثمانين فارساً» (١).

العدد السابع: ألف فارس وخمسمائة راجل

قال الطريحي:

«ثم إن ابن زياد دعا بمحمد بن الأشعث الكندي، وضم إليه ألف فارس وخمسمائة راجل، وأمرهم بالانطلاق إلى مسلم» (٢).

العدد الثامن: خمسمائة فارس

قال أبو مخنف المشهور:

«ثم دعا بمحمد بن الأشعث وضم إليه خمسمائة فارس وقال له: انطلق مع هذا الغلام وأتني بمسلم بن عقيل عليه السلام قتيلاً أو

(١) البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥٥.

(٢) المنتخب للطريحي: ٢ / ٤٢٦.

أسيراً» (١).

المحصلة

يمكن أن يستفاد من النصوص أنَّ الأعداد المذكورة في أكثر المصادر هي أعداد كبار القوم ووجوههم، كما صرح البلاذري، فقال:

«فوجّه ابن زياد من الوجوه من يأتيه به، وفيهم محمد بن

الأشعث» (٢) ..

أمّا العسكر والشرطة وخليط الغوغاء فلهم حساب آخر، كأنّ أكثر المصادر لم تهتمّ به، أو أنّهم كانوا يتحرّكون ضمن أداء المهامّ المناطة بهم في مثل هذه الأحداث، فكلّ من يخرج من الكبراء يجزّو راءه أتباعه وأذنا به، فروى لنا المؤرّخ الأوامر الصادرة بإرسال رجال قريش، ورجال قيس، وروى لنا ابن أعثم خبر الرّجاله وروى آخر خبر الفرسان وهكذا ...

وهذه الأعداد - كما يبدو - كلّها تتحدّث عن الإرسال الأوّل قبل

استغاثة ابن الأشعث وطلبه المدد من ابن الأئمة الفاجرة.

ويلزم أن يكونوا من الأشدّاء الأقوياء الخبراء بفنون القتال والحوار

(١) مقتل أبي مخنف المشهور: ٣٣ وما بعدها.

(٢) أنساب الأشرف للبلاذري: ٢ / ٨١.

اختارهم الأمر العسكري على علم ودراية لمهمة خاصة يعلم مدى خطورتها ويعرف المرسل إليه، وقد أتى عليهم البطل الهاشمي، فبدد جمعهم وشتت شملهم، وأبادهم جميعاً مما اضطرّ الخبيث الوسخ ابن الأشعث أن يستنجد بابن زياد ليمدّه بالعدد والعدد من جديد، كما سنسمع.

الاستمداد

لا يشكّ عارف بشجاعة بني هاشم، وسطوة آل أبي طالب في الحروب، أنّ مثل المولى الغريب عليه السلام لا تصمد أمامه الكتائب، وليس له ذلك اليوم في الكوفة كلّها قرين يمكن أن ينازله ويقاتله قبل أن يختطف رأسه سيفه البتار، وليس في ذلك مبالغة ولا تهويل، وقد سمعنا أخبار الأبطال وقوة الرجال في كربلاء وغيرها، فهذا العباس بن أبي شبيب الشاكري الذي حدّثنا ربيع بن تميم عنه، فقال:

«فلما رأيته - أي عباساً - مقبلاً عرفته، وقد كنت شاهدته في المغازي، وكان أشجع الناس، فقلت: أيها الناس هذا أسد الأسود! هذا ابن أبي شبيب! لا يخرجنّ إليه أحد منكم، فأخذ ينادي: ألا رجل! ألا رجل!

فقال عمر بن سعد: ارضخوه بالحجارة من كلّ جانب.

فلما رأى ذلك ألقي درعه ومغفره! ثمّ شدّ على الناس، فوالله

لقد رأيته يطرد أكثر من مائتين من الناس» (١) ..

وفي لفظ ابن الأثير:

«وَأَمَّا عَابِسُ فَطَلَبَ الْبِرَازَ، فَتَحَامَاهُ النَّاسُ لَشَجَاعَتِهِ، فَقَالَ

لَهُمْ عَمْرٍ: اِرْمُوهُ بِالْحِجَارَةِ، فَرَمَوْهُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ

أَلْقَى دَرْعَهُ وَمَغْفَرَهُ وَحَمَلَ عَلَى النَّاسِ، فَهَزَمَهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ» (٢) ..

فما قدر أولئك الأوباش الذين زحفوا كالحشرات نحو سليل إبراهيم

الخليل ومن عمّه أمير المؤمنين مولانا مسلم بن عقيل عليه السلام، وقد عجزوا

أن يتكاثروا عليه، وهو وحيد فريد ليس له أنصار ولا أعوان، وليس في

فسحة من المكان، فتطايرت رؤوسهم الحقيمة كشظايا لحم متهرئ

التصقت بالجدران، أو فَرَّوا بين يديه وتباعدوا عن موضع المنازلة، فكان

من الطبيعي أن يستمدّ الخبيث ابن الخبيث، ويطلب الأعوان من ابن

الأمّة الفاجرة.

قال الطريحي:

«... وخرج إلى القوم، فقاتلهم قتالاً عظيماً حتى قتل منهم

خلقاً كثيراً، فلَمَّا نظر ابن الأشعث إلى ذلك، أنفذ إلى ابن زياد

(١) بحار الأنوار: ٤٥ / ٢٩، تاريخ الطبري: ٥ / ٤٤٤.

(٢) الكامل في التاريخ: ٤ / ٧٣.

يستمدّه بالخيّل والرجال، فأنفذ إليه ابن زياد يقول: ثكلتك أمّك! رجل واحد يقتل منكم هذه المقتلة العظيمة، فكيف لو أرسلتك إلى من هو أشدّ منه قوّة وبأساً؟! (يعني الحسين عليه السلام).

فبعث إليه الجواب: عساك أرسلتني إلى بقال من بقاليل الكوفة أو إلى جرمقان من جرامقة الكوفة، وإنّما أرسلتني إلى سيف من أسياف محمّد بن عبد الله.

فلما بلغ ذلك ابن زياد، أمّده بالعسكر الكثير، فلما رأى مسلم ذلك، رجع إلى الدار وتهياً وحمل عليهم حتّى قتل كثيراً منهم، وصار جلده كالقنفذ من كثرة الثّبل.

فبعث [ابن الأشعث] إلى ابن زياد يستمدّه بالجند والرجال، فأرسل إليه بذلك وقال لهم: يا ويلكم! أعطوه الأمان وإلّا أفناكم عن آخركم» (١) ..

وفي مقتل أبي مخنف المشهور:

«وخرج إلى القوم وقاتلهم قتالاً شديداً وقتل منهم مائة وثمانين فارساً وانهزم الباقيون.

فلما نظر ابن الأشعث إلى شجاعة مسلم ؑ أرسل إلى ابن زياد - لعنه الله - أدركني بالخيـل والرجال، فأرسل إليه خمسمائة فارس، فخرج إليهم مسلم بن عقيل ؑ فقتل منهم مقتلة عظيمة فأرسل ابن الأشعث إلى ابن زياد - لعنه الله - أدركني بالخيـل والرجال.

فأنفذ إليه ابن زياد - لعنه الله - يقول: ثكلتك أمك وعدموك قومك، رجل واحد يقتل منكم هذه المقتلة العظيمة؟ فكيف لو أرسلتك إلى من هو أشدُّ بأساً وأصعب مراساً - يعني بذلك الحسين ؑ - فكتب إليه محمد بن الأشعث يقول: أتظنُّ أنَّك أرسلتني إلى بقال من بقاليل الكوفة أو إلى جرمقان من جرامقة الحيرة ألم تعلم أنَّك وجَّهتني إلى بطل ضرغام وليث همام وسيف من أسياف رسول الله.

فأنفذ إليه ابن زياد - لعنه الله - خمسمائة فارس وقال: يا ويلكم أعطوه الأمان وإلا أفناكم عن آخركم» (١) ..

(١) مقتل أبي مخنف المشهور: ٣٣ وما بعدها.

أين وقع القتال؟

وقع القتال مع المولى الغريب عليه السلام في منطقة محدودة محصورة تُشعر المتون التاريخية أنها كانت منطقة آهلة بالسكان، داخل الأزقة بين الدور والمنازل.

وسواء اعتمدنا خبر ابن قتيبة واليعقوبي أو الأخبار المشهورة في غيرها من المصادر، فإنها جميعاً تفيد أن القتال وقع في الموضع الذي كان يقيم فيه المولى عليه السلام، إن كان بيت هاني ودارته أو دار طوعة في حي كندة.

وسوف نستقصي النصوص التي توفرت لدينا لنحدّد الموضع الذي وقع فيه القتال بالضبط، لمعرفة ما إذا كانت الحرب قد دارت رحاها داخل الدار أو في الزقاق.

والذي يفاد من أغلب المصادر أنهم اقتحموا عليه الدار، فقام إليهم

الليث الطالبِي فكردهم وأخرجهم، فدارت الحرب في الزقاق، بل أفادت بعض المصادر أنه عليه السلام كان يخرجهم من الدار، فينجحون ثم يعودون ويعيد الكرة عليهم، حتّى كرّر ذلك ثلاث مرّات، فاضطّروا إلى تغيير خطّتهم، كما سنعرف ذلك بعد قليل إن شاء الله تعالى.

وسوف ننظّم النصوص في عناوين لعلّها تعيننا على استكشاف الموقع:

الموقع الأوّل: الدارة التي يسكنها البطل الهاشمي مسلم عليه السلام

قال ابن قتيبة:

«قال: وأرسل جماعة إلى مسلم بن عقيل، فخرج عليهم بسيفه، فما زال يقاتلهم حتّى أخرج وأسر»^(١)..

خبر ابن قتيبة وإن كان يختلف عن المصادر الأخرى في رسم مشهد المعركة، بيد أنّه يفيد أنّ ابن زياد قد بادر إلى إرسال قواته إلى المولى الغريب عليه السلام، وهو في دار ناصره هاني بن عروة، فخرج عليهم بسيفه..

الموقع الثاني: داخل دار طوعة

يفيد نصّ البلاذري والدينوري أنّ القتال دار بينهم بعد أن اقتحموا

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ٢ / ١٠.

الدار، ولم يذكر ما دار خارج الدار، وكأنَّ القتال كلّه جرى في عقردار طوعة.

قال البلاذري:

«فوجّه ابن زياد من الوجوه من يأتيه به، وفيهم محمّد بن الأشعث، فلمّا أحسّ مسلم برسّل ابن زياد، خرج بسيفه، واقتحموا عليه الدار» (١) ...

وقال الدينوري:

«فأقبلوا حتّى أتوا الدار التي فيها مسلم بن عقيل، ففتحوها، فقاتلهم» (٢) ..

الموقع الثالث: خارج دار طوعة:

قال الطبري في إحدى رواياته:

«فلم يعلم مسلم حتّى أحيط بالدار، فلمّا رأى ذلك مسلم خرج إليهم بسيفه فقاتلهم» (٣) ..

(١) أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٨١.

(٢) الأخبار الطوال: ٢٤٠.

(٣) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٠، الأمالي للشجري: ١ / ١٩١، تهذيب الكمال للمزي:

٦ / ٤٢٦، تهذيب التهذيب لابن حجر: ٢ / ٣٥١.

ربما قيل أنّ قوله: «خرج إليهم بسيفه» ليس نصّاً صريحاً في خروجه من الدار، لأنّهم يعبرون عن مقابله لهم بالسلاح بالخروج، كما يلاحظ ذلك في بعض النصوص، وليس المقصود بالخروج التحرك والانتقال من الداخل إلى الخارج، وإنّما حمل السلاح ومواجهة الأعداء، غير أنّ تعبير الشيخ الطريحي في المنتخب صريح في الخروج خارج الدار، وقد أكّده بذكر السبب الداعي لذلك.

قال الطريحي:

«ولما سمعت المرأة سهيل الخيل وقعقة اللجم، أقبلت إلى مسلم وأخبرته بذلك، فلبس درعه وشدّ وسطه وجعل يدير عينيه، فقالت المرأة: ما لي أراك تهيّأت للموت؟ فقال: ما طلبت القوم غيري، وأنا أخاف أن يهجموا عليّ في الدار ولا يكون لي فسحة ولا مجال. ثمّ إنّه عمد إلى الباب وخرج إلى القوم، فقاتلهم قتالاً عظيماً حتّى قتل منهم خلقاً كثيراً» (١).

وفي المقتل المشهور لأبي مخنف:

«فساروا حتّى أتوا دار العجوز فسمعت سهيل الخيل وقعقة

(١) المنتخب للطريحي: ٢ / ٤٢٦.

اللُّجَم وزعقات الرِّجال فأخبرت مسلم بذلك. فقال مسلم: ما طلب القوم غيري، فقال لها: هاتي سيفي.

فقام وشدَّ وسطه بمنطقته وتدرَّع بدرعه وخرج إلى القوم وهو يهزُّ سيفه فقالت له العجوز: يا سيدي أراك تأهبت للموت. قال: والله أجل لأبد من الموت.

ثمَّ عمد إلى الباب واقتلعه وكان ضخم الدَّسيعة وخرج إلى القوم وقاتلهم قتالاً شديداً» (١) ..

الموقع الرابع: اقتحموا عليه الدار فأخرجهم مراراً

اكتفى الطبري في إحدى رواياته بالقول أنَّ المولى الغريب عليه السلام قد أخرجهم من الدار، فقال:

«فلَمَّا سمع وقع حوافر الخيل وأصوات الرجال عرف أنه قد أتى، فخرج إليهم بسيفه، واقتحموا عليه الدار، فشدَّ عليهم يضربهم بسيفه حتَّى أخرجهم من الدار» (٢) ..

وفي خبر المسعودي أنه عليه السلام أخرجهم من الدار مرَّتين، فاضطَّروا إلى

(١) مقتل أبي مخنف المشهور: ٣٣ وما بعدها.

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧٣ وما بعدها، البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥٨،

نفس المهموم للقمي: ١١٣.

تغيير خطّتهم، قال:

«فاقتحموا على مسلم الدار، فثار عليهم بسيفه، وشدّ عليهم فأخرجهم من الدار، ثمّ حملوا عليه الثانية، فشدّ عليهم وأخرجهم أيضاً.

فلما رأوا ذلك علوا ظهر البيوت فرموه بالحجارة، وجعلوا يلهبون النار بأطراف القصب، ثمّ يلقونها عليه من فوق البيوت، فلما رأى ذلك قال: أكلّ ما أرى من الإجلاب لقتل مسلم بن عقيل؟ يا نفس اخرجي إلى الموت الذي ليس عنه محيص، فخرج إليهم مصلاً سيفه إلى السكّة، فقاتلهم» (١)..
وروى ابن كثير أنّ المولى الغريب عليه السلام أخرجهم ثلاث مرّات، فقال:
«فلم يشعر مسلم إلّا وقد أحيط بالدار التي هو فيها، فدخلوا عليه، فقام إليهم بالسيف، فأخرجهم من الدار ثلاث مرّات» (٢)..
أما ابن الأثير فلم يحدّد عدد حملاتهم عليه داخل الدار ولا المرّات التي أخرجهم منها المولى عليه السلام، قال:

(١) مروج الذهب للمسعودي: ٣ / ٥٧.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥٥.

«.. فلَمَّا سمع الأصوات عرف أنه قد أتى، فخرج إليهم بسيفه حتى أخرجهم من الدار، ثم عادوا إليه فحمل عليهم فأخرجهم مراراً» (١) ..

الموقع الخامس: قاتل خارج الدار فارساً

لم تصرّح المصادر السابقة أن المولى الغريب عليه السلام قد قاتل راجلاً أو فارساً، بيد أن عباراتهم تُشعر أنه كان يقاتل راجلاً، ويشهد لذلك تكرّر اقتحامهم وإخراجهم، إلا أن نتصوّر اقتحامهم كان لفناء الدار والفاصل بين الاقتحام والخروج ليس إلا السور والباب، فيمكن أن يكون قد قاتل فارساً.

وقد صرّح ابن أعثم والسيد ابن طاووس وابن نما أن فارس الكوفة مسلم بن عقيل عليه السلام قد قاتل فارساً، فقال ابن أعثم الكوفي:

«.. وسمع مسلم بن عقيل وقع حوافر الخيل وزعقات الرجال، فعلم أنه قد أتى في طلبه، فبادر عليه السلام إلى فرسه فأسرجه وأجمه، وصبّ عليه درعه، واعتجربعمامة، وتقلّد بسيفه، والقوم يرمون الدار بالحجارة، ويلهبون النار في نواحي القصب.

قال: فتبسّم مسلم عليه السلام، ثم قال: يا نفس! اخرجي إلى الموت

الذي ليس منه محيص ولا محيد. ثم قال للمرأة: أي رحمك الله
وجزاك عني خيراً! ... ولكن افتحي الباب.

قال: ففتحت الباب، وخرج مسلم في وجوه القوم كأنه أسد
مغضب، فجعل يضاربهم بسيفه حتى قتل منهم
جماعة» (١) ..

وقال السيد ابن طاووس:

«فلما بلغوا دار المرأة، وسمع مسلم وقع حوافر الخيل لبس
درعه، وركب فرسه وجعل يحارب أصحاب عبيد الله حتى
قتل منهم جماعة» (٢) ..

وقال ابن نما:

«فسمع مسلم وقع حوافر الخيل علم أنه قد أتى، فلبس لامته
وركب فرسه وضربهم بسيفه حتى أخرجهم من الدار، ثم عادوا
فشدوا عليه، فقتل منهم جماعة» (٣) ..

وفي عبارة ابن نما تصريح بقتاله عليه السلام فارساً داخل الدار أيضاً، وكذا
في عبارة ابن أعثم إشعار بذلك.

(١) الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٥٣ وما بعدها.

(٢) اللهوف للسيد ابن طاووس: ٥٤.

(٣) مثير الأحران لابن نما: ٣٥.

موقف المولى عليه السلام حينما علم بوصول

الخيـل والرجال

أجمعت المصادر على استعداد المولى الغريب عليه السلام وتأهبه للحرب والقتال، ويمكن ملاحظة استعداده عليه السلام على مرحلتين:

المرحلة الأولى: الاستعداد العام

كان المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام مبعوثاً خاصاً من سيد الشهداء عليه السلام إلى أهل الكوفة ليستخبر حالهم، ويخبره بمدى ثباتهم على ما جاء في كتبهم إليه، وقد دخل الكوفة والعدو الغاشم متسلط على رقاب الناس وبيده مقاليد أمور المدينة، ولا فرق بين النعمان بن بشير

وابن الأمة الفاجرة الدعي ابن الدعي ابن زياد، فكلاهما متعلقان بأغصان الشجرة الملعونة، فالسلك واحد رغم اختلاف السلوك، ولهذا كان المولى الغريب عليه السلام معرضاً للخطر والمداهمة في أي لحظة من لحظات وجوده المبارك في تلك الديار، ومن شأن القوي الحاذق أن يكون في حالة إنذار وترقب لكل ما يحدق به، والفتنة من شيم المؤمنين، وهذا ما يدعونا للتأكد من بقاء المولى الغريب عليه السلام على استعداد تام طيلة فترة وجوده بين تلك الأفاعي والذئاب والجردان.

أضف إلى ذلك بعض الدواعي الأخرى التي سنجملها (١) فيما يلي:

الداعي الأول: علم المولى عليه السلام بشهادته في الكوفة

علم المولى عليه السلام بأن الكوفة هي الأرض الموعودة، وأنه يستشهد بها، باعتبار أن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله قد أخبر بشهادته في حب الحسين عليه السلام، وقد أخبره كذلك سيد الشهداء عليه السلام أن خروجه إلى الكوفة يعني نيل درجة الشهادة.

(١) تجد تفصيل ذلك فيما مرّ من دراسات عن المولى مسلم بن عقيل عليه السلام من قبيل «قصة معقل، ثائر أم سفير، معركة القصر، بين المسجد الأعظم ودار طوعة» ...

الداعي الثاني: معرفة المولى عليه السلام بالمجتمع الكوفي يومذاك

معرفة المولى عليه السلام بالمجتمع الكوفي يوم ذاك وغدره وخيانتته، وقد عاصر المولى مسلم بن عقيل عليه السلام ما جرى على عمّه أمير المؤمنين وابن عمّه الإمام الحسن المجتبي عليه السلام، بل قد لمس ذلك من خلال ما جرى له أيام تواجده في الكوفة.

الداعي الثالث: إنّه عليه السلام الطلبة الأولى

«لم يكن حفيد أبي طالب عليه السلام - الذي لو ولد الناس كلّهم لكانوا شجعاناً، وصهر وابن أخي أمير المؤمنين عليه السلام أشجع العالمين، وأخو سيدي شباب أهل الجنة الحسن والحسين عليه السلام والبطل الهاشمي - مسلم بن عقيل عليه السلام بالذي يعطي بيده إعطاء الذليل أو يقرّر [يفرّ] إقرار [فرار] العبيد.

وهو العالم العارف بالكوفة وأهلها وبالدعي ابن الدعي والجرو الأموي ابن زياد الذي دخل الكوفة بمهمة محولة له من قبل القرد الأموي يزيد تنصّ على طلب مسلم بن عقيل عليه السلام، فقد روى الدينوري في الأخبار الطوال كتاب عيون القرد المخمور يزيد في الكوفة وردّه على ذلك، قال:

"فكتب مسلم بن سعيد الحضرمي وعمارة بن عقبة وكانا عيني

يزيد بن معاوية إلى يزيد يعلمانه قدوم مسلم بن عقيل

الكوفة داعياً للحسين بن علي، وأتته قد أفسد قلوب أهلها عليه، فإن يكن لك في سلطانك حاجة فبادر إليه من يقوم بأمرك، ويعمل مثل عملك في عدوك، فإن النعمان رجل ضعيف أو متضاعف، والسلام.

فلما ورد الكتاب على يزيد أمر بهد، فكتب لعبيد الله بن زياد على الكوفة، وأمره أن يبادر إلى الكوفة، فيطلب مسلم ابن عقيل طلب الخزة حتى يظفر به، فيقتله، أو ينفيه.. ودفع الكتاب إلى مسلم بن عمرو الباهلي، وأمره بإغذاذ السير فسار مسلم حتى وافى البصرة، وأوصل الكتاب إلى عبيد الله ابن زياد^(١).

وروى ابن حجر في الإصابة قال:

"فكتب الرجل بذلك إلى يزيد، فدعا يزيد مولى له يقال له: سرجون، فاستشاره، فقال له: ليس للكوفة إلا عبيد الله بن زياد، وكان يزيد ساخطاً على عبيد الله، وكان همّ بعزله عن البصرة، فكتب إليه برضاه عنه، وأتته أضاف إليه الكوفة، وأمره أن يطلب مسلم بن عقيل، فإن ظفر به قتله"^(٢).

(١) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣١.

(٢) الإصابة: ٧٠ / ٢.

وقال ابن كثير في البداية والنهاية:

"ثم كتب يزيد إلى ابن زياد: إذا قدمت الكوفة فاطلب مسلم

ابن عقيل فإن قدرت عليه فاقتله أو انفه" (١) ...

وقد اعتقل هاني بن عروة الذي كان يعدّ درعاً وردءاً وحصناً منيعاً
وركناً ركيناً للدفاع عن مسلم بن عقيل عليه السلام، وخذلته عشيرته التي كان
يحسب عليها هاني ويحسب لها ابن زياد..

فمقتضى الحال أن يستعدّ المولى مسلم بن عقيل عليه السلام للدفاع عن
نفسه وعن البقية الباقية معه من الموعودين بالفتح، ليتسنى لهم
اللاحاق بركب الشهادة» (٢).

الداعي الرابع: سلوك الجرو المسعور

كان دخول الرجس النجس والأرعن النحس ابن زياد إلى الكوفة
وما بدر منه، ومن ثمّ اعتقال هاني بن عروة، داعياً كافياً لاستعداد المولى
التأمّ للمواجهة عندما تقتضي الضرورة أن يسلّ سيفه ليدفع عن نفسه.

المرحلة الثانية: الاستعداد الخاصّ

إضافة إلى ما مرّ قبل قليل في الداعي الرابع، فإنّ المولى عليه السلام قد

(١) البداية والنهاية: ٨ / ١٥٣.

(٢) انظر: «مسلم بن عقيل عليه السلام معركة القصر / دواعي النداء بالشعار».

قضى ليلة - على الخبر المشهور - في بيت طوعة، وهو في حال أشبه ما يكون بالهدنة التي فرضها الظلام المخيم في ليل الكوفة الحالك المدهّم، وعند الصباح داهمه العدو من غير مفاجأة، فقام هذه المرّة مستقبلاً المنية استقبلاً، فقبض عليها بحسامه قبضة شابهت قبضة عمّه أمير المؤمنين عليه السلام، فنثرها على أولئك الأندال قبل أن يخطبها لنفسه ويختارها اختياراً ليكون أول فداء هاشميّ يفدي نفسه لسيد شباب أهل الجنة عليه السلام.

قال ابن أعثم:

«... وسمع مسلم بن عقيل وقع حوافر الخيل وزعقات الرجال، فعلم أنّه قد أتى في طلبه، فبادر عليه السلام إلى فرسه فأسرجه وألجمه، وصبّ عليه درعه، واعتجر بعمامة، وتقلّد بسيفه، والقوم يرمون الدار بالحجارة، ويلهبون النار في نواحي القصب.

قال: فتبسّم مسلم، ثمّ قال: يا نفس! اخرجي إلى الموت الذي ليس منه محيص ولا محيد. ثمّ قال للمرأة: أيّ رحك الله وجزاك عنيّ خيراً!« (١).

وقال الخوارزمي:

(١) الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٥٣ وما بعدها.

«فسمع مسلم وقع حوافر الخيل وأصوات الرجال، فعلم أنه قد أتى، فبادر مسرعاً إلى فرسه فأسرجه وألجمه وصبّ عليه درعه واعتجر بعمامته وتقلّد سيفه، والقوم يرمون الدار بالحجارة ويلهبون النار في هواري القصب، فتبسّم مسلم ثمّ قال: يا نفسي! أخرجي إلى الموت الذي ليس منه محيص ولا محيد. ثمّ قال للمرأة: رحمك الله وجزاك خيراً.. فافتحي الباب، ففتحته وخرج مسلم في وجوه القوم كالأسد المغضب» (١)..
وقال السيّد ابن طاووس:

«.. وسمع مسلم وقع حوافر الخيل لبس درعه، وركب فرسه» (٢)..
وقال ابن نما:

«فسمع مسلم وقع حوافر الخيل علم أنه قد أتى، فلبس لامته وركب فرسه» (٣)..

(١) مقتل الحسين ﷺ للخوارزمي: ١ / ٢١٤، بحار الأنوار للمجلسي: ٤٤ / ٣٥٤،

العوالم للبحراني: ١٧ / ٢٠٣، نفس المهموم للقمي: ١١١.

(٢) اللهوف للسيّد ابن طاووس: ٥٤.

(٣) مثير الأحزان لابن نما: ٣٥.

وقال الطريحي:

«ولما سمعت المرأة سهيل الخيل وقعقة اللجم، أقبلت إلى مسلم وأخبرته بذلك، فلبس درعه وشدّ وسطه وجعل يدير عينيه، فقالت المرأة: ما لي أراك تهيّأت للموت؟ فقال: ما طلبه القوم غيري، وأنا أخاف أن يهجموا عليّ في الدار ولا يكون لي فسحة ولا مجال» (١)..
 وقال أبو مخنف (المشهور):

«فسمعت سهيل الخيل وقعقة اللّجم وزعقات الرّجال فاخبرت مسلم بذلك. فقال مسلم: ما طلب القوم غيري، فقال لها: هاتي سيفي.

فقام وشدّ وسطه بمنطقته وتدرّع بدرعه وخرج إلى القوم وهو يهزّ سيفه فقالت له العجوز: يا سيّدي، أراك تأهّبت للموت. قال: والله أجل لأبدّ من الموت» (٢)..
 رأيت عظيماً في الوري مثل المولى مسلم عليه السلام بعد استثناء من استثناءهم الله، يخرج إلى الموت مبتسماً، فهي الأمنيّة الموعودة التي بشره

(١) المنتخب للطريحي: ٢ / ٤٢٦.

(٢) مقتل أبي مخنف المشهور: ٣٣ وما بعدها.

بها أصدق الخلق، ويتهلّل وجهه الوضّاء للقاء الله سالكاً أحبّ السبل إليه، وهو القتل في سبيله، المتمثّل بشخص حبيب الله وسيد الشهداء الحسين السبط عليه السلام.

موقف طوعة

ما أعسر على المضيّف أن يرى الخطر محققاً بضيفه، وهو لا يقدر أن يدفع عنه؟!

امرأة عجوز ضعيفة، ترى الخيل والرجال محدقة بدارها، وقد صكّ سمعها «سهيل الخيل وقععة اللجم» القادمة إليها يقودها العمى، ويدفعها الغيّ والبغي والعدوان والحقد والضعينة تريد أن تختطف منها ضيفها، فماذا عساها أن تفعل؟

قال ابن أعثم:

«ثمّ قال للمرأة: أيّ رحمك الله وجزاك عنيّ خيراً.. ولكن افتحي الباب. قال: ففتحت الباب، وخرج مسلم في وجوه

القوم كأنه أسد مغضب» (١) ..

وقال الطريحي:

«ولما سمعت المرأة سهيل الخيل وقعقة اللجم، أقبلت إلى مسلم وأخبرته بذلك، فلبس درعه وشدّ وسطه وجعل يدير عينيه، فقالت المرأة: ما لي أراك تهيّأت للموت؟ فقال: ما طلبه القوم غيري، وأنا أخاف أن يهجموا عليّ في الدار ولا يكون لي فسحة ولا مجال» (٢) ..

وقال أبو مخنف (المشهور):

«فسمعت سهيل الخيل وقعقة اللّجم وزعقات الرجال فأخبرت مسلم بذلك.

فقال مسلم: ما طلب القوم غيري فقال لها: هاتي سيفي. فقام وشدّ وسطه بمنطقته وتدرّع بدرعه وخرج إلى القوم وهو يهزّ سيفه فقالت له العجوز: يا سيدي أراك تأهّبت للموت. قال: والله أجل لأبد من الموت» (٣) ..

(١) الفتوح لابن أعمش: ٥ / ٥٣ وما بعدها.

(٢) المنتخب للطريحي: ٢ / ٤٢٦.

(٣) مقتل أبي مخنف المشهور: ٣٣ وما بعدها.

أجل! فعلت ما بوسعها، وبذلت غاية مجهودها، رغم كبر سنّها
وغربتها ووحدتها في ذلك المصر الموحش المتوحّش.
ويمكن تلخيص موقفها بالإقدامات التالية المستفادة من النصوص
المذكورة آنفاً:

الإقدام الأوّل: إخباره

لا شك أنّ الليث الهصور مسلماً عليه السلام لم يكن غافلاً، ومقتضى
الحال أنّه سمع ما سمعت، وهو لم يفاجئ بقدوم الأوباش أبداً، كما نصّ
على ذلك ابن أعثم في الفتوح وغيره:

«وسمع مسلم بن عقيل وقع حوافر الخيل وزعقات الرجال فعلم
أنّه قد أتى في طلبه».

فإخبارها له عليه السلام يترجم موقفها واهتمامها، ومشاركتها له ومواساتها
بمقدار ما يتّسع لامرأة عجوز أن تشارك وتواسي، فهي تريد أن تستجيشه
وتحدّره وتثير الحماس فيه، وإن كان المولى الغريب عليه السلام في غنى عن
ذلك، إلّا أنّها تفعل ما تستشعر فيه المشاركة والمواساة، فأخبرته خوفاً
عليه، وأخبرته ليستعدّ للقاء القوم، وأخبرته لتظهر كوامنها ومخاوفها وما
يعتمل في أعماقها، تريده أن يبادر إلى سلاحه، وهي تعرف شجاعته
وشهامته وبسالته وبطولته، فلا تريد أن يؤخذ غرّة، وإن كان المولى عليه السلام
علماً وكانت هي أيضاً تعلم أنّه قد سمع صهيل الخيل وقعقة اللجم، إلّا

أثما تريد أن تعلن أثما أيضاً في حال استعداد، فبادرت إلى إخباره..

الإقدام الثاني: ناولته سلاحه

رغم أنّ طوعة كانت امرأة عجوز^(١) كبيرة السنّ إلاّ أنّها كانت - على ما يبدو - تمتاز بقوة بدنيّة متماسكة، ومواقف متوازنة، وسكينة ووقار، وطمأنينة وثبات، إذ لم تأبه بخيل الشيطان ورجله، ولم ترتبك حينما سمعت الزعقات والصهيل والققعقة، ولم تعبأ ببريق السيوف والرماح، وبقيت إلى جنب المولى الغريب عليه السلام ثابتة القدم، رابطة الجأش، قويّة الجنان، لم يغفلها العسكر القادم بما أ جلب عن مراعاة الأدب مع العظماء، ورعاية شؤونهم وخصوصيّاتهم، فالعظيم إذا أراد أن يتقدّم إلى القتال يسارع إليه الخواصّ بتقديم الخدمة وتجهيزه، يقدّمون له الجواد، ويسوّون عليه ثيابه إذا استوى على ظهر الفرس، يناولونه سلاحه، وغير ذلك من مراسم التعظيم والتبجيل والتقدير والاحترام، وقد سارعت طوعة إلى أداء تلك المراسم مع البطل الهاشمي عليه السلام، ولم تتركه وحيداً في تلك الساعة العصيبة..

بارك الله في ساعدها الذي حمل سيف البطل الهمام من آل خير الأنام مسلم بن عقيل عليه السلام.

(١) انظر: «مسلم بن عقيل بين المسجد الأعظم ودار طوعة».

الإقدام الثالث: فتح الباب

لا يتصور أحد أن ما قامت به هذه الحرّة أمراً بسيطاً، فهي قد بذلت غاية المجهود بحكم كونها امرأة عجوز غريبة في ذلك المصر، وفتح الباب ليس بالأمر الهين في تلك الساعة التي تدافعت فيها الخيل والرجال تريد اقتحام الدار، فهي حينما أقدمت على فتح الباب يعني أنها عرضت نفسها للهجمة الأولى، ولكنها كانت مطمئنة واثقة من شهامة البطل الهاشمي وسرعة مبادرته لصد هجومهم.

كما أنها حينما بادرت إلى فتح الباب يعني أنها وظفت عامل المفاجأة، إذ كان العدو يحسب أنه سيقتم الدار، لأن البطل المطلوب سيكون مشغولاً بفتح الباب، فيما كان الباب يفتح بيد غيره، ويكون المولى جاهزاً للمواجهة مباشرة بعد فتحه.

ويكشف إقدامها على فتح الباب عن مدى شجاعتها ومواصلتها لنصرة الغريب وحضورها في ميدان المواجهة والقتال العنيف مهما كان في ذلك من التعرض للخطر واستقبال صدور الخيل وحوافرها..

الإقدام الرابع: التلهّف والتحصّر

«قالت طوعة: ما لي أراك تهيأت للموت؟».

يمكن أن يفهم هذا السؤال بأحد فهمين أو بكليهما:

الفهم الأول: التلهّف والحسرة

سؤال ربما يبدو عفويّاً يصرح عن عمق حسرتها وتلهّفها على المولى الغريب عليه السلام، ويكشف عن كوامن حبّها وعطفها ورقّتها وحرقتها على عترة النبي صلى الله عليه وآله، وأسفها وأساها وحزنها عليه، فهو سؤال يتضمّن فحوى قول السيّدة الصديقة الصغرى لسيّد الشهداء عليه السلام عصر التاسع من المحرمّ حينما سمعته ينعى نفسه بأبيات (١)، فوثبت تجرّثوها، وإثّها لحاسرة (٢) حتّى انتهت إليه، فقالت:

«وا ثكلاه! ليت الموت أعدمني الحياة! اليوم ماتت أمّي فاطمة وأبي علي وأخي الحسن! يا خليفة الماضي وثمرال الباقي، يا أخي هذا كلام من أيقن بالقتل!

فقال عليه السلام: نعم يا أختاه.

فقال زينب: وا ثكلاه، ينعى الحسين عليه السلام إلّي نفسه.

وبكى النسوة ولظمن الخدود وشققن الجيوب، وجعلت أمّ كلثوم تنادي: وا محمّده! وا عليّاه! وا أمّاه! وا أخاه! وا

(١) ذكرنا المثال لفهم الموقف، والقياس مع الفارق في كلّ الأطراف.

(٢) قولهم: «الحاسرة» باعتبار أنّ كلّ ما جرى كان داخل المخيم، وربما كان بمعنى أنّها لم تلبس ما يغطي وجهها، وهي داخل الخيمة.

حسيناه! وا ضيعتنا بعدك يا أبا عبد الله!

فنظر إليها الحسين عليه السلام.. وترقرت عيناه بالدموع وقال: لو ترك القطة لنام.

فقالت: يا ويلتاه أفتغتصب نفسك اغتصاباً، فذاك أقرح لقلبي، وأشدّ على نفسي، ثمّ لطمت وجهها وهوت إلى جيبها فشقتّه، وخزّت مغشياً عليها.

فقام إليها الحسين عليه السلام، فصبّ على وجهها الماء وقال لها:
يا أختاه تعزّي بعزاء الله، واعلمي أنّ أهل الأرض يموتون وأهل السماء لا يبقون، وأنّ كلّ شيء هالك إلّا وجه الله الذي خلق الخلق بقدرته، ويبعث الخلق ويعودون، وهو فرد وحده،
أبي خير منّي، وأمّي خير منّي، وأخي خير منّي، ولي ولكلّ مسلم برسول الله صلى الله عليه وآله أسوة، فعزّاها بهذا ونحوه» (١)..

الفهم الثاني: التعجّب

إنّما سألته هذا السؤال، لأنّها كانت واثقة مطمئنّة إلى شجاعة المولى عليه السلام وقوّته وسطوته في الحرب، وأنّ الكوفة لو اجتمعت عليه

(١) انظر: الإرشاد للمفيد: ٢ / ٩٣، اللهوف للسيد ابن طاووس: ٨١، إعلام الوري

بقضّها وقضيضها لحصدها بسيفه، ولأذاقها الموت غصصاً تترى، فهي تعجب من استعداده للموت مع ما تعرفه فيه من شجاعة وقوّة، فأخبرها المولى الغريب عليه السلام أنّه الموت الذي لا بدّ منه، وأنّه اليوم الموعد المبشّره من قبل، وأنّه قد استنفذ مهامّه، واستكمل ما عهده إليه إمامه، ولم يبق منها إلّا درجة الشهادة التي وعده بها سيّد الشهداء عليه السلام. أضف إلى ذلك أنّ سؤالها في مثل هذا الموقف يشعريّ إثارة الحماس، وشدّ العزم، والتحريض على القتال.

فهي تريد أن تؤدّي ما عليها، وإن كان البطل الهاشمي عليه السلام لا يستوحش من الوحدة ولا يهّمه فقدان الناصر، بيد أنّها تستثير همّته وتواسيه في نفسه، وتخبره بسؤالها أنّها لا زالت صامدة ثابتة على نصرته، وأنّه ليس وحيداً.

قوة المولى عليه السلام وشجاعته

إنّ للشجاعة مكانة خاصّة عند عموم البشر، وإنّما من موجبات السؤدد والشرف، وقد مدحها الشارع الأقدس، وحثّ عليها الدين الحنيف، واعتبرها من خصال المؤمن.

وأباء المولى مسلم بن عقيل عليه السلام وأسرته سادات البشر شجاعة وفروسية وشعراً وخطابة وكرماً وجوداً وسؤدداً وفخراً.

ولو لبست الشجاعة ثوب البشر لكانت أعمامه، إذ كان طالب بن أبي طالب عليه السلام من رجال قريش وفتيان بني هاشم شجاعة وفصاحة.

وبلغ عمّه جعفر بن أبي طالب عليه السلام من الشجاعة مبلغاً عظيماً، وكان مفخراً لبني هاشم خاصّة، بل هو فخر البشريّة قاطبة، من حيث شجاعته الباهرة، فقد ثبت أمام جيش عدّته مائة ألف رجل - كما نصّ

عليه ابن أبي الحديد وغيره - وهو في جيش عدته ثلاثمائة يزيدون قليلاً عشرأً أو ثلاثة عشر وقد حاولوا الرجوع والتقهر، فقوى عزمهم وثبتهم، فوقف تجاه ذلك الجيش اللجب لم يتزعزع حتى تزعزع الجبال الرواسي، ولم يزل لوتزل الشمم الرواسخ، ثم لم يكتف بهذا الثبات المدهش حتى أقبل نحو المنية راكضاً على قدميه، فقطعت يده اليمنى، فالتزم اللواء والسيف باليسرى، فقطعت اليسرى، فضم الباقي منهما على اللواء، لكيلا يسقط فيتضعع عسكره، حتى ضرب على يافوخه بالسيف، فسقط هو واللواء.

فهذا هو موقف الفخر، وهذه هي الفعلة الحميدة التي توجب التنويه والثناء على مجد الماجد، ومثل هذا المجاهد الكبير الذي علم الناس كيفية التفادي للدين، وكيف يكون الدفاع عن الإسلام، وأظهر من الحماس الذي يسمّى بـ«الحفاظ» ما يبهر العقول.

أمّا أبوه عقيل عليه السلام، فيكني في شجاعته ما رواه عنه ابن أبي الحديد، قال:

«وكتب في أثر هذه الواقعة عقيل بن أبي طالب إلى أخيه أمير المؤمنين عليه السلام حين بلغه خذلان أهل الكوفة وتقاعدهم به: لعبد الله عليّ أمير المؤمنين عليه السلام من عقيل بن أبي طالب، سلام عليك، فإنّي أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو.

أمّا بعد:

فإنّ الله حارسك من كلّ سوء وعاصمك من كلّ مكروه، وعلى كلّ حال، إنّي قد خرجت إلى مكّة معتمراً، فلقيت عبد الله بن سعد بن أبي سرح في نحو من أربعين شاباً من أبناء الطلقاء، فعرفت المنكر في وجوههم، فقلت: إلى أين يا أبناء الشائين، أبعافية تلحقون عداوة - والله - منكم قديماً غير مستنكرة تريدون بها إطفاء نور الله وتبديل أمره. فأسمعني القوم وأسمعهم.

فلما قدمت مكّة سمعت أهلها يتحدّثون أنّ الضحّاك بن قيس أغار على الحيرة، فاحتمل من أموالها ما شاء، ثمّ انكفأ راجعاً سالماً، فأقّ لحياة في دهر جرّاً عليك الضحّاك، وما الضحّاك فقع بقرقر^(١).

وقد توهّمت حيث بلغني ذلك أنّ شيعتك وأنصارك خذلوك، فاكتب إليّ - يا ابن أمّي - برأيك، فإن كنت الموت تريد تحمّلت إليك بيني أخيك وولد أبيك، فعشنا معك ما عشت،

(١) القرقر: الأرض المستوية، والفقع: ضرب من أردئ الكهأ، يقال للرجل الذليل: هو فقع قرقر؛ لأنّ الدواب تنجّله بأرجلها.

ومتنا معك إذا متّ، فوالله ما أحبّ أن أبقى في الدنيا بعدك
فوقاً^(١).

وأقسم بالأعزّ الأجل! أنّ عيشاً نعيشه بعدك في الحياة لغير
هنيء ولا مريء ولا نجيع، والسلام عليك ورحمة الله
وبركاته»^(٢).

أرأيت الشجاعة والرجولة في شبل أبي طالب عليه السلام حينما يرى في
نفسه وبنيه وإخوته كفاية لمواجهة الدنيا بأسرها في ذلك اليوم!
هذا ناهيك عن لسانه الذي كان أحدّ من السنان على الأعداء.
نعم! لم تزل الحماة من بني هاشم مظهراً كلّ مكرمة، وأعجوبة من
عجائب الحروب الهائلة، ولا عجب لمن كان ابن عمّ أبيه أشجع
المخلوقات طرّاً النبيّ محمد صلى الله عليه وآله وعمّه أمير المؤمنين علي بن أبي
طالب عليه السلام، وعمّ أبيه حمزة عليه السلام وجدّه أبو طالب عليه السلام، أن يكون في
الشجاعة المثل الأعلى، وفي الثبات مفخراً وقُدوة.

فهل سمعت أو ذكر لك أنّ بطلاً من الأبطال أو شجاعاً من
الشجعان - مهما بلغ من الشجاعة - حارب بلدة عظيمة بأسرها؟ وأيّ

(١) الفوق ما بين الحلبتين.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢ / ١١٩.

بلدة؟ الكوفة أعظم المدن في ذلك العصر، وأكبر الأمصار محتشة بالسكّان مكتضة بالجيوش المرابطة للغزو، وكان فيها - على الأقلّ - ثمانون ألف جنديّ مسلّح سوى من لم يثبت له الديوان اسماً في المتطوعة والسكّان، فانتالت كلّها عليه تحاربه في الأزقة، وتقذفه بالحجارة من أعالي السطوح، وترمي عليه أطنان القصب المستعرة بالنيران، فلم ترهبه تلك المظاهرة البدائية، ولا زعزعته الكوارث المحدقة به، ولا هالته أهوالها، بل كان يشتدّ ويشدّ عليهم مصلاً سيفه، فيهربون قدّامه أشتاتاً، وهو يرتجز:

«أقسمت لا أقتل إلاّ حرّاً»..

لم يزل هذا دأبه، يفني الجمع بعد الجمع، ويبيد الكتيبة بعد الكتيبة، حتّى أحدثت هجماته في البلدة رجّة عظيمة أرعبت قلب الطاغى المتمرد، فثل هذا حريّ بصلاة الملائكة المقربين وبجريان دموع سيّد المرسلين ﷺ وسيّد الشهداء ﷺ والمؤمنين..

معنى الشجاعة لغة:

العرب تسمّي الحيّة الذكر وهو العريد (العريد): الشجاع، فأطلقته على الرجل المجريء المقدام خوّاض الأهوال والغمرات، وذلك لأنّ العريد (العريد) في لعبه السمّ المتلف، وكذلك الرجل الشجاع في سيفه التلف، وفي ملاقات كليهما المخاطرة، ومظنة الهلاك والعطب.

قال ابن الأثير في النهاية:

«الشجاع - بالضم والكسر - الحية الذكر، وقيل: الحية مطلقاً».

وقال الفيومي في المصباح المنير:

«شجع بالضم شجاعة: قوي قلبه واستهان بالحروب جرأة وإقداماً»..

وذكر مثل هذا الطريحي في مجمع البحرين وقال:

«الشجاع الأقرع حية قد تمعط فروة رأسها لكثرة سمها، والشجاعة شدة القلب عند البأس، وقد شجع الرجل شجاعة قوي قلبه واستهان بالخطوب جرأة وإقداماً».

وحيث أن حقيقة الشجاعة صبر وثبات، ومن لوازمها الجبليّة الفطريّة التعاضل والبذخ، لأنّ من خاض الأهوال ولم يبال بالمعاطب يستشعر في نفسه عظمة، ويعتريه تباذخ وشمخ، وحيث أنّ للنفس الإنسانيّة حاكميّة على الشجاعة، فوجب أن تقهر تلك النخوة الغضبّيّة، وتكسر تلك السورة الشيطانيّة، وقمعها وكسرها بما يسمّى حلمًا، وعفوًا، فاندرجت تحت الشجاعة أمور هي كما نصّ عليها ابن مسكويه في تهذيب الأخلاق، ولفظه:

«الفضائل التي تحت الشجاعة: كبر النفس، النجدة، عظم

الهمة، الثبات، الصبر، الحلم، عدم الطيش، الشهامة، والفرق

بين هذا الصبر والصبر الذي في العَقّة أنّ هذا يكون في الأمور الهائلة، وذلك يكون في الشهوات الهائجة.

أمّا كبر النفس، فهو الاستهانة باليسير، والاقتدار على حمل الكرامة، فصاحبه أبداً يؤهّل نفسه للأمور العظام مع استخفافه لها.

وأمّا النجدة، فهي ثقة النفس عند المخاوف حتّى لا يخامرها جزع.

وأمّا عظم الهمة، فهي فضيلة للنفس تحتمل بها سعادة الجَدّ وضدّها من الشدائد التي تكون عند الموت.

وأمّا الثبات، فهو فضيلة للنفس تقوى بها على احتمال الآلام ومقاومة الأهوال خاصّة.

وأمّا الحلم، فهو فضيلة للنفس تكبر بها الطمأنينة، فلا تكون شعبة، ولا يحركها الغضب بسهولة وسرعة.

وأمّا السكون الذي نعني به عدم الطيش، فهو إمّا عند الخصومات، وإمّا في الحروب التي يذبّ بها عن الحريم أو عن الشريعة، وهي قوّة للنفس تقسر حركتها في هذه الأحوال لشدّتها.

وأما الشهامة، فهي الحرص على الأعمال العظام» (١)..

صور ومشاهد من شجاعة البطل الهاشمي

تبين لنا أنّ الشجاعة خلق موروث وجبلة ضاربة الجذور في سلسلة النسب الكريم الذي يُنمى إليه المولى مسلم بن عقيل عليه السلام، هذا غير ما ظهر من شخصه الكريم من صور الشجاعة التي تعدّ مثلاً لبني البشر أجمعين في بهنسا والجمال وصفين، وسنقتصر هنا على ذكر بعض النماذج الخاصة لما أبداه من بطولات وشجاعة أبهرت العقول، وخلبت ألباب الرجال، وتركهم صرعى سطوته وبطشه، فجبنتهم ودحرتهم، فسابت رؤوسهم أقدامهم في الهرب بين يديه، وتناثرت قلوبهم وتمزقت خوفاً وفرقاً ورعباً «فأروا أشدّ ثباتهم أن يهزموا».

الصورة الأولى: دخوله عليه السلام الكوفة لإنجاز المهمة وحده

تعدّ الكوفة من أعظم البلدان الإسلامية يومذاك، وربما كانت هي أكبر ثكنة عسكرية وحاضنة جند، وقد تبين لنا بوضوح أنّ الأكثرية الكاثرة التي كانت تقطن الكوفة يومذاك تعدّ في جند السقيفة وأذناً باللقرد الأموي المتأرجح على أغصان الشجرة الملعونة في الشام، وأنّ

(١) انظر: «العبّاس بن أمير المؤمنين عليه السلام حامل لواء الحسين عليه السلام»، للمؤلف.

الذين كاتبوا سيّد الشهداء ﷺ وبايعوه لو ثبتوا لكانوا أقلّيّة قليلة (١).
 فالمصري تربّص بسيّد الشهداء وسفيره ﷺ، والناس كلّهم إلب ويد
 واحدة على الحقّ ورجاله، والدنيا الرخيصة التافهة تسيل بقيحها
 وعنفها وزبدها وتتقاطر من بين أصابع أولاد البغايا، والنفوس الضعيفة
 والقلوب الخاوية تنتعش في القذر وتستجيش لدنيا القرود، فتشتدّ
 وتتقوى وتكون سيوفاً تصدّ عن سبيل الله وتحقق أمانى الطواغيت..
 والعسكر النظامي والمتطوّعين والمرتزقة تملأ المعسكرات والشوارع
 والسكك والمناهج، وترصد كلّ صغيرة وكبيرة وتفتّش كلّ داخل وخارج
 إلى البلد، وتقتل على الظنّة والتهمة..
 وفي مثل هذه الأجواء المشحونة بالحقد والبغضاء والاستعداد
 لمحاربة الله ورسوله ﷺ وكلّ ما يمتّ إلى سيّد الأوصياء وسيّد
 الشهداء ﷺ بصلة قريبة أو بعيدة، يدخل البطل الظافر والأسد الهاشمي
 والليث الطالبي إلى الكوفة، لا عساكر تتقدّمه ولا مسالح ترصد له
 الطريق، ولا ربايا تؤمّن له المسير، ولا خدم ولا حشم مثير، ولا حماية، ولا
 أيّ تشريفات رسميّة..
 يدخل مدينة تعدّ من أكبر معسكرات الأعداء ليؤدّي المهمّة

(١) انظر: «مسلم بن عقيل، معركة القصر».

الموكولة إليه من قبل سيّد شباب أهل الجنّة عليه السلام، وهي مهمّة محفوفة بالمخاطر بحكم الظروف ومجريات الأحداث وتكرّس الجيوش والعساكر..

يدخل وحده في ثلّة معدودة بقلب مطمئنّ بذكر الله، وعامر بحبّ الحسين عليه السلام، رابط الجأش واثق الخطى رصين الفكر سديد الرأي ثابت القدم، تغمره السكينة ويعلوه الوقار، تتفجّر الشجاعة والبطولة والشهامة والرجولة والحفاظ وحميّة الإيمان من جوانبه..

الصورة الثانية: صلاته عليه السلام في المسجد الأعظم واثقاً مطمئناً

رغم إحاطة الأعداء به

«لقد بقي المولى الطالبيّ والبطل الهاشميّ كبير آل عقيل في عدد ضئيل، ثمّ صار وحده - وفق الأخبار - والأعداء يحيطون به من كلّ حذب وصوب، يشرفون عليه من أعالي أسوار قصر الخبال وهم في كامل العدة والعدد، والمسجد الأعظم محاط بالذئاب المتوحّشة التي تتربّص به لتفتّسه، وهو - بأبي وأمي - ثابت الجنان راسخ القدم مطمئنّ أصلب من الجبال الراسيات، لا تزعزعه العواصف، ولا تفلّ من عزمه زعقات الأعداء، وقف بين يدي ربّه القويّ الجبار العزيز، فأقام الصلاة واثقاً مطمئناً لم يلتفت إلى الأعداء، ولا إلى الذين تفرّقوا عنه

متسلّلين أثناء الصلاة وفق بعض الأخبار» (١).

الصورة الثالثة: بقاءه عليه السلام وحده بعد أحداث المسجد

بناءً على الخبر المشهور، بقي المذكّر بشجاعة عمّه أمير المؤمنين عليه السلام وحده، والكوفة كلّها بما فيها من عساكر جيش السقيفة بجميع قطعاتها وأصنافها وراياتها وما فيها من عبيد الطاغوت وسفلة وانتهازيين ومتزلفين لابن الأئمة الفاجرة يطلبونه ويريدون قتله، وهو مع ذاك يأذن أو يأمر من بقي معه من الشيعة الأبرار بالانصراف ليكمل المشوار وحده (٢)، ولا يستوحش من الطريق لخلوّه من السالكين معه.

الصورة الرابعة: مبيته عليه السلام في بيت طوعة

كان مبيت المولى الغريب عليه السلام في بيت طوعة - وفق الخبر المشهور - نوع هدنة فرضتها مجريات الأحداث وظلام الليل الهابط على الكوفة، وكانت السيوف والأستنة شارعة، وكانون القتال معدّاً للاشتعال في صباح اليوم التالي، والوحوش الكاسرة قد دلعت ألسنتها لتلغ في دمه الزاكي، والمولى الغريب عليه السلام مبشّر بالشهادة، بيد أنّه عليه السلام بات تلك الليلة واثقاً مطمئناً متفرغاً للعبادة وانتظار اللقاء مع الله والأحبة محمّداً

(١) انظر للمزيد: «مسلم بن عقيل عليه السلام بين المسجد الأعظم ودار طوعة».

(٢) انظر: «مسلم بن عقيل عليه السلام بين المسجد الأعظم ودار طوعة».

النبي صلى الله عليه وآله وحزبه، قضى ليلة تشبه كثيراً الليلة التي قضاها أصحاب سيد الشهداء عليه السلام في كربلاء ليلة العاشر من المحرم.

الصورة الخامسة: عدم اكتراثه عليه السلام بالعسكر القادم

تشكّل العسكر القادم لمحاربة السيف الحسيني البتار من كبراء القوم ووجوههم على حدّ تعبير المؤرّخ، إضافة إلى أفرادهم وأتباعهم وشرطهم وعساكرهم، فهم في ظنّ القذر الأمويّ ابن زياد صناديد الكوفة ومقاتليها وفرسانها، وقد حسب ابن زياد ومن أرسلهم للبطل الهاشمي حساباً للقاءه، والحال أنّ المولى الغريب عليه السلام لم يكثرث بهم ولم يقيم لهم ولا لعدددهم وعدّتهم وزناً، وخرج إليهم كالأسد المغضب «يحصد للرؤوس ويحطم»..

الصورة السادسة: تكثر حملاته عليه السلام على القوم

تكثر حملاته على القوم، وهو وحيد وهم كثير، وإخراجهم من الدار أكثر من مرّة، يكشف عن عظيم شجاعته وشدّة صولته وسطوته وبطشه بأعداء الله، وقد فرّ القوم من بين يديه المرّة تلو الأخرى، وتباعدوا عنه وهو يكرّ عليهم، ولم يجرأ أحد منهم على الدنو والاقتراب منه حتّى يعود الفارس البطل إلى مركزه، فيلتقطوا أنفاسهم ويدفع بعضهم بعضاً ليقربوا منه، فيكرّ عليهم فيروا «أشدّ ثباتهم أن يهزموا».

الصورة السابعة: تغييرهم الخطة الحربيّة

عجز القوم عن محاربته على كثرتهم وكثرة أسلحتهم ممّا اضطرّهم إلى تغيير خطة الحرب ومواجهته بالحجارة والنار والقتال من بعيد واجتناب مصاولته والالتحام بالقتال المباشر معه، وسنأتي على تفصيل ذلك بعد قليل.

الصورة الثامنة: اللجوء إلى عرض الأمان

فشلوا في كلّ خططهم الحربيّة وطرق المواجهة القتاليّة، وفشلوا في محاربته بالحجارة والنار ورشقه بالنبال ممّا اضطرّهم أن يعرضوا عليه الأمان، وقد بلغت أنباء قوّته وتسلّطه على الميدان ودحره لقوى شياطين السقيفة، وهم يعرفون أسياف آل محمّد ﷺ وعترته، ويعلمون أنّهم لا يقبلون بالدنيّة في وقائعهم، فظنّوا أنّهم يستطيعون خداعه - والعياذ بالله - إذا منّوه بالحياة الدنيا، فأمرهم كبيرهم الحقير أن يعطوه الأمان، وقرّر أنّهم لا يقدرّون عليه إلّا بذلك. قالوا:

«فأرسل إليه عبيد الله بن زياد: أن أعطه الأمان، فإنّك لن تقدر عليه إلّا بالأمان».

الصورة التاسعة: السكينة والوقار

رغم مداهمته بالخيّل والرجال، فإنّ البطل الطالبيّ عليه السلام خرج إليهم

متروياً ثابتاً صلباً لم تزعزعه الزعقات، ولم يחדش وقاره وسكينته الإجلاب، فبادر إلى عدته وبزته فاعتدّ بكامل عدته، ولبس لامته وعمامته، قال ابن أعثم:

«... وسمع مسلم بن عقيل وقع حوافر الخيل وزعقات الرجال، فعلم أنّه قد أتى في طلبه، فبادر إلى فرسه فأسرجه وأجمه، وصبّ عليه درعه، واعتجربعمامة، وتقلّد بسيفه، والقوم يرمون الدار بالحجارة، ويلهبون النار في نواحي القصب»...

الصورة العاشرة: استقباله عليه السلام القتال والموت مبتسماً

قال ابن أعثم:

«فتبسّم مسلم، ثمّ قال: يا نفس! اخرجي إلى الموت الذي ليس منه محيص ولا محيد».

يذكرنا موقفه هذا بقول الشاعر في أبي الفضل العباس عليه السلام:

عبست وجوه القوم خوف الموت

والعبّاس فيهم ضاحك متبسّم

استقبل الموت في سيّد الشهداء الحسين عليه السلام بابتسامة، ولكنّه لم يفترق عن إمامه الحسين عليه السلام طرفة عين أبداً، ولم ينسه حتّى في ساعاته الأخيرة، فقد «وقف في الكوفة موقفاً نبيلاً حفظ فيه وصيّة المصطفى بالعترة الطاهرة، وأدّى أجر الرسالة الذي لم يسأل الله غيره في

موالاتهم حيث يقول: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ (١)، فأدّى من محض الإخلاص لسيد الشهداء الحسين بن علي عليه السلام ما أبهر به عقول ذوي العقول، وحير أبواب ذوي الأبواب.

رجل يقاد أسيراً ليقتل، فيستعبر باكياً، ليس على نفسه - والنفس لا أعزّ منها عند أكثر البشر ولا أغلى - بل للحسين عليه السلام، فيقال له: أتبكي وأنت تطلب ما تطلب؟ فيقول: لا - والله - ما لنفسي بكيت، بل أبكي للحسين وآل الحسين عليه السلام.

فهذا هو الإخلاص في المحبة، وهذه هي المواساة العظيمة التي يعزّها النظر في التاريخ، وقلّما عرف قبله رجل قيد إلى المنية سحباً لا تهمّه حياته، وإثما يهمّه سيّده، إلا هذا البطل العظيم، فإنّه قد أبدى هذا الإخلاص العجيب، وقد رفرف طير المنية على رأسه، وكلّ حالاته معجبة» (٢).

الصورة الحادية عشرة: خروجه عليه السلام إليهم

قال ابن أعثم:

«وخرج مسلم في وجوه القوم كأنه أسد مغضب، فجعل

(١) الشورى: ٢٣.

(٢) انظر: «العباس بن أمير المؤمنين عليه السلام حامل لواء الحسين عليه السلام»، للمؤلف.

يضاربهم بسيفه»..

وكذا عبر باقي المؤرخين ونسبوا الخروج لمولانا مسلم بن عقيل عليه السلام، فكانت الكرة الأولى وباقي الكرات كلها له، جاءوا وقائدهم العمى، وخرج إليهم على بصيرة من أمره، يصول ويجول، ويكرولايقر، كالأسد المغضب، وهم كالنعايج المرتعشة الخائفة، بادرهم بسيفه ففروا، وبادروه بالنار والحجارة سلاح الجبان المتباعد، فصمد لهم.

الصورة الثانية عشرة: أجوبته وردوده عليه السلام بعد الأسر

تدل أجوبته وردوده عليه السلام لأعدائه بعد الأسر على صلابته وثباته وقوته وشجاعته ورباطة جأشه، ووقاره واطمئنانه، فقد روى ابن أعثم أنه استسقاهاهم ماءً، فقال له مسلم بن عمرو الباهلي:

«والله لا تذوق الماء يا ابن عقيل أو تذوق الموت!

فقال له مسلم بن عقيل: ويلك يا هذا! ما أجفاك وأفظك وأغلظك! أشهد عليك أنك إن كنت من قريش فإتك ملصق، وإن كنت من غير قريش فإتك مدع إلى غير أبيك، من أنت يا عدو الله؟

فقال: أنا من عرف الحق إذ أنكرته، ونصح لإمامه إذ غششته، وسمع وأطاع إذ خالفته، أنا مسلم بن عمرو الباهلي!

فقال له مسلم بن عقيل: أنت أولى بالخلود والحميم، إذ آثرت طاعة بني سفيان على طاعة الرسول محمد ﷺ». وغير ذلك من أجوبته ﷺ البديهيّة اللاذعة رغم الجراحات العظيمة والنزف والعطش، وسنسمع فيما بعد أجوبته السديدة المدمرة لابن الأمة الفاجرة.

الصورة الثالثة عشرة: إقرار القوم بشجاعته

لا يهمنّا ما قال الجبناء والأدعياء وأبناء البغايا والمختئين في البطل الهاشمي الذي بكى عليه سيّد الكائنات، وشهد له سيّد الشهداء وابن سيّد الأوصياء ﷺ، ولكّنها شهادات واعترافات سجّلها التاريخ لطواغيت زعم أنّ فيهم شوب سطوة وبطش بالباطل، وقد اشتهر «أنّ الفضل ما شهدت به الأعداء».

لذا سنأخذ عيّنات مقتضبة تكشف عن عظيم ما للمولى مسلم بن عقيل ﷺ من هيبة في صدور الأعداء، ومدى الخوف والرعب والرهبّة التي ألقاها في قلوبهم.

العينة الأولى: ابن زياد

عبّر المؤرّخون بألفاظ شتى عن موقف الجرو المسعور ابن زياد، فقال ابن أعثم:

«... وبلغ ذلك عبيد الله بن زياد، فأرسل إلى محمد بن الأشعث وقال: سبحان الله! يا عبد الله! بعثناك إلى رجل واحد تأتينا به فاثلم في أصحابي ثلثة عظيمة...
.. قال: فأرسل إليه عبيد الله بن زياد: أن أعطه الأمان، فإنك لن تقدر عليه إلا بالأمان».

وقال الخوارزمي:

«فجعل يضاربهم بسيفه حتى قتل جماعة، وبلغ ذلك ابن زياد، فأرسل إلى محمد بن الأشعث: سبحان الله! أبا عبد الرحمن! بعثناك إلى رجل واحد لتأتينا به، فثلم من أصحابك ثلثة عظيمة»..

وقال الطريحي:

«فلما نظر ابن الأشعث إلى ذلك، أنفذ إلى ابن زياد يستمدّه بالخيال والرجال، فأنفذ إليه ابن زياد يقول: ثكلتك أمك! رجل واحد يقتل منكم هذه المقتلة العظيمة»..

العينة الثانية: ابن الأشعث:

قال ابن أعثم:

«فأرسل إليه محمد بن الأشعث: أيها الأمير! أما تعلم أنك

بعثتني إلى أسد ضرغام، وسيف حسام، في كفّ بطل همام،
من آل خيز الأنام؟».

وقال الخوارزمي:

«.. فأرسل إليه محمّد بن الأشعث: أيها الأمير! أتظنّ أنّك
بعثتني إلى بقال من بقاقيل الكوفة، أو جرمقاني من جرامة
الحيرة، أفلا تعلم - أيها الأمير - أنّك بعثتني إلى أسد ضرغام،
وبطل همام، في كفّه سيف حسام، يقطر منه الموت الزّوام»..
وروى ابن أعثم الكوفيّ قول ابن الأشعث بعد أن بلغ العطش
بالمولى الغريب مسلم ﷺ مبلغه، وأخذته الجراحات، قال:

«.. فأقبل ابن الأشعث على أصحابه وقال: ويلكم! إنّ هذا
لهو العار والفشل أن تجزعوا من رجل واحد هذا الجزع، احملوا
عليه بأجمعكم حملة واحدة».

وقال الطريحي:

«فلما نظر ابن الأشعث إلى ذلك، أنفذ إلى ابن زياد يستمّده
بالخيل والرجال، فأنفذ إليه ابن زياد يقول: ثكلتك أمّك! رجل
واحد يقتل منكم هذه المقتلة العظيمة، فكيف لو أرسلتك إلى
من هو أشدّ منه قوّة وبأساً؟! (يعني الحسين ﷺ).

فبعث إليه الجواب: عساك أرسلتني إلى بقال من بقاقيل

الكوفة أو إلى جرمقان من جرامة الكوفة، وإنما أرسلتني إلى سيف من أسياف محمد بن عبد الله».

أجل والله إنه «أسد ضرغام، وسيف حسام، في كف بطل همام، من آل خير الأنام».. وهو «سيف من أسياف محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله»، و«في كفه سيف حسام، يقطر منه الموت الزؤام»..

وقد قتل منهم على وحدته وغربته وعطشه «مقتلة عظيمة» وأذاقهم الويلات و«العار والفشل» فجزعوا منه كل «هذا الجزع»..

العينة الثالثة: عمرو بن دينار:

روى الخوارزمي:

«أخبرنا الشيخ الإمام الزاهد أبو الحسن علي بن أحمد العاصمي، أخبرنا شيخ القضاة أبو علي إسماعيل بن أحمد بن الحسين البيهقي، عن أبيه، أخبرنا أبو الحسين بن بشران، أخبرنا أبو عمرو بن السماك، حدّثنا حنبل بن إسحاق، حدّثنا الحميدي، حدّثنا سفيان بن عينية، حدّثنا عمرو بن دينار قال:

أرسل الحسين عليه السلام مسلم بن عقيل إلى الكوفة، وكان مثل الأسد، لقد كان من قوّته أنه يأخذ الرجل بيده فيرمي به فوق

البيت إلى أن قُتل بالكوفة» (١).

هكذا كانوا من ظنهم الجبان الدعيّ صناديداً، فبعثهم لمواجهة
البطل الهاشمي، كانوا أبطالاً في عيون الكوفيّين، ودمي بين يدي الأسد
الضرغام وسيف آل محمّد ﷺ.. يأخذ بعنق الرجل فيرمي به فوق
البيت! حقّاً لقد ذكّرهم بقوّة عمّه أمير المؤمنين ﷺ وسطوته في الحروب.

* * * * *

نكتفي بهذا القدر، ولانشكّ أنّ عظيمًا مثل المولى مسلم بن
عقيل ﷺ لا يمكن للإنسان العاديّ - مهما أوتي من حول وطول
وبلاغة وفصاحة وقوّة في التعبير، ومهما طاوعته المفردات وأسعفته
القدرة على التصوير - أن يرسم لوحات الشجاعة والشهامة والرجولة
والفروسية التي حفرها البطل الهاشمي في ذاكرة الكوفة، وخلّدها في
صفحات التاريخ، ومثل المولى مسلم بن عقيل ﷺ لا يصفه حقّ
وصفه إلا المعصوم ﷺ، وقد فعل!

وقد صدق السيّد جعفر الحليّ فيما قاله في أبي الفضل
العبّاس ﷺ، وهو يصدق أيضاً في المولى مسلم بن عقيل ﷺ:

(١) مقتل الحسين ﷺ للخوارزمي: ١ / ٢١٤، بحار الأنوار للمجلسي: ٤٤ / ٣٥٤،

العوالم للبحراني: ١٧ / ٢٠٣، نفس المهموم للقمي: ١١١.

ما كَرَدُوْا بِأَسٍ لَهُ مُتَقَدِّمًا إِلَّا وَفَرَّوْا رَأْسَهُ الْمُتَقَدِّمُ
 صَبَغَ الْخِيُولَ بِرَمَحِهِ حَتَّى غَدَا سَيَّانَ أَشْقَرْلُونَهَا وَالْأُدْهَمُ
 مَا شَدَّ غَضْبَانًا عَلَى مَلْمُومَةٍ إِلَّا وَحَلَ بِهَا الْبَلَاءَ الْمَبْرَمُ
 وَلَهُ إِلَى الْإِقْدَامِ سُرْعَةٌ هَارِبُ فَكَأَنَّمَا هُوَ بِالْتَقَدِّمِ يَسْلَمُ
 حَتَّى إِذَا اشْتَبَكَ النَّزَالَ وَصَرَّحَتْ صَيْدَ الرِّجَالِ بِمَا تَجَنَّ وَتَكْتُمُ
 وَقَعَ الْعَذَابُ عَلَى جِيُوشِ أُمِّيَّةٍ مِنْ بَاسِلٍ هُوَ فِي الْوَقَائِعِ مُعْلَمُ
 مَا رَاعَهُمْ إِلَّا تَقَحَّمُ ضَيْغَمُ غَيْرَانَ يَعْجَمُ لَفْظُهُ وَيَدْمَدُمُ
 بَطْلٌ تَوَزَّثَ مِنْ أَبِيهِ شَجَاعَةٌ فِيهَا أَنْوَفُ بَنِي الضَّلَالَةِ تَرْغَمُ
 يَلْقَى السَّلَامَ بِشِدَّةٍ مِنْ بَأْسِهِ فَالْبَيْضُ تَثْلُمُ وَالرَّمَاحُ تَحْطُمُ
 عَرَفَ الْمَوَاعِظَ لَا تَفِيدُ بِمَعْشَرِ صَمَّوْا عَنِ النَّبَأِ الْعَظِيمِ كَمَا عَمَّوْا
 وَانْصَاعَ يَخْطُبُ بِالْجُمَا جَمُ وَالْكَلَى فَالسَّيْفُ يَنْشُرُ وَالْمُثَقَّفُ يَنْظُمُ
 بَطْلٌ إِذَا رَكِبَ الْمُطَهَّمُ خَلَّتْهُ جَبِلَ أَشْمٌ يَخْبُ فِيهِ مُطَهَّمُ
 قَسَمًا بِصَارِمِهِ الصَّقِيلِ وَإِنِّي فِي غَيْرِ صَاعِقَةِ السَّمَاءِ لَا أَقْسَمُ
 لَوْلَا الْقَضَا لَمْ حَيِّ الْوُجُودَ بِسَيْفِهِ وَاللَّهِ يَقْضِي مَا يَشَاءُ وَيَحْكُمُ

الحرب بالحجارة والنار والنبال

القتال بالحجارة والنار قتال العاجز عن المواجهة والمصالوة، ولا يحتاج إلى خبرة قتاليّة، ويمكن للرجل أو المرأة أو الطفل أن يمارسه، ويبدو من المتون التاريخيّة أنّ من يسمّونهم المسلمين كانوا يمارسون هذا النوع من القتال مع الكفار ومع من يريدون إذلاله ^(١)، ولهذا عاتبهم المولى الغريب عليه السلام وأنّهم على فعلهم معه،

(١) ربما يقصد أعداء الله إذلال أولياء الله ويمارسونه معهم، ولكن الله يأبى لأوليائه إلا العزّة، فإنّ العزّة لله ولرسوله وللمؤمنين، فلورام العدو إذلال المؤمن، لا يعني أنّ المؤمن قد ذلّ، لأنّ الإذلال إرادة الذلّ للآخر، أمّا أنّ هذا الآخر سيقبل الذلّ أو لا، فهذا شيء يرتبط به، وهو لا يكون في المؤمنين والأولياء بحول الله وقوّته.

«فقال: ويلكم ما لكم ترموني بالأحجار كما ترمى الكفار، وإنا من أهل بيت الأنبياء الأبرار، ألا ترعون حق رسول الله في ذرّيته» (١).

أضف إلى أنّ سلاح النار المستعرّ في القصب، يكون جارحاً حارقاً، فنار القصب تشتعل بضراوة، وجمرها يتّقد طويلاً، والقصب قبل أن تستعرّ فيه النار يكون جارحاً ومؤملاً، فإذا أصابت المقاتل ربما أشعلت النار في ثيابه أو تجهيزاته أو تجهيزات فرسه، وهي في نفس الوقت تعرقل حركته وحركة فرسه إذا سقطت على الأرض.

والحجارة سلاح لئيم غدار يكدم ويكسر، ويجرح ويؤلم، ويعرقل الحركة على الأرض، ويمكن أن ينهمر كالطر من كلّ حدب وصوب، فيصعب على المقاتل أن يتحاماها.

رماة النار والحجارة كثير، وذلك لأنّ رميه لا يحتاج إلى مزيد من الخبرة القتالية والقوّة البدنية، والهدف واحد قريب من الجميع، وهو في الأرض والرماة متسلّطون على ساحة القتال من الأعلى، يرمونه من فوق الشرف والسطوح..

وقد شرعوا الحرب مع المولى الغريب عليه السلام منذ اللحظة الأولى

(١) المناقب لابن شهر آشوب: ١٠ / ٣١٩، الفتوح لابن أعمش: ٥ / ٣٥.

بالحجارة والنار كما أفاد نصّ ابن أعثم، فبادروا إلى رمي الدار فأمطروها بوابل النيران والحجارة قبل أن يخرج إليهم البطل الهاشمي، وقبل أن يقتحموا عليه عرينه، قال ابن أعثم:

«وسمع مسلم بن عقيل وقع حوافر الخيل وزعقات الرجال، فعلم أنه قد أتى في طلبه، فبادر عليه السلام إلى فرسه فأسرجه وألجمه، وصبّ عليه درعه، واعتجربعمامة، وتقلّد بسيفه، والقوم يرمون الدار بالحجارة، ويلهبون النار في نواحي القصب».

وبعد أن خرج إليهم البطل الطالبي، وأعجزهم عن مواجهته وطردهم من الدار إلى الخارج صاروا يسدّدون الرمي إلى شخصه الكريم. قال المسعودي:

«فتار عليهم بسيفه، وشدّ عليهم فأخرجهم من الدار، ثمّ حملوا عليه الثانية، فشدّ عليهم وأخرجهم أيضاً. فلمّا رأوا ذلك علوا ظهر البيوت فرموه بالحجارة، وجعلوا يلهبون النار بأطراف القصب، ثمّ يلقونها عليه من فوق البيوت».

ورغم جراحاته العظيمة وضربة بكير بن حمران الأحمري التي قطعت شفته العليا وأشرع السيف في السفلى ونصّلت لها ثنيتاه، فإنّهم جعلوا يحاربونه بالحجارة والنار.

وفي تعبير الطبري ما يشعر أنّ كمّيات القصب الملقاة في كلّ مرّة كانت كمّيات ضخمة، حيث يقول:

«ويلهبون النار في أطنان القصب، ثمّ يقلبونها عليه من فوق البيت»، فقلوه: «يقلبونها عليه» يشعر أنّ حزم القصب كانت تشعل وتجمع، فتكون شعلة هائلة بحيث تقلب عليه من فوق قلباً..

قال الطبري:

«فاختلف هو وبكير بن حمران الأحمريّ ضربتين، فضرب بكير فم مسلم فقطع شفته العليا، وأشرع السيف في السفلى، ونصلت لها ثنيتاه، فضربه مسلم ضربة في رأسه منكّرة، وثقّى بأخرى على حبل العاتق كادت تطلع على جوفه. فلما رأوا ذلك أشرفوا عليه من فوق ظهر البيت، فأخذوا يرمونه بالحجارة، ويلهبون النار في أطنان القصب، ثمّ يقلبونها عليه من فوق البيت».

وتستمرّ حربهم الجبّانة مع الفارس الطالبيّ وسيف آل محمد صلّى الله عليه وآله حتّى أواخر لحظات الحرب، فقد شرع ابن أعثم بذكر رمي الدار بالحجارة والنار، وما زال هذا دأبهم معه حسب ما صرّح به حتّى أئخن بالجراح وضعف عن القتال، قال ابن أعثم:

«وجعل يقاتل حتّى أئخن بالجراح وضعف عن القتال،

وتكاثروا عليه، فجعلوا يرمونه بالنبل والحجارة».

وتفيد المصادر أنهم لم يقتصروا على الحجارة والنار فقط، وإنما كانوا يرمونه بالنبال أيضاً، وكانت تنهمر عليه كالمطروق قد ثوروا عليه من كل جانب ومكان، فكانت تملأ الفضاء كأنها الجراد المنتشر، حتى «صار جلده كالقنفذ من كثرة النبل» (١).

فهم يقاتلون من بعيد، يرمون من معقل، متسترين بالحصون والشرف والسطوح، وحفيد أبي طالب عليه السلام يقاتل بالسيف، يكرّ عليهم ويلحقهم بجملاته ويهجم عليهم بصولاته فيكشفهم، فينأون عنه ويفرّون بين يديه..

(١) المنتخب للطريحي: ٢ / ٤٢٦، ينابيع المودة لذوي القربى للقندوزي تحقيق السيد علي أشرف: ٣ / ٢٦.

جراحاته عليه السلام

بأبي الغريب المستضعف، بأبي الوحيد الذي لا ناصر له ولا معين،
يا ليتنا كنّا معه، فنجعل أنفسنا لنفسه الفداء، وأبداننا لبدنه المقدّس
الوقاء..

لقد صرّحت كتب التاريخ بجراحات المولى الغريب عليه السلام إجمالاً،
وهي جراحات عظيمة، فقال البلاذري والطبري:

«فاختلف هو وبكير بن حمران الأحمريّ ضربتين، فضرب بكير
فم مسلم، فقطع شفته العليا، وأسرع في شفته السفلى،
فنصلت ثنيتاه»..

وقال الدينوري:

«فرُمي، فكُسِر فوه»..

وقال ابن أعثم والسيّد ابن طاووس:

«فطعن من ورائه طعنة، فسقط إلى الأرض»..

وقال الطبري:

«وقد أثنى بالحجارة»..

وقال الطريحي والقندوزي:

«وصار جلده كالقنفذ من كثرة النبل».

إنّ هذه العبارات تتحدّث عن الجراحات العميقة الحاسمة التي أدّت إلى سقوطه إلى الأرض، فهم يتكلّمون عن الحصيصة النهائيّة، «أثنى بالحجارة» و«صار جلده كالقنفذ من كثرة النبل».

أمّا عدد الحجارة التي أصابته فجرحته، وعدد النبال التي جعلته كالشجرة التي لا تُحصى أغصانها، فهذا ما لم يحصه لنا الراوي، ولا يقدر على إحصائه.. «فهل سلمت فيه من جراحة؟!».

الأسر

اختلفت المصادر في عرض اللحظة التي أسرف فيها الهزبر العباس^(١)
الهاشميّ عليه السلام، ويمكن تقسيهما إلى ثلاث مشاهد:

(١) العباس: الأسد الذي تهرب منه الأسود. انظر: لسان العرب: مادة «عبس».

المشهد الأول: قصّة الأمان

كانت قصّة الأمان عند المتقدّمين من المؤرّخين مشوّهة تافهة لا يقبلها من له أدنى معرفة بآل أبي طالب عليه السلام، وقد جاء بها ابن سعد والبلاذري قائمة فجّة ممجوجة، وقد ناقشناها فيما مرّ من البحث ^(١)، وذكرها في سياق آخر البلاذري مقتضبة ممّوهة، فقال:

«وأخذ مسلم عليه السلام فأتي به ابن زياد، وقد آمنه (محمد) ابن الأشعث فلم ينفذ أمانه» ^(٢)..

ولا يرى في تعبيره تصريح واضح أنّ المولى الغريب عليه السلام قد قبل الأمان أو رضي به وأجاب إليه، وبهذا المقدار تكاد تكون المصادر مجمعة

(١) انظر: المستوى الثاني من القسم الأوّل من المصادر التي لم تذكر القتال.

(٢) أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٨١.

عليه، فهم جميعاً يروون عرض الأمان، ولا مانع في ذلك أبداً، باعتبارهم كانوا يرون خلاصهم من سيفه، ونجاتهم من المنيّة المنشورة على رؤوسهم من خلال حملاته المدمّرة في عرض الأمان عليه، بل كانوا متأكّدين أنّهم لا يقدرّون عليه بغير ذلك، كما صرّح ابن الأمانة الفاجرة في أوامره لابن الأشعث بعد الاستمداد.

فالخلاف في قبول فتى الإباء الطالبيّ لذلك الأمان المزعوم، وعبارة البلاذري ربما كانت موهمة بذلك من غير تصريح.

فجاء الطبري من بعده فسلك سبيله المعتادة في التزويق والتّلميق وتطعيم الكذب الممجّج المرّالذي لا تستسيغه الطّباع بالأحداث المقبولة والمشاهد التي تدعو القارئ للتأمّل فيها والتردّد في ردّها وصياغتها بالعبارات المزوّقة وضخّ الحوادث فيها ضمن مجريات الأحداث، فتأخذ بعنق الباحث وتمنعه من التّكذيب والرّد.

قال الطبري:

«فلما رأى ذلك مسلم خرج إليهم بسيفه فقاتلهم، فأعطاه عبد الرحمن الأمان، فأمكن من يده، فجاء به إلى عبيد الله» (١) ..

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٠، الأمالي للشجري: ١ / ١٩١، تهذيب الكمال للمزي: ٦

وقال المسعودي:

«فلما رأوا ذلك منه تقدّم إليه محمّد بن الأشعث فقال له:
فإِنَّكَ لا تكذب ولا تغرّ، وأعطاه الأمان، فأمكنهم من
نفسه» (١) ..

وقال الطبري:

«فلما رأى ذلك خرج عليهم مصلاً بسيفه في السكّة فقاتلهم،
فأقبل عليه محمّد بن الأشعث فقال: يا فتى، لك الأمان، لا
تقتل نفسك، فأقبل يقاتلهم، وهو يقول:
أقسمت لا أقتل إلاّ حرّاً..

فقال له محمّد بن الأشعث: إِنَّكَ لا تكذب ولا تخدع ولا تغرّ،
إِنَّ القوم بنو عمّك، وليسوا بقاتليك ولا ضاربك، وقد أئخّن
بالحجارة، وعجز عن القتال وانبهر، فأسند ظهره إلى جنب
تلك الدار، فدنا محمّد بن الأشعث فقال: لك الأمان، فقال:
آمن أنا؟ قال: نعم، وقال القوم: أنت آمن، غير عمرو بن عبيد
الله بن العباس السلمي، فإنّه قال: لا ناقة لي في هذا ولا

جمل، وتنحى.

وقال ابن عقيل: أما لولم تؤمنوني ما وضعت يدي في أيديكم» (١).

مناقشة النصوص

النص الأول:

أما النص الأول، فهو مختصر ومرتبك، إذ ينسب الأمان لعبد الرحمن، وهو خلاف المشهور من جهة، ويحتمل فيه التصحيف والخطأ من جهة أخرى.

غير أنّ تعبيره: «فأمكن من يده» فيه من سوء التعبير وسوء الأدب. قبال سفير سيّد الشهداء عليه السلام ما يكفي للإعراض عن مناقشته.

النص الثاني:

أما النص الثاني، وقد ورد عند كثير من المؤرخين بألفاظ متقاربة وعبائر متشابهة، توّدي نفس المؤدى الذي أراده الطبري، فيمكن أن يناقش بعدة مناقشات سريعة:

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧٣ وما بعدها، البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥٨،

نفس المهموم للقمّي: ١١٣.

المناقشة الأولى: إلحاح المؤرّخ على صورة بذاتها

نجد المؤرّخ يلجّ على صورة معيّنة يحاول جاهداً أن يرسمها للبطل الهاشمي عليه السلام تؤدّي إلى مسخ الصورة الواقعيّة أو تشويهها بما يؤول إلى مسخ صورة القيام الحسيني أو تشويهها منذ الانطلاقة الأولى، وقد ذكرنا ذلك مفصّلاً في أكثر من موضع من دراساتنا الخاصّة بحياة سفير الحسين عليه السلام.

فتراه يلجّ بشقّي الوسائل ويحاول بمختلف الأساليب إقناع القارئ للتاريخ المتنقل على صفحات الكتب بخصال يلصقها مباشرة أو بشكل غير مباشر، تلويحاً أحياناً وتصريحاً أحياناً أخرى، والمولى الغريب عليه السلام بريء منها، وهي خصال لا يمكن أن تقترب من ساحته المقدّسة، وربما يأنف بعض عوامّ الناس وسفلتهم من الاتصاف بها، ويأبى المؤرّخ والناقل عنه أن تنسب له أو لأبيه أو ذويه.

فتجده يلجّ على عرض المولى الغريب عليه السلام في صورة المتشائم الخائف الراجي للبقاء في هذه الحياة الدنيا بأيّ ثمن، وفي أيّ ظرف، وتحت أيّ طائلة، وحاشاه بأبي وأمي من ذلك.

فيقدّمه لنا متطيّراً معتذراً عن المسير في وجهته راجياً الإعفاء والرجوع خوفاً من القتل والموت، يرجو النجاة ممّا هو فيه، وكأنّه متورّط في المهمّة التي أقحمه فيها سيّد الشهداء عليه السلام، هذا في بداية حركته نحو

الكوفة.

وقد بدأ المؤرّخ بالتقديم لهذه الصورة منذ خروج المولى مسلم بن عقيل عليه السلام مع الركب الحسيني من المدينة، إذ يشير على الإمام المعصوم، ويرجوه أن يتنكب الطريق لئلا يدركهم الطلب، فيأبى سيد الشهداء عليه السلام ويرفض اقتراحه، ويصرّ على المسير على الجادة العظمى.

ثمّ يستمرّ في تميم رسم اللوحة البائسة مع كلّ خطوة يخطوها (١) كبير آل عقيل حتّى يصل إلى ساعة الأسر، فيختتمها بهذه الخاتمة التي لا تليق بالفارس الهاشمي والفتى الطالبّي، بل لا تليق بالفرد العاديّ فضلاً عن المؤمن، وناهيك عن نسبتها لساحة المولى مسلم بن عقيل عليه السلام.

المناقشة الثانية: تصديق ابن زياد

تماماً - كما ذكرنا في أكثر من موضع - عاد المؤرّخ مرّة أخرى ليقنعنا بما يريد من عرض جميل للقروء الأمويّة، وتشويه لصور الأبطال

(١) قد ذكرنا أكثر هذه المشاهد البائسة التي صوّرها المؤرّخ خلال دراساتها السابقة عن المولى الغريب عليه السلام، فلم نذكرها هنا بالتفصيل، ونعود مرّة أخرى للاعتذار من ساحة قدس صهر أمير المؤمنين وأخ سيد شباب أهل الجنة عليه السلام، فإننا مضطّرون لذكر هذه الترهات والسخافات لكشف عوارها والتنبيه عليها لئلا نقع في شرك المؤرّخ ونستسلم له ونتجرّع سمومه.

العلوية، وثلم للسيوف الحسينية، فحاول هنا ليقول أن ابن الأمة الفاجرة كان عالماً بتفاصيل شخصية المولى الطالبي، وعارفاً بالوسائل الحربية الحاسمة الكفيلة بإنهاء المعركة مع الأباة والعظماء..

قال ابن أعثم - وهو يروي أحداث المعركة واستمداد ابن الأشعث :-
«فأرسل إليه عبيد الله بن زياد: أن أعطه الأمان، فإنك لن
تقدر عليه إلا بالأمان» (١).

ولم يكتف المؤرخ بذلك، وإنما تهادى ليعبر عن تصديق المولى عليه السلام
لكلام ابن الأمة الفاجرة، فنسج الطبري عبارة ونسبها إليه عليه السلام فقال:
«فقال ابن عقيل: أما لو لم تؤمنوني ما وضعت يدي في
أيديكم» (٢)..
ليخرج القارئ للتاريخ بحصيلة تصديق الوضع ابن زياد، والانبهار
بذكائه المزعوم ومعرفته وخبرته الدقيقة العميقة التي أكدها المولى مسلم
ابن عقيل عليه السلام بنفسه.

تماماً كما صنع ابن الأثير حينما تقول على المولى الغريب عليه السلام في

(١) الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٥٣.

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧٣ وما بعدها، البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥٨،
نفس المهموم للقمي: ١١٣.

قصة اغتيال ابن زياد فروى الحديث المزعوم على لسانه بصيغة: «فلا يفتك مؤمن بمؤمن»، لينتزع إقراراً من المولى عليه السلام بإيمان ابن الأمة الفاجرة (١)، وغير ذلك كثير.

المناقشة الثالثة: معرفة المولى بغدر أهل الكوفة

لا يشك عاقل أنّ المولى الغريب عليه السلام كان عالماً عارفاً بالمجتمع الكوفي يومذاك، وكانت صور الغدر والخيانة نصب عينيه، وقد عاشها وذاق مرارتها بنفسه، منذ أن ملأت قلب «قلب العالم» أمير المؤمنين وسيد الوصيين ومولى الموحدين عمه علي بن أبي طالب عليه السلام، ثم شارك الإمام الحسن المجتبي عليه السلام ما جرّعته تلك الجموع الخائبة المنكوسة، وهكذا حتى تجرّع هو بنفسه كأس غدرهم مسلماً لأمر إمامه عليه السلام ومفوضاً أمره لله، وقد كابدها أيام تشرف الكوفة بأقدامه المباركة منذ أن دخلها حتى الاستشهاد.

فهو قد لمس الغدر وعائنه في كلّ سلوكياتهم معه، فكيف يقبل الأمان من الغدر، كما قال هو بنفسه:

«لا حاجة إلى أمان الغدر» (٢).

(١) انظر للتفصيل: «مسلم بن عقيل عليه السلام قصة اغتيال ابن زياد».

(٢) الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٥٣.

المناقشة الرابعة: معرفة المولى بابن الأشعث

لم يكن المولى مسلم بن عقيل عليه السلام غريباً على الكوفة وبيوتاتها الصالحة والطالحة، سيّما بيت القذارة الأشعثي، وامتداداته الخبيثة، وقد عاصر بنفسه - فداه رuchi - خيانة بيت الأشعث لأمر المؤمنين وللإمام الحسن الأمين عليه السلام، وولوغهم بالدماء الزكيّة المقدّسة لأصحاب الكساء، وخيانتهم لله ولرسوله ولأمر المؤمنين والأئمّة الميامين عليهم السلام.

وقد صرّح المولى مسلم بن عقيل عليه السلام بعلمه بعجز ابن الأشعث عن أمانه، قال الطبري وغيره، واللفظ له:

«ثمّ أقبل على محمّد بن الأشعث فقال: يا عبد الله، إني أراك

- والله - ستعجز عن أمني» (١).

وفي هذا دلالة واضحة أنّ المولى عليه السلام كان يعلم أنّ الخبيث سيعجز عن أمانه، فكيف يقبل أمن العاجز؟

المناقشة الخامسة: رجزه دليل رفضه

من يستمع إلى رجز المولى عليه السلام يجد رفضه للأمان جليّاً واضحاً لا يحتاج حتّى إلى أدنى تأمل، بل يجد أنّ الرجز لم يكن إلّا ردّاً للأمان،

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧٣ وما بعدها، البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥٨،

نفس المهموم للقمي: ١١٣.

وبالفعل فقد ارتجزبه بعد أن عرض عليه الأمان، وقد صرّح في نقل الخوارزمي بذكر الأمان، وأنه لا يقيم له قدراً:

ولا أقيم للأمان قدراً أخاف أن أخدع أو أغرأ

وأجمعت المصادر على رواية قوله: «أخاف أن أخدع أو أغرأ»، وأنه أقسم أن يقتل حرّاً، وأنه يريد أن يلقي حمامه تحت ظلال الأُسنة، ويرفض أمان الجبناء الغدرة.

المناقشة السادسة: إباء بني هاشم

الإباء الهاشمي خلق جبليّ فيهم، وقد طفحت صفحات التاريخ بحديث إباءهم وشموخهم وتعاليمهم على الدنيّة وسمو المروءة فيهم، وقد نشأت الأصول والفروع الهاشمية على الإباء، وهذه الخصلة بالخصوص لا زالت جارية فيهم سارية في عروقهم ودمائهم متجذّرة في وجوداتهم إلى يوم الناس هذا..

والمولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام قدم الكوفة مبعوثاً للإمام سيّد الشهداء عليه السلام وسفيراً له، وهو مفردة في حركة القيام الحسيني المبارك، وسبط النبيّ إمام الإباء ومعدنه وأصله وفرعه وغايته ومنتهاه، وكلمته التي صارت شعاراً للأبوة والأحرار طول عمر الدنيا وأيامها، قد ملأت كيان الفتى الهاشمي مسلم عليه السلام:

«والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أقرّ [أقرّ] إقرار [قرار] العبيد».

وقد أبى المولى الغريب عليه السلام وأنف عن الاستسلام ما دام سيفه يمينه، وقال مخاطباً ابن الأشعث، كما أخبر ابن أعثم:

«أتظنّ - يا ابن الأشعث - أني أعطي بيدي أبداً، وأنا أقدر على القتال! لا والله لا كان ذلك أبداً!..»

فالفرد العاديّ إذا تحلّى بخصال الخير والعزّ والشهامة تجده يخشى أن يرتكب ما يخدش إباءه، فكيف بالمؤمن؟ ولا تصل النوبة إلى المولى مسلم بن عقيل عليه السلام حتّى فرضاً في تصوّر ارتكابه ما يخدش الإباء، لأنّ الإباء إذا أراد أن يتمثّل في رجل لتمثّل في شخصه الكريم.

المناقشة السابعة: معرفته بمصيره

إنّ من يقبل الأمان إنّما يفعل ذلك لأنّه يرجو السلامة، ويطمع في البقاء أكثر في هذه الدنيا الدنيّة، والهروب - ولو إلى حين - من أظفار المنيّة، أو أنّه يخطط لموتة أفضل أو موقف أعظم أو ما شاكل من المقاصد العالية أو المطامع الواطئة.

وكّل تلك المقاصد والمطامع بعيدة غاية البعد عن شخص مولانا الكريم عليه السلام، وذلك للأسباب التالية:

السبب الأول: البشارة بشهادة المولى مسلم عليه السلام

لقد أخبر سيّد الكائنات صلى الله عليه وآله والمخبر الصادق عن الله الذي ﴿لَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾، بشهادة المولى الغريب مسلم ابن عقيل عليه السلام، وبكى لمقتله، وجعل البكاء عليه علامة الإيمان، وشكى إلى الله ممّا يلقى وتلقى عترته من بعده.

كما بشّره الصادق المصدّق سيّد شباب أهل الجنّة وخامس أصحاب الكساء سيّد الشهداء الحسين عليه السلام بالشهادة، وجعلها موعداً معه كما سنسمع في خبر وداعه الذي رواه ابن أئثم الكوفي.

وفي هذه الإخبارات الصادقة والبشائر المتحقّقة جزماً، دلالات وإشارات واضحة وجليّة، ونحن لا نريد هنا دراستها بالتفصيل، غير أنّنا نجد فيها إنارة وإضاءات ساطعة لامعة تكشف لنا موقف المولى الغريب عليه السلام.

وذلك، أنّ المولى مسلماً عليه السلام قد سمع ما سمعنا، على أقلّ التقادير، بل نحن نطمئنّ اطمئناناً قوياً يرقى إلى اليقين، أنّ أهل بيت العصمة عليهم السلام قد حدّثوا المولى الغريب مسلماً عليه السلام وأخبروه بعاقبته ومآله وشهادته في حبّ سيّد الشهداء عليه السلام بالتفصيل، وكان المولى الغريب عليه السلام قد أخذ تفاصيل حركته وجزئيات ما سيجري عليه من الأئمة عليهم السلام الذين عاصروهم وسار في ركبهم، وقاتل بين أيديهم.

وهذا يعني أنه كان على بصيرة من أمره مقتدياً بالصالحين، ومتّبِعاً
للنبيّين ﷺ، متهيئاً لدرجة الشهادة التي وعده بها سيّد الشهداء ﷺ،
مستعدّاً للقتال، منتظراً ليومه المحتوم الموعود في الكوفة الذي بكى له
سيّد المرسلين ﷺ ..

ومن هنا نستطيع أن نعرف مدى استبسال المولى مسلم بن
عقيل ﷺ، وتجلّي شجاعته وقوّته، وظهور آيات البطولة والثبات
والاستقامة في موقفه الذي سجّله التاريخ في حربه الأخيرة، وقد ثار
المولى ﷺ لنفسه حينما سقى أرض الكوفة من دمائه أولئك الأوغاد
الخونة، لأنّه يعلم علم اليقين، أنّه قادم على ربّه، وأنّ حربه تلك خاتمتها
الحسنة، وممرّه المحتوم الذي سيدلف منه إلى الآخرة ولقاء الله ولقاء
الأحبة ..

بشارة النبي ﷺ

روى الشيخ الصدوق في الأمالي مسنداً عن ابن عباس قال:
«قال عليّ ﷺ لرسول الله ﷺ: يا رسول الله إنّك لتحبّ
عقيلاً؟»

قال: إي والله إنّني لأحبّه حبّين: حبّاً له، وحبّاً لحبّ أبي
طالب له، وإنّ ولده لمقتول في محبة ولدك، فتدفع عليه عيون
المؤمنين، وتصلّي عليه الملائكة المقرّبون.

ثم بكى رسول الله صلى الله عليه وآله حتى جرت دموعه على صدره، ثم قال:
إلى الله أشكو ما تلقى عترتي من بعدي» (١).

بشارة سيّد الشهداء الحسين عليه السلام

روى ابن أعثم في الفتوح، قال:

«... ثم طوى الكتاب وختمه ودعا مسلم بن عقيل عليه السلام، فدفع إليه الكتاب، وقال له: إني موجّهك إلى أهل الكوفة، وهذه كتبهم إليّ، وسيقضي الله من أمرك ما يحبّ ويرضى، وأنا أرجو أن أكون أنا وأنت في درجة الشهداء، فامض على بركة الله حتى تدخل الكوفة ... ثم عانقه وودّعه وبكى جميعاً» (٢)..
فمن كان على بصيرة من أمره، عالماً بما له وعاقبته، واثقاً أنّ القتل خاتمته، لماذا يمكن من يده، كما يزعمون؟

السبب الثاني: تأكّد القتل

لوفرضنا أنّه لم يبشّر بالشهادة في حبّ سيّد الشهداء عليه السلام، وهو فرض محال، لأنّ البشارة قد صدرت.

(١) الأُمالي للصدوق: ١٢٩ مج ٢٧.

(٢) الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٣١، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ١٩٠، تسليّة

المجالس لابن أبي طالب: ٢ / ١٦٤.

فإن مجريات الأحداث وطبيعة الأفراد الذين حاربهم المولى الغريب عليه السلام تكاد تورث القطع عند كلّ سامع لما جرى فضلاً عن المشاهد، أن ابن الأمة الفاجرة سيقتل المولى عليه السلام بلا أدنى شك في ذلك، وهذه طبيعة الطواغيت والخونة والجبناء إذا تمكّنوا من الأبطال الذين يذلّون الطواغيت ويرغمونهم ويكسرون أنوفهم.

والجميع يعلم - كما يعلم المولى مسلم عليه السلام - أن مهمّة عُبيد القروذ ابن زياد الموكولة إليه من القرد الأمويّ المترنّح على أغصان الشجرة الملعونة في القرآن كانت تلزمه بقتله ^(١).

فهو مطلوب على كلّ حال، ومقتول على كلّ فرض، وبأيّ حساب من الحسابات الظاهريّة، فلماذا - إذن - يقبل الأمان طوعاً ويرضى بالقتل صبراً، وهو قادر على الذبّ عن نفسه ودفع الضيم والدنيّة عن ساحته؟

السبب الثالث: فوزه بأفضل قتلة

أسمى رتبة يمكن أن ينالها المؤمن وأعلى درجة يتمنّى بلوغها أن يكون في طاعة الله وهي طاعة إمامه، فأيّ موقف يمكن أن يتصوّره المفترض ^(٢)، أفضل من موقفه وهو يمضي في طاعة إمامه ومولاه، وأي

(١) ذكرنا النصوص في بحث «مسلم بن عقيل عليه السلام ثأراً سفيراً».

(٢) إنّما قلنا المفترض، لأنّ ما نتحدّث عنه فرض لا يمكن نسبته للمولى المختب

موتة أو قتلة يتمناها المأموم أفضل من قتله في حبِّ إمامه ؑ وفي امتثال أمره والسير في ركابه؟ وقد قتل في الله على أيدي شرار خلق الله.

المسلم لله ولأئمته ؑ الذين قالوا: «من أكل على حسن اختيار الله - عزَّ وجلَّ - له لم يتمنَّ أنه في حال غير الحال التي اختارها الله له».

المشهد الثاني: قصة الحفيرة

اشتهرت قصة الحفيرة والاحتفال على المولى العالم عليه السلام، ونظمها بعض الشعراء، وعدّوها ضمن مصائبه التي يبكي لها.

والحقّ إنّها مصيبة أن يتّهم المولى عليه السلام ويفترى عليه بمثل هذه الفرية التي لا تليق بساحة قدسه، ولا تنسجم مع علمه ومعرفته وخبرته القتالية الفذة:

قال أبو مخنف في مقتل المشهور:

«ثمّ حمل على القوم وقاتلهم قتالاً شديداً وقتل منهم خلقاً كثيراً فأقبل عليهم لعين وقال لهم: أنا أنصب له شركاً لا يخلص منه.

قالوا: بماذا؟

قال: نحفر له بئراً في الطريق ونطعمها بالدغل والتراب ونحمل عليه وننهزم قدامه وأرجو أن لا يفلت منها، ففعلوا ذلك ومسلم عليه السلام لا يعلم بما فعلوا من المكر.

ثم حملوا عليه وحمل عليهم فانهزموا بين يديه فوقع في البئر فأحاطوا به من كل جانب ومكان فأخرجوه إليهم» (١) ..

وقال الطريحي:

«ثم حمل عليهم فقاتلهم، ثم إنهم احتالوا عليه وحفروا له حفرة عميقة في وسط الطريق، وأخفوا رأسها بالدغل والتراب، ثم انطردوا بين يديه، فوقع بتلك الحفرة وأحاطوا به» (٢) ..

وقال القندوزي:

«ثم إنهم حفروا له حفيرة في وسط الطريق، وأخفوا رأسها بالدغل والتراب، فوقع مسلم في تلك الحفيرة، وأحاطوا به فضربه ابن الأشعث على وجهه بالسيف فشقه، فأوثقوه وآتوه إلى ابن زياد» (٣) ..

(١) مقتل أبي مخنف المشهور: ٣٣ وما بعدها.

(٢) المنتخب للطريحي: ٢ / ٤٢٦.

(٣) ينابيع المودة لذوي القربى للقندوزي تحقيق السيّد علي أشرف: ٣ / ٥٨.

ويمكن أن تناقش هذه القصّة بالمناقشات التالية:

المناقشة الأولى: الأصل في القصّة

يبدو أنّ الأصل في القصّة هو كتاب المقتل المشهور لأبي مخنف، وذلك لأنّ القندوزي يصرّح بالنقل عنه، وعبارة الطريحي قريبة جداً من عبارة القندوزي.

وقد انفرد المقتل المشهور بنقل هذه القصّة - حسب فحصنا - إذ لم نجد من ينقلها من المتقدّمين.

والمقتل المشهور لأبي مخنف لا يعرف أصله أيضاً ومؤلفه، غير أنّه وثيقة قديمة يمكن الاعتماد عليها فيما لم يخالف الشروط التي قد ذكرناها في مقدّمة هذه المجموعة تحت عنوان: «المدخل».

ولما كانت بأيدينا مصادر قديمة معتبرة تروي لنا حدث المعركة والأسر بشكل مغاير تماماً لما يرويّه هذا المقتل المشهور، وتوافق الشروط، وتناسب مقام المولى عليه السلام، فما هي الضرورة للانصياع لمثل هذه القصّة التي يعوزها الكثير من أسباب القبول.

المناقشة الثانية: وقوع الفرس والفارس

بناءً على ما صرّحت به المصادر من أنّ المولى عليه السلام كان يقاتل فارساً، فإنّ وقوع الفرس والفارس في حفيرة أو في بئر صعب لا

يستساغ، وذلك لأنّ الفرس المدرب الذي يمتطيه مثل الفارس الهاشمي الهمام قادر على المناورة وتجاوز الحفيرة إذا فوجئ بها عادة. إضافة إلى أنّ هذه البئراً والحفيرة يلزم أن تكون واسعة سعة كبيرة تسع لابتلاع الفرس والفارس معاً، ومثل هذه الحفيرة أو البئر يصعب أيضاً أن تُغطى بالأدغال والحشائش إلا أن تُبنى لها أعمدة ويُصنع لها مثل السقف عارضات طويلة وعرضية لكي تمسك الأدغال والحشائش.

المناقشة الثالثة: كان يقاتل راجلاً

أمّا بناءً على أنّ المولى عليه السلام كان يقاتل راجلاً، وأنهم حفروا له حفيرة تسع للفارس فقط، فإنّ هذا الفرض أيضاً يثير العجب، ويمتنع على المقاتل - أيّاً كان - فضلاً عن البطل الهاشمي، وذلك لأنّ وجود الأدغال والحشيش في طريق المقاتل تمنعه وتعرقل حركته وقتاله وقدرته على المناورة والمصاولة والملاحقة للأعداء، فإذا كانت الأدغال قد غطت فوهة الحفيرة فقط والزقاق خالٍ منها، فلماذا يقتحمها المقاتل ولا يتجنّبها، وهو في حال الكرّ على الأعداء، وإذا كانت الأدغال قد غطت الحفيرة وباقي الزقاق، فإنّها ستخفي على المقاتلين جميعاً بل حتّى على من حفروها، إذ يصعب أن يحدّد مكانها بالضبط ويجتنبها، وهو في حال الملاحقة والقتال، فلماذا يسقط فيها المولى عليه السلام وحده دون غيره؟

المناقشة الرابعة: فارساً كان أو راجلاً

سواء كان المولى الغريب عليه السلام فارساً أو راجلاً، وسواء كانت الحفيرة تسع الفارس فقط أو تسع الفارس والفرس، وسواء كانت الأدغال قد غطت فم الحفيرة فقط أو الرقاق بعرضه كاملاً، يفترض النصّ أنّ الأعداء قد احتالوا على المولى الغريب عليه السلام وحفروا له الحفرة ثم استدرجوه بالكر عليهم وانكشفوا بين يديه فوقع في الحفرة دون غيره.

والسؤال هنا هل كان المولى عليه السلام قد قصد الحفرة باعتبارها هدفاً قتالياً وموقعاً حربياً يريد تطهيره أو احتلاله؟

أوليس هو يقاتل الأفراد المتواجدين أمامه، ويلاحق القلول المنهزمة المنكشفة بين يديه، ويقصدهم ليحصدهم رؤوسهم، وقد انكشفوا بين يديه عن يمين الحفرة وشمالها، فهو إما أن يلاحق هؤلاء أو هؤلاء، إذ لا يوجد - حسب الفرض - أحد مقابل الحفيرة، فكيف يترك المولى عليه السلام الجناحين المنشعبين عن اليمين والشمال، ويستمرّ وحده يحمل على الوسط الخالي من الرجال إلا من الحفيرة التي تنتظره؟

المناقشة الخامسة: تكميم للمناقشة السابقة

لابدّ أن يكون انكشافهم بين يديه يثير انتباه المقاتل ضرورة، لعدم إمكان مفاجأته بحال، وكيف يفاجئ المقاتل بجماعة تقاتل قدامه كأنّها صفّ واحد، وهي من خلف تنقسم إلى شعبتين، فالأفراد - حسب

الفرض - كانوا يتفرّقون ويتعدّون عن الحفيرة من خلف، فيكونون كرأس السهم نقطة ثابتة، وهي النقطة التي يبدأ فيها الناس بالتفرّق يميناً وشمالاً، وضلعان متحرّكان ينساب الناس في أحدهما عن اليمين وفي الآخر عن الشمال، وهم إنّما يتفرّقون بالقرب من الحفيرة وقبل الوصول إليها، لأنهم إن انكشفوا عنها من بعيد فسوف لا تنجح خطّتهم، إذ سيكون الموقع خالياً من الرجال تماماً، فلا يقصده المقاتل أبداً.

وهذه الحركة التي تشطر المقاتلين الأعداء على شكل المثلث وصورة رأس السهم المتّجه نحو المولى عليه السلام بشكل سريع ومتلاحق، كيف يغفل عنها المقاتل العادي وهو في ساحة الوغى، فضلاً عن الخبير المجرب في ساحات القتال؟

المناقشة السادسة: هل قصد الحفيرة

قال في المقتل المشهور:

«أن رجلاً لعيناً وضع لهم الخطة وقال: نحفر له بئراً في الطريق ونطمّها بالدغل والتراب ونحمل عليه ونهزم قدّامه»..

لا يخفى أنّ القتال كان في زقاق حسب النقل التاريخي، ولو فرضنا أنّه كان في منهج وسكّة واسعة، وعلى كلّ فرض وحال يصعب تصوّر نجاح خطة هذا اللعين، وذلك:

لأنّ الحفرة إمّا أن تكون واسعة جداً بحيث يمكنها أن تورّط المولى عليه السلام وتمكربه، فمن أيّ جهة سلك وقع فيها، فحينئذٍ تكذب تفرّق القوم وانكشافهم بين يديه، لأنهم سيقعون فيها قبل المولى عليه السلام ويضطرونّ لسلوك ممرّ ضيق جداً عن يمينها وشمالها، ولا ننسى. أنّ أوسع المناهج في الكوفة يومذاك لا يتعدّى الأربعين ذراعاً، والقتال كان في زقاق، وكانت الأزقة سبع أذرع^(١).

وإمّا أن تكون الحفيرة ضيقة في موضع من الطريق الواسع، فلا ينقضي العجب من وقوع المولى عليه السلام فيها، وكأنّ الحفيرة سهم صائب قصد المولى عليه السلام، وليست هي حفرة هامة محفورة في موضع من الطريق! بحيث يترك المولى عليه السلام الطريق كلّ ولا يسلك إلّا الموضع الذي فيه الحفيرة!

المناقشة السابعة: عودة إلى قصّة المؤرّخ

هنا أيضاً نرى المؤرّخ يرسم لنا صورة المولى عليه السلام وكأنّه أرسل في

(١) قال الطبري في تاريخه: ٤ / ٤٤ وما بعدها: لما أجمعوا على أن يضعوا بنيان الكوفة، أرسل سعد إلى أبي الهياج فأخبره بكتاب عمر في الطرق، أنّه أمر بالمناهج أربعين ذراعاً، وما يليها ثلاثين ذراعاً، وما بين ذلك عشرين، وبالأزقة سبع أذرع، ليس دون ذلك شيء... والذراع زهاء نصف متر تقريباً.

مهمة خاصة إلى الكوفة توجب عليه أن يقصد كل كمين فيقع فيه! وأنه قد صرع ضحية للمكر والاحتتيال وغلبة آراء الرجال، ففي كل خطوة خطاها المولى الكريم عليه السلام في الكوفة كان يُفاجئ بنجاح خطة العدو وفشل خطته! نعوذ بالله ونستجير به من التجاسر على أولياء الله وإساءة الأدب معهم، ومجانبة الحق في التعامل معهم، والابتعاد عن حق معرفتهم.

ومن يقرأ المجموعة الكاملة من قصة شراء والدته، وقصة التطير، وقصة معقل والاعتقال إلى قصة وقوعه في الحفيرة يجد ما قلناه واضحاً جلياً، فيأنف عن قبوله، ويأبى عن التصديق به، وتحمله الغيرة والحمية والحفاظ على الدفاع عن المولى الغريب عليه السلام المظلوم حياً وشهيداً منذ أن ولد إلى اليوم.

المشهد الثالث: قاتل حتى الأسر

نصّ جملة من المؤرخين - من قبيل السيّد ابن طاووس وابن عبد ربّه وغيرهم - على مواصلة المولى الغريب عليه السلام للقتال حتّى سقط إلى الأرض بالطعنة الغادرة بعد أن أثنى بالجراحات العظيمة والحجارة والنار والنبال، وبلغ منه العطش مبلغاً، وهم مع ذلك يتحامونه ويهابونه، فتكاثروا عليه وهو في تلك الحال..

وسوف نكتفي هنا بذكر نصّ ابن أعثم ونترك باقي النصوص اعتماداً على ما سنذكره في موادّ البحث، فمن أراد المزيد فليراجع هناك.
قال ابن أعثم:

«فجعل محمّد بن الأشعث يقول: ويحك يا ابن عقيل! لا تقتل نفسك، لك الأمان! ومسلم بن عقيل يقول: لا حاجة إلى

أمان الغدرة، ثم جعل يقاتلهم وهو يقول:
أقسمت لا أقتل إلا حراً..

قال: فناداه محمد بن الأشعث وقال: ويحك يا ابن عقيل! إنك
لا تكذب ولا تغرّ، القوم ليسوا بقاتليك فلا تقتل نفسك.
قال: فلم يلتفت مسلم بن عقيل إلى كلام ابن الأشعث،
وجعل يقاتل حتى أثنى بالجراح وضعف عن القتال، وتكاثروا
عليه، فجعلوا يرمونه بالنبل والحجارة.

فقال مسلم: ويلكم! ما لكم ترموني بالحجارة كما ترمى
الكفار! وأنا من أهل بيت الأنبياء الأبرار، ويلكم! أما ترعون
حق رسول الله صلى الله عليه وآله وذريته.

قال: ثم حمل عليهم على ضعفه، فكسرهم وفرّقهم في الدروب،
ثم رجع وأسند ظهره إلى باب دار هناك، فرجع القوم إليه
فصاح بهم محمد بن الأشعث: ذروه حتى أكلّمه بما يريد.

قال: ثم دنا منه ابن الأشعث حتى وقف قبالة وقال: ويلك! يا
ابن عقيل! لا تقتل نفسك، أنت آمن ودمك في عنقي.

فقال له مسلم: أتظنّ - يا ابن الأشعث - أنني أعطي بيدي
أبداً، وأنا أقدر على القتال! لا والله لا كان ذلك أبداً! ثم حمل
عليه حتى ألحقه بأصحابه.

ثمّ رجع موضعه فوقف وقال: اللهم! إنّ العطش قد بلغ منّي.
قال: فلم يجسر أحد أن يسقيه الماء ولا قرب منه.
فأقبل ابن الأشعث على أصحابه وقال: ويلكم! إنّ هذا هو
العار والفشل أن تجزعوا من رجل واحد هذا الجزع، احملوا
عليه بأجمعكم حملة واحدة.

قال: فحملوا عليه وحمل عليهم، فقصدته من أهل الكوفة رجل
يقال له: "بكير بن حمران الأحمري"، فاختلفا بضربتين، فضربه
بكير ضربة على شفته العليا، وضربه مسلم بن عقيل ضربة
فسقط إلى الأرض قتيلاً.

قال: قطع من ورائه طعنة، فسقط إلى الأرض، فأخذ أسيراً،
ثمّ أخذ فرسه وسلاحه».

* * * * *

يمتاز هذا النصّ وما شابهه من تعابير الآخرين الذين اعتمدوا هذه
الرواية في مصيبة أسر المولى الغريب عليه السلام عن باقي النصوص والإخبارات
الأخرى بميّزات تجعلنا نرجّحه على غيره:

الميزة الأولى: شجاعة المولى عليه السلام

يتضمّن هذا النصّ صوراً من الشجاعة تناسب عظمة المولى

الهاشمي عليه السلام وبطولته، وتقرّب لنا ما نعرفه فيه من الشجاعة والبطولة والفروسيّة والقوّة والتمكّن والاعتدال في ساحة المعركة، من قبيل ما قاله بعد أن ذكر شدّة قتال المولى عليه السلام وعنيف حملاته:

«وجعل يقاتل حتّى أئخن بالجراح وضعف عن القتال، وتكاثروا عليه، فجعلوا يرمونه بالنبل والحجارة.

فقال مسلم: ويلكم! ما لكم ترموني بالحجارة كما ترمى الكفّار! وأنا من أهل بيت الأنبياء الأبرار، ويلكم! أما ترعون حقّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وذريّته.

قال: ثمّ حمل عليهم على ضعفه، فكسرههم وفرّقهم في الدروب»..

ونقله - بعد وصف القتال الشديد، وعطش المولى عليه السلام والجراحات الثقيلة التي أخذت منه مأخذاً - ما صرح به ابن الأشعث من عجز أصحابه والعار والفشل والهزيمة النكراء التي لحقتهم والمجزع الذي ملأ صدورهم:

قال: «ثمّ رجع موضعه فوقف وقال: اللّهمّ! إنّ العطش قد بلغ منّي.

قال: فلم يجسر أحد أن يسقيه الماء ولا قرب منه.

فأقبل ابن الأشعث على أصحابه وقال: ويلكم! إنّ هذا هو

العار والفشل أن تجزعوا من رجل واحد هذا الجزع، احملوا عليه بأجمعكم حملة واحدة»..

وقال بعد أن سقط المولى ﷺ إلى الأرض من أثر الطعنة الغادرة، وأسر المولى الغريب ﷺ، واستسقى القوم:

«فجعل يقول: اسقوني شربة من الماء!

فقال له مسلم بن عمرو الباهلي: والله لا تذوق الماء يا ابن عقيل أو تذوق الموت!

فقال له مسلم بن عقيل: ويلك يا هذا! ما أجفاك وأفظك وأغلظك! أشهد عليك أنك إن كنت من قريش فأنتك ملصق، وإن كنت من غير قريش فأنتك مدع إلى غير أبيك، من أنت يا عدو الله؟

فقال: أنا من عرف الحق إذ أنكرته، ونصح لإمامه إذ غششته، وسمع وأطاع إذ خالفته، أنا مسلم بن عمرو الباهلي! فقال له مسلم بن عقيل: أنت أولى بالخلود والحميم، إذ آثرت طاعة بني سفيان على طاعة الرسول محمد ﷺ.»

الميزة الثانية: إباء المولى

يرسم النص صورة مناسبة من إباء المولى ﷺ ورفضه للأمان

المزعوم.

قال: «فجعل محمد بن الأشعث يقول: ويحك يا ابن عقيل! لا تقتل نفسك، لك الأمان! ومسلم بن عقيل يقول: لا حاجة إلى أمان الغدرة، ثم جعل يقاتلهم وهو يقول:
أقسمت لا أقتل إلا حراً»..

وقال أيضاً:

«فناداه محمد بن الأشعث وقال: ويحك يا ابن عقيل! إنك لا تكذب ولا تغرّ، القوم ليسوا بقاتليك فلا تقتل نفسك.
قال: فلم يلتفت مسلم بن عقيل إلى كلام ابن الأشعث، وجعل يقاتل حتى أُنْحِنَ بالجراح»..

وقال أيضاً:

«قال: ثمّ دنا منه ابن الأشعث حتى وقف قبالة وقال: ويلك!
يا ابن عقيل! لا تقتل نفسك، أنت آمن ودمك في عنقي.
فقال له مسلم: أتظنّ - يا ابن الأشعث - أنّي أعطي بيدي أبداً، وأنا أقدر على القتال! لا والله لا كان ذلك أبداً! ثمّ حمل عليه حتى ألحقه بأصحابه».

الميزة الثالثة: معرفة المولى ﷺ بغدرهم

لا حاجة هنا إلى تكرار النصوص فقد تبين مما ذكرناه في الميزتين السابقتين أن المولى ﷺ تعامل معهم تعاملًا يكشف بوضوح معرفته بهم حق المعرفة، فلم يلتفت إلى أمانه وقال لهم: «لا حاجة إلى أمان الغدرة»، واستمرّ يقاتل تماماً كما لو لم يكن ثمة أمان معروض عليه، مستمداً الحول والطول والقوة من الله ومستنداً إلى سيفه الذي كان يتطاير منه شرر الجحيم الحارق لأولياء الطاغوت، وتنتشر منه شظايا الموت الزؤام الذي يحصد رؤوسهم، ويقلع الأكباد والكلى.

الميزة الرابعة: تكثُر وسائل القتال

يؤكد النص أن الأعداء قد وظّفوا كل وسائل القتال المتاحة يومذاك في معركتهم ضده، وقد قاتلهم المولى ﷺ بالسيف فرداً وتراً دون مدد أو نصير، فيما قاتلوه هم - قاتلهم الله - بالحجارة والنار والنبال وكثرة الرجال والعطش ومنعه عن الماء، والغدرا!

الميزة الخامسة: لا يشير النص إلى قصة الحفيرة

لا نجد في نصوص هذه الطائفة من الأخبار إشارة إلى قصة الحفيرة أو البئر التي سبق إلى نقلها كتاب أبي مخنف المشهور، وهي قصة فيها من العوار ما ذكرناه عند مناقشتنا لها في المشهد الثاني.

الميزة السادسة: مباشرة القتال حتى اللحظة الأخيرة

يؤكد النص أنّ المولى عليه السلام لا يعطي بيده أبداً، غير أنّ الطعنة الغادرة الأخيرة أسقطته على الأرض بعد أن بلغ به العطش والنزف والجراحات، فهو قد بقي يقاتل ولم يكلّ أو يملّ من جري وفري. ولا ندري هل كانت هذه الطعنة من القوّة والقسوة بمكان بحيث أنّه كان سيسقط إلى الأرض لو كانت هذه الطعنة في بداية المعركة قبل أن تعمل الجراحات والعطش في بدنه المقدّس؟

الميزة السابعة: أسر الضرغام العباس

يؤكد النص أنّ المولى عليه السلام قاتل حتى الأسرما دام فيه طاقة على القتال، ويذكر شدة جراحاته وعطشه، وأنّه سقط إلى الأرض بعد الطعنة الغادرة وتكاثرهم عليه، وليس ثمة عيب أو منقصة في ذلك، فطالما كثر الأبطال في الحروب، وأخذتهم الجراحات والنزف، فاعتذر منهم السيف، فعزموا على الرحيل واختاروا المنيّة تحت ظلال السيوف، وكم من بطل تجبّن الرجال عن مواجهته، ويعجز الأقوياء الأشداء عن مصالوته ومقارعته تكاثروا عليه وأسروه.

وقد ترك القتال سيّد الشهداء عليه السلام بعد أن أخذته الجراحات والنزف وحال العطش بينه وبين السماء كالدخان، فنزل على الصعيد، وتوسّد الرمال، فتكاثروا عليه، وهو من لا يشكّ في شجاعته، ولا يشكّ في أنّ

بني آدم كلّهم - إلّا من استثناهم الله - لو اجتمعوا عليه منذ أن خلق الله الأرض ومن عليها وإلى أن تقوم الساعة، لعجزوا عن مقابلته.

رجاء من الخطباء

تبين من خلال المشاهد الثلاثة المذكورة آنفاً أنّ ثمة صوراً لأسر المولى عليه السلام تناسب شجاعته وإبائه ومقامه، وأخرى فيها من المناقشات والثغرات ما يكفي للتوقّف فيها وتورث التردّد وتشير الأسئلة والشكوك حول مواقف أولياء الله، وربما تחדش قداستهم وتحاول ثلم سيوف الحسين عليه السلام.

والمشهد الثالث قد ورد في المصادر المعتمدة عند المؤرّخين والمحقّقين، وهي مصادر تعدّ ثقيلة قدماً واعتباراً، وفيها من المتانة واعتبار المؤلّف ما يسوّغ - بل يرجّح - الاعتماد عليها، وتقديمها على غيرها، فلماذا نصفح عنها ونهجرها إلى المصادر الأخرى؟

ونعود لنقول كما قلنا في كتابنا: «زهير بن القين علويّ خرج يتلقّى الحسين عليه السلام» ما مضمونه بما يناسب المقام:

أنا لو نقلنا رواية ابن أعثم والسيد ابن طاووس وغيرهما، فإننا لا نخجل غداً من المولى الغريب المظلوم سفير الحسين عليه السلام إذا التقيناه يوم اللقاء حتى لو لم يكن هذا المشهد هو الصحيح، فرضاً.

أما إذا روينا خبر مقتل المشهور وقبول الأمان، فلا شك أننا سنخجل إذا ساء لنا المولى عليه السلام وعاتبنا.

وربما يقال: كيف يسمح المؤمن لنفسه أن يروي على منابر الحسين عليه السلام وينسب إلى سيوفه ورجاله ما لا يرضى بنسبته إلى نفسه أو إلى أبيه أو إلى أي فرد آخر يعرف فيه البطولة والشهامة والفروسيّة والشجاعة والإقدام والإباء والحفاظ والنبيل والعزّة والكرامة وطيب المنبت وسموّ المحتد.

ولهذا نتقدّم بكلّ خضوع وأدب واحترام ورجاء، بل بتوسّل وإلحاح إلى الإخوة والآباء المعزّزين المكرّمين من أصحاب الفضيلة والسموّ خدام المنبر الحسينيّ أن يجتنبوا هذه الأخبار ويعرضوا عنها صفحاً، فلا ينقلوها على المنابر، فيشوّشوا الأذهان، وربما تؤدّي أحياناً إلى إساءة الأدب والمخدش بقداسة رجال آل الله وسيوف الرحمن، وفي الروايات الأخرى من الشجى والحزن والمصائب ما يقرح الفؤاد، ويؤرّق المحبّ الغيور، ويستدرّ العبرة، ويسيل الدمع السجوم.

سلبه ﷺ

السلب إنما يكون عادة بعد أن يقتل المقاتل، بيد أن هذه الطغمة الفاسدة المتمردة الوحشية التي لا تلتزم أدباً ولا تعرف شريعة، بدر منها أيام قيام سيّد الشهداء ﷺ ما أذهل البشرية، وأعجز الإنسان الذي يستشعر الفرق بينه وبين الحيوان، وتركه في دوامة يتلمّس فيها ما يفسّر مواقفهم، فهي لا تنسجم مع السلوك البشري ولا السلوك الحيواني في كثير من الأحيان.

فعادة الحروب تقضي بسلب المقاتل بعد قتله، وباحترام الأبطال وإكبار الرجولة والفتوة والفروسيّة فيهم حتّى بعد الأسر، أمّا هؤلاء الأوغاد فقد عجّلوا على المولى الغريب ﷺ فسلبوه حيّاً، يا لله! يا للمصيبة! يا للغربة! يا لغلبة اللئيم!

فرسه عليه السلام

صرّحت المصادر أنّه عليه السلام خرج إليهم فارساً، ثمّ أغفلت الكلام عن
الفرس فيما بعد، إلاّ ابن أعثم، كما سنسمع.

فهل كان الفرس الذي قاتل عليه هو نفسه الذي قدم عليه من
مكة ودخل به الكوفة؟

يبدو أنّه نفسه، لأنّ التاريخ لم يحدّثنا عن شرائه أو اقتنائه - ولو
هدية - أو امتطائه فرساً آخر.

وقد صرح ابن أعثم أنّ القوم قد أخذوا منه الفرس بعد أن سقط
إلى الأرض قال:

«فطعن من ورائه طعنة، فسقط إلى الأرض، فأخذ أسيراً، ثمّ
أخذ فرسه وسلاحه».

وهذا يعني أنّ الفرس ما كلّ ولا ملّ عن الجري، وأنّ المولى عليه السلام قد
استمرّ يقاتل فارساً حتّى سقط إلى الأرض.

أو أنّ الفرس لم يتباعد عن المولى عليه السلام وبقي معه وإن قاتل
المولى عليه السلام راجلاً لضرورات المعركة.

أو أنّه حامى عن المولى عليه السلام كما يحامي الفرس النجيب عن فارسه
إذا سقط، وهذا خلق كريم جعله الله في الفرس الأصيل؟

وكيف كان فقد أفاد التاريخ أنّ القوم - لعنهم الله - أتوا المولى عليه السلام

بيغلة فحملوه عليها، فهو لم يحمل على فرسه.

سيفه عليه السلام

تنقسم الأخبار التي تحدّثت عن استلاب السيف إلى طوائف:

الطائفة الأولى: نزع من عنقه ضمن قصّة الأمان

قال الطبري والشيخ المفيد وغيرهما:

«وأتي بيغلة فحمل عليها، واجتمعوا حوله، وانتزعوا سيفه من عنقه، فكأّنه عند ذلك آيس من نفسه»..

وقال أبو الفرج:

«وأتي بيغلة فحمل عليها، فاجتمعوا عليه، فنزعوا سيفه من عنقه»..

الطائفة الثانية: سلب منه ضمن قصّة الأمان

قال المسعودي:

«وقد سلبه ابن الأشعث حين أعطاه الأمان سيفه وسلاحه، وفي ذلك يقول بعض الشعراء في كلمة يهجو فيها ابن الأشعث:

وتركت عمّك أن تقاتل دونه فشلاً ولولا أنت كان منيعاً

و قتلت وافد آل بيت محمد وسلبت أسيافاً له ودروعا» (١)

قال ابن كثير:

«فأعطاه عبد الرحمن الأمان فأمكنه من يده! وجاءوا ببغلة فأركبوه عليها، وسلبوا عنه سيفه، فلم يبق يملك من نفسه شيئاً»..

وقال ابن نما:

«وكان قد أثنى بالجراح، وكلّ عن القتال، فأعاد محمد بن الأشعث القول، فقال: أنا آمن؟ قال: نعم، فانتزعوا سيفه»..

الطائفة الثالثة: مطلقة

قال ابن أعثم:

«فطعن من ورائه طعنة، فسقط إلى الأرض، فأخذ أسيراً، ثم أخذ فرسه وسلاحه».

الحاصل:

يلاحظ أنّ الطائفة الأولى من الأخبار تصرّح أنّ السيف نزع من عنقه عليه السلام بعد أن قبل الأمان، وقد ناقشنا قصّة الأمان فيما مضى من

البحث، ونضيف هنا:

إنّ قولهم «انتزعوا سيفه من عنقه» يفيد أنّ المولى ﷺ كان قد ترك القتال وتقلّد سيفه في عنقه، وهذا لا يمكن تصوّره بتاتاً حتّى على فرض القول بقبول الأمان، لأنّ المتون التاريخية جميعاً تصرّح أنّ الأمان دفع إليه وهو يحارب، إذ اتّخذ الأعداء وسيلة للنجاة من حمى حملاته وصواعق سيفه، وأنّهم كانوا يستدرجونهم إلى ترك القتال بالأمان، ومهما كان المقاتل قد كلّ وملّ، فإنّه لا زال في حال الحرب، ولا زال يتعامل معهم تعامل الأعداء، فكيف يضع سيفه في عنقه وكأنّه لم يحارب من قبل، أو أنّه استسلم لهم استسلاماً كاملاً وركن إليهم وعبر عن ذلك من خلال تعليق سيفه في عنقه؟

هذا ما لا يصدر من محارب عاديّ فضلاً عن المولى الأبّي والغيور العزيز ومعلّم الحفاظ لأهل الحفاظ.

ومن هنا نعرف ما نسجه الخوارزمي دون إسناد، فقال:

«وفي رواية: إنّ محمّد بن الأشعث لما أعطاه الأمان رمى

بسيفه»..

سالب السيف

قال الطبري والشيخ المفيد وغيرهما:

«وأتي ببغلة فحمل عليها، واجتمعوا حوله، وانتزعوا سيفه من

عنقه»..

وقال الطبرسي:

«واجتمعوا حوله وانتزعوا سيفه»..

وقال المسعودي:

«وقد سلبه ابن الأشعث حين أعطاه الأمان سيفه وسلاحه»..

يفيد نصّ الطبري والطبرسي ومن هذا حذوهما أنّ الأعداء تكاثروا على المولى الغريب عليه السلام، واجتمعوا حوله، فنزعوا سيفه، فكان المباشر للسلب جماعتهم وليس واحداً منهم بعينه.

وأما نصّ المسعودي فإنه ينسب السلب إلى ابن الأشعث، فهو إما أن يكون قد باشر السلب بنفسه، ولا يبعد من مثل هذا الخبيث المتفرّع من منبت الخبيث والندالة والغدر والخيانة، وإما أن يكون المباشر للسلب جماعتهم، وقد نسب إليه باعتباره القائد الميداني، والأمر والناهي، والمستفيد الذي دفع إليه السيف.

عمامته عليه السلام

قال ابن أعثم:

«وتقدّم رجل من بني سليمان يقال له: "عبيد الله بن العبّاس"

فأخذ عمامته»..

وقال الخوارزمي:

«وتقدّم رجل من بني سليم يقال له: عبيدالله بن العباس

فأخذ عمامته»..

انظر في تاريخ آل أبي طالب ﷺ هل تجد فيه سوى النبل والسموّ
والرفعة ومحامد الأخلاق ومعاليها والترفع عن كلّ دنية، فكم من صنديد
تهابه الجبال يصرع بأيديهم ويجندل بسيوفهم ويهوي إلى الأرض يخور
بدمه، فيتركونه ويترفعون عن أخذ سلبه، وهو حقّهم بموازين تلك
الأيام.

وانظر إلى خسة هؤلاء ونذالتهم وحقارتهم ولؤمهم واجتماع
المساوئ والرزائل والأخلاق الهابطة التي تأنف عنها البهائم والوحوش..
لك الله يا غريب كوفان، ورائد ركب الشهادة والفتح، والمسارع إلى
جنّات عدن والرضوان، وكلّ ما جرى لك يا سيدي المظلوم الهمام فإنّه
بعين الله وبعين النبي وآله الكرام ﷺ، لقد بكى لك النبي وجرت
دموعه وجعل البكاء عليك علامة الإيمان.. وبكى لك سيّد الشهداء
وسالت الدموع في معسكره عليك كلّ مسيل، وكأني بك سيدي وأنت
تقول ما قاله سيّد شباب أهل الجنان ﷺ:

«هَوْنٌ ما نزل بي أنّه بعينك!».

رسالة المولى للحسين عليه السلام

بعد أن قاتل المولى الغريب عليه السلام قتالاً شديداً وقتل من أعداء الله ورسوله صلى الله عليه وآله مقتلة عظيمة، وأُثنى بالجراح، وأُثريه العطش، وطعن فسقط إلى الأرض فتكاثروا عليه، وجرى عليه ما جرى، أقبل على محمد ابن الأشعث فقال:

«... تستطيع أن تبعث رجلاً على لساني يُبلغ حسيناً عني رسالة؟ فإنني لا أراه إلا قد خرج إليكم اليوم أو غداً هو وأهل بيته، وإن ما تراه من جزعي لذلك، فتقول له: إن ابن عقيل بعثني إليك وهو في أيدي القوم أسير لا يدري أيصبح أم يمسي. حتى يقتل، وهو يقول لك: ارجع بأهلك، فإن أهل الكوفة أصحاب أبيك الذي كان يتمنى فراقهم بالموت أو القتل، إن

أهل الكوفة قد كذبوك وكذبوني وليس لمكذوب ^(١) رأي.

فقال ابن الأشعث: والله لأفعلنّ ...

قال أبو مخنف: فدعا محمد بن الأشعث إياس بن العباس الطائي من بني مالك بن ثمامة - وكان شاعراً - فقال له: اذهب فالتق حسينا فأبلغه هذا الكتاب - وكتب فيه الذي أمره به ابن عقيل - ثم أعطاه راحلة وتكفل له بالقيام بأهله وداره.

فخرج حتى لقي الحسين بربالة، لأربع ليال من الكوفة، فأخبره الخبر وأبلغه الرسالة، فقال الحسين: كل ما قدر نازل، عند الله نحتسب أنفسنا وفساد أمتنا» ^(٢) ...

* * * * *

يمكن الاستفادة مما فعله المولى الثقة المعتمد والعالم العارف مسلم ابن عقيل عليه السلام عدّة فوائد:

الفائدة الأولى: انجاز المهمة

تبين لنا من خلال البحث في مهمة مسلم بن عقيل عليه السلام ^(٣) أن

(١) في عبارة الطبرسي وغيره: «لكذوب».

(٢) الإرشاد: ٢ / ٥٩، تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧٤، البداية والنهاية: ٨ / ١٥٨،

تجارب الأمم: ٢ / ٥٣، الكامل: ٤ / ٣٣، مقاتل الطالبين: ١٠٧، اعلام

الورى: ١ / ٤٤٣، نفس المهموم للقمي: ١١٣..

(٣) انظر: «مسلم بن عقيل عليه السلام ثائر أم سفير».

البطل الهاشمي «مسلماً عليه السلام» وكبير آل عقيل لم تكن «مهمته الأساسية هي الثورة بأهل الكوفة ضد السلطة المحلية الأموية فيها والتمهيد للقضاء على الحكم الأموي كله»^(١).

ولم يكن مكلفاً بذلك من قبل سيد الشهداء عليه السلام بإجماع المؤرخين وما وصل إلينا من نصوص أتينا على ذكرها مفصلاً فيما مضى من دراسات.

ولم يكن للمولى الغريب مسلم عليه السلام في الكوفة ثورة حتى يعبر عنها أنها فشلت كما عبر بعض الكتاب والمحققين المتأخرين.

بقي أن نعرف على ضوء ما انكشف لنا من حدود مهمته عليه السلام مدى دقة العالم الفقيه الأمين وثقة سيد شباب أهل الجنة مسلم بن عقيل عليه السلام في أداء مهمته وتنفيذ ما شرفه به ربحانة النبي صلى الله عليه وآله من تكاليف ومسؤوليات.

فبعد أن عرفنا بالتحديد مهمة مسلم بن عقيل عليه السلام في الكوفة عرفنا أنه قد أدى مهمته ووفى، وقام بما أنيط به أحسن قيام، ولم يهن ولم ينكل، وإنما مضى على بصيرة من أمره مقتدياً بالصالحين. وقد تبين لنا في دراستنا السابقة أن مهمته عليه السلام كانت تتلخص في:

(١) مع الركب الحسيني: ٢ / ٤٥.

أولاً: أخذ البيعة، وقد قام المولى عليه السلام بذلك أحسن قيام، فأخذ البيعة من تلك الأعداد الكبيرة من الناس.

ثانياً: تقييم الوضع والنظر في حال الناس وما هم عليه من المواقف المالية للإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام حسب ما يظهره الناس من التودّد والاستعداد، لا حسب واقع الأمور، لأنه والإمام كانا يعرفان تماماً بما ستؤول إليه عاقبة المنكوسين.

وقد أتمّ ذلك ووفى وقام به أحسن قيام حيث نقل الصورة التي شاهدها بعينه، وصوّر الحالة التي عاشها بنفسه، ورسم ما لمسه فيهم من الهيجان والغليان والاستعداد لنصرة سيّد الشهداء عليه السلام، وكتب بذلك إلى الإمام الحسين عليه السلام بعبارات واضحة صريحة دقيقة مختصرة.

وحينما خذله الناس وخذلوا إمامهم ونكثوا بيعتهم وضيّعوا حظّهم كتب الرائد مسلم بن عقيل عليه السلام الثقة الأمين بذلك إلى سيّد الشهداء عليه السلام، وأوصل خبره من خلال الرسل أو الكتب التي كتبها وغير ذلك.

فقد كتب إليه عن طريق عبد الله بن يقطر^(١)، وعمر بن سعد^(٢).

(١) انظر: مع الركب الحسيني: ٣ / ٩٠ عن إبصار العين: ٩٤.

(٢) انظر: أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٨١، البداية والنهاية لابن كثير: ٨ /

وكان الإبلاغ الثالث عن طريق ابن الأشعث (١).

الفائدة الثانية: إقامة الحجّة

لم يكن أمر المولى ﷺ لابن الأشعث سرّياً، ولم يحدّثه بما أراد خفية أو بعيداً عن الطغام الذين احتوشوه وتكاثروا عليه، وكان ابن الأشعث نفسه من المقرّبين عند المجرو الأمويّ، ومن أدواته وأعوانه والكلاب التي تلهث في ديوانه، وقد أعلنها المولى ﷺ صريحة واضحة بألفاظ متينة، ومعاني جزلة رصينة، يفهما كل من سمعها.

وكان بفعله ذاك قد أقام الحجّة عليهم، وأبان المحجّة لهم، وعرض عليهم غدرهم وخيانتهم وخذلانهم للحقّ، وأراهم ما هم عليه من سوء العاقبة، وغبّ المواقف الجانحة، وأتهم قوم متذبذبون كاذبون متقلّبون، دينهم الدنيا وأئمّتهم أربابها.

وبخطابه هذا لسيد الشهداء ﷺ قد أتمّ عليهم الحجّة، ووعظهم بأبلغ الموعظة، ولكّتهم قد استحوز عليهم الشيطان، فأعماهم وأصمّهم

١٥٧، الكامل في التاريخ لابن الأثير: ٤ / ٣٤، مقاتل الطالبين لأبي الفرج:

١٠٨، الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ٢ / ١٠، تاريخ الطبري: ٤ / ٢٨٢، روضة

الواعظين للفتال: ١٧، الإرشاد للمفيد: ٢ / ٦١، مثير الأحزان: ٢٥ ...

(١) انظر للمزيد: «مسلم بن عقيل ﷺ ثائر أم سفير».

وأَمَات قُلُوبَهُمْ، ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الصَّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾.

الفائدة الثالثة: أبان لهم المحجة

لقد عرّفهم المولى عليه السلام بخطابه لسيد الشهداء عليه السلام بحقيقة أمرهم وأخبرهم عن دخائل أنفسهم ومعاهد ذواتهم التي عقدت على الخيانة والغدر كما فعلوا بأمر المؤمنين وابنه الحسن الأمين عليه السلام من قبل، وأتهم لن يجانبوا مقارفة الأخلاق الذميمة وارتكاب الدنية في دينهم ودنياهم، فعلمهم من خلال ما رفعه لسيد الشهداء عليه السلام وطلب الرجوع منه، بناءً على ما أمره به الإمام نفسه عليه السلام، إذ أمره أن يرى ما عليه الناس فيخبره بالإقدام أو بغيره، كما ورد في نصوص تكليفه بالمهمة.

وكأنه عليه السلام يريد أن يقول لهم: إنكم عاجزون عن نصر الحق والوقوف في صف أولياء الرحمن، فلا تركنوا إلى الذين ظلموا وتمنعوا الإمام عليه السلام وتكونوا ضمن جند السقيفة الذين يدعوه إلى ما يدعوه إليه أربابها، ويقترحون عليه النزول على حكم أولاد الأعداء، فإن سيد الشهداء عليه السلام قال لهم مرة بعد أخرى، لإتمام الحجة عليهم:

«دعوني» (١) ..

فأبوا إلا أن ينزل على حكم أربابهم، والحسين سيّد الكائنات يومها
والإمام المفترض الطاعة على الخلق أجمعين!

فكان المولى الغريب عليه السلام يقول لهم: «لا تقتلوا حسيناً فيسحتكم
عذاب أليم»، إذا قال لكم: دعوني، دعوه، ولا تكونوا خاذلين قاتلين،
فإني أخبرته بكم وبغدركم، وأنتم تعرفون أنفسكم وما انطوت عليه
قلوبكم من الغدر والخيانة، فاعملوا على خلاصكم من التورط في
حربه ولا تقتلوه..

الفائدة الرابعة: همّة الإمام الحسين عليه السلام

طبيعة البشر العاديّ إذا داهمه الموت وأنشبت فيه المنيّة أظفارها
أن يوصي بما أهمّه، وهو في تلك اللحظة إنّما يهتمّ بنفسه وبأهله عادة،
فيوصي بصغاره الذين يصبحون يتامى بعد فقده، ويوصي بزوجه التي
تصبح أرملة بعد موته، ويوصي بولده، وهكذا يوصي بما يجعله يفارق

(١) انظر: البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٧٩، الكامل في التاريخ لابن الأثير: ٤ /

٦٢، المنتظم لابن الجوزي: ٥ / ٣٣٦، الإرشاد للمفيد: ٢ / ٨٥، روضة

الواعظين: ١ / ١٨١، المناقب لابن شهر آشوب، ط قديم: ٤ / ٩٧، بحار الأنوار:

هذه الحياة مطمئن البال مرتاح الضمير وادع النفس.

وقبل ذاك ينشغل بنفسه، ويستعد لما سيواجهه من خوض غمرات المنون.

بيد أنّ مولانا الغريب عليه السلام رأى كلّ ما يهّمه في شخص سيّده عليه السلام، لم يهتمّ بأهل ولا ولد ولا دنيا ولا نفس، لم يفكر إلّا بإمامه الحسين عليه السلام، وكلّ ما داخله من جزع إنّما كان له لا غير، وقد قال مخاطباً ابن الأشعث:

«فإني لا أراه إلّا قد خرج إليكم اليوم أو غداً هو وأهل بيته، وإنّ ما تراه من جزعي لذلك»..

وقوله لابن عباس السلمي:

«إني والله ما لنفسني أبكي، ولا لها من القتل أرثي.. ولكن أبكي لأهلي المقبلين إليّ، أبكي لحسين وآل حسين!»^(١).

الفائدة الخامسة: السكينة والوقار

تكاثر القوم على المولى الغريب عليه السلام فكثروه بالعدّة والعدد، وهو قد

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧٣ وما بعدها، البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥٨،

مقاتل الطالبين لأبي الفرج: ١٠٦، الإرشاد للمفيد: ٢ / ٥٧، روضة الواعظين

للفتال: ١٥٠، نفس المهموم للقمي: ١١٣.

جالدهم وأذاقهم الموت الأحمر، وأطعمهم المنية عنوة بسيفه ..
ترك المولى ﷺ القتال بعد أن أثخن بالجراح وكظله الظماً وأردته
الطعنة الغادرة، وترك معها ساحة الوغى وقد تناثرت فيها أشلائهم
وغطتها جيفهم، فكان الميدان أرض معركة، ونجيع دماء، وأشلاء، وخيل
ورجال وأعداء .. وطير المنية يرفرف على رأس المولى ﷺ، وقد دلعت
الكلاب ألسنتها لتلغ في دمه الزاكي، وحاصرته الوحوش الكاسرة
مكشّرة عن أنياب الحقد والضغينة والغدر والخيانة، وهو في مثل هذا
الجوّ الذي يهزّ الرجال ويرعب الأبطال ويخيف بما شحّن من أهوال ..
تراه يفيض سكينه ووقاراً، ويسيطر على أغلاظهم وأفصّهم وأكثرهم تمرّداً
على الحقّ وعداوة للإيمان، ويفرض عليهم هدوءه ووداعته واطمئنانه
ورويته، ويخرجهم من جوّ القتال إلى التفكير بعواقب الأمور، وفعل ما
يؤمن المستقبل، ويجعلهم رغماً عنهم في جوّ القيام الحسيني، وما يجب
عليهم أن يفعلوه تجاه مولاهم سيّد الشهداء ﷺ.

الفائدة السادسة: عدم الاكتراث بالعدوّ

لقد تحدّثنا عن قوّة المولى الغريب ﷺ وثباته وعدم اكتراثه
بالأعداء، فهو لم يكثر بسيدهم الجرو الأمويّ القابع في قصر الخبال
وأركان جنده ورؤساء عسكره، فكيف بأفراد عسكره النكرات، ولا نحتاج
لإعادة الكلام هنا، سوى التذكير، إذ أنّ العدد الذي كثر المولى ﷺ لم

يحرّك فيه ساكناً، ولم يستوحش من طريق الحق الذي سلكه لخلّوه من السالكين معه، ولم يهتمّ به أبداً، ولم يشغله عن همّه الأكبر، وهو مولاه ومولى الثقلين أبو عبد الله الحسين عليه السلام.

الفائدة السابعة: عدم المبالاة بالموت

هنا أيضاً نقول ما قلناه قبل قليل في الفائدة السابقة، حيث أننا ذكرنا هذه الخصلة الحميدة من خصال المولى الغريب عليه السلام في أكثر من موضع، فهو لم يبال بالموت، ولم يرهّب المنيّة وهو يتقدّم إليها ويتمناها في سبيل الله القائم في ذلك اليوم بالإمام الحسين عليه السلام، فالموت عنده في سيّد الشهداء الحسين عليه السلام أحلى من العسل.

وقد سمعناه عليه السلام يحدّث نفسه للخروج إلى الموت الذي لا بدّ منه، ولا يجزع إلا لإمامه القادم على هؤلاء الغدرة المنكوسين، وكيف يجزع وهو قادم إلى الشهادة الموعودة ومنتظر لها، فهو لم يفكر في الموت أبداً ما دام سيّد شباب أهل الجنة في خطر.

وقد قال مخاطباً ابن عباس السلمي:

«إني والله ما لنفسى أبكي، ولا لها من القتل أرثي، وإن كنت لم أحبّ لها طرفة عين تلفاً، ولكن أبكي لأهلي المقبلين إليّ،

أبكي لحسين وآل حسين!»^(١).

وما قد ورد على لسانه في تاريخ الطبري وغيره: «وإن كنت لم أحب لها طرفة عين تلفاً»، فهو لا دلالة فيه على حب السلامة أو تمتي الحياة كيف كان، وإنما هي الرفعة والإباء والأنفة لئلا يظن العدو به ضعفاً أو استسلاماً.

هذا، لو لم تكن هذه العبارة بالذات من زيادات المؤرخ، ويشهد لذلك نصّ الخوارزمي^(٢) وابن الجوزي^(٣) وابن الأثير^(٤) والنويري^(٥) الذي لم يرو هذه الزيادة.

الفائدة الثامنة: بكاء المولى الغريب مسلم على الحسين وآله عليه السلام

قال الطبري:

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧٣ وما بعدها، البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥٨، مقاتل الطالبين لأبي الفرج: ١٠٦، الإرشاد للمفيد: ٢ / ٥٧، روضة الواعظين للفتال: ١٥٠، نفس المهموم للقمي: ١١٣.

(٢) انظر: مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ٢٠٨ وما بعدها.

(٣) انظر: المنتظم لابن الجوزي: ٥ / ٣٢٦.

(٤) انظر: الكامل في التاريخ لابن الأثير: ٤ / ٣٢.

(٥) انظر: نهاية الإرب: ٢٠ / ٤٠٠.

«قال مسلم عليه السلام: .. إنا لله وإنا إليه راجعون! وبكى.

فقال له عمرو بن عبيد الله بن عباس: إنَّ من يطلب مثل الذي تطلب إذا نزل به مثل الذي نزل بك لم يبك.

قال: إني والله ما لنفسي أبكي، ولأها من القتل أرثي، وإن كنت لم أحب لها طرفة عين تلفاً، ولكن أبكي لأهلي المقبلين إليّ، أبكي لحسين وآل حسين!» (١).

وقال الخوارزمي ينقل قول المولى الغريب عليه السلام:

«.. إنا لله وإنا إليه راجعون، وبكى.

فقال عبيدالله بن العباس السلمي: من يطلب مثل الذي طلبت لا يبكي.

فقال: إني والله، ما على نفسي أبكي، لكنتي أبكي على أهلي المقبلين إليكم، أبكي على الحسين وآل الحسين» (٢).

وقال ابن الجوزي:

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧٣ وما بعدها، البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥٨،

مقاتل الطالبين لأبي الفرج: ١٠٦، الإرشاد للمفيد: ٢ / ٥٧، روضة الواعظين

للفنّال: ١٥٠، نفس المهموم للقمي: ١١٣.

(٢) مقتل الحسين للخوارزمي: ١ / ٢٠٨ وما بعدها.

«.. وبكى، ف قيل له: من يطلب مثل هذا الذي تطلب إذا نزل به مثل هذا لم يبك. فقال: والله ما أبكي على نفسي، بل على حسين وآل حسين» (١).

وقال ابن الأثير:

«ثم بكى، فقال له عمرو بن عبيد الله بن عباس السلمي: من يطلب مثل الذي تطلب إذا نزل به مثل الذي نزل بك لم يبك! فقال: ما أبكي لنفسي، ولكني أبكي لأهلي المنقلبين إليكم، أبكي للحسين وآل الحسين» (٢).

بكى رسول الله ﷺ للحسين ﷺ قبل شهادته، وبكى أمير المؤمنين للحسين ﷺ، وبكت فاطمة سيّدة نساء العالمين للحسين ﷺ، وبكى الحسن المجتبي للحسين ﷺ، وبكى جبرئيل للحسين ﷺ، وبكت الملائكة للحسين ﷺ، وبكى مسلم بن عقيل ﷺ..

الفائدة التاسعة: الاسترجاع

استرجع المولى الغريب ﷺ ثم بكى، والاسترجاع علامة وقوع المصيبة، وقد استرجع الرائد مسلم ﷺ ليؤكد أن مصيبة سيّد

(١) المنتظم لابن الجوزي: ٥ / ٣٢٦.

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ٤ / ٣٢.

الشهداء عليه السلام قد بدأت وقد وقعت، والعلم بالشيء غير وقوعه..

لا نشك أن المولى الغريب عليه السلام كان يعلم علماً قطعاً جزماً يقيناً
بشهادة سيد الشهداء وأنصاره عليهم السلام، بيد أن العلم بالشيء غير وقوعه.

روى العياشي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال:

«إن الله - تبارك وتعالى - لما أخبر موسى أن قومه اتخذوا عجلاً
له خوار، فلم يقع منه موقع العيان، فلما رآهم اشتد غضبه
فألقي الألواح من يده، فقال أبو عبد الله عليه السلام: وللرؤية فضل
على الخبر» (١).

فهو قد أخبر عن طريق الصادقين محمد وآله - صلى الله عليهم
أجمعين -، وهو يعلم أن شهادته في الكوفة علامة على وقوع المصيبة
العظمى، وأول شروعه وبدايتها، فاسترجع بأبي هو وأمي، إذ رأى
الإخبارات تتحقق، وعاین المصيبة تنتظم في سلك الأيام المقبلة..

الفائدة العاشرة: كلام السلمي

لقد أعلن المولى الغريب عليه السلام في أكثر من عبارة أن بكاءه وجزعه لم
يكن لنفسه، وإنما كان للحسين وآل الحسين عليه السلام، وفيما قاله المولى
كفاية.

(١) تفسير العياشي: ٢ / ٢٩.

بيد أن كلام السلمي دليل واضح على أن بكاءه لم يكن لنفسه، إذ قرر السلمي من خلال كلامه مع المولى عليه السلام أن أي فرد يكون في المقام الذي صار إليه المولى الغريب عليه السلام لم يبك إذا نزل به ما نزل بالمولى عليه السلام. قال السلمي مخاطباً المولى مسلم عليه السلام:

«إن من يطلب مثل الذي تطلب إذا نزل به مثل الذي نزل بك لم يبك»..

فهي كأنها قاعدة مطردة في الأشخاص تقتضيها طبيعة الموقف، فإن الرجل إذا بلغ منزلة يطلب فيها ما كان يطلبه المولى الغريب عليه السلام يكون من القوة والمتانة والثبات والرجولة والشهامة وتحسب النتائج ومعرفتها وتوقعها والاستعداد لقبولها بحيث يستقبلها راضياً ويقبلها مطمئناً، هذا في الفرد العادي، فكيف في مثل البطل الهاشمي والفارس الطالب مسلم ابن عقيل عليه السلام؟!

فلا يمكن - والحال هذه - تصوّر أن يكون بكاء المولى الغريب عليه السلام لنفسه بتاتاً، ولهذا استغرب السلمي وسأله عن سبب بكائه، فأجابه المولى عليه السلام إنه إنما يبكي للحسين وآل الحسين عليه السلام، ولا يبكي لنفسه.

الفائدة الحادية عشرة: حبّ المولى الغريب مسلم لسيدّهِ الحسين عليه السلام

من ممّا يمكن أن يدرك مدى حبّ المولى الغريب مسلم لأخيه سيّد

شباب أهل الجنة الحسين عليه السلام؟

مَن يستوعب معنى الدموع السائلات من عيني خامس أصحاب الكساء على أخيه الغريب مسلم عليه السلام، والدموع السائلات من عيني المولى مسلم على أخيه سيّد الشهداء عليه السلام وهو يساق إلى الموت؟ أيّ حبّ هذا الذي يتفجّر دموعاً، ويذيب قلبه فيجريه من مآقيه، وهو في ساعة العسرة؟

في مثل تلك الساعة الرهيبة التي أرعبت الأعداء، ولا زالت تهرّز الأعماق، وترتجف لها القلوب إلى اليوم يقف المولى الغريب عليه السلام لا يأبه بالموت، ولا يحسب للمنيّة، ولا يكثرث بالأعداء، ولا يلتفت لنفسه.. يبيكي للمصيبة العظمى، ويغتمّ لحبيبه سيّد الشهداء عليه السلام..

اللهم بدموع الحبيبين على بعضهما وغربتهما ارزقنا البكاء عليهما ورؤيتهما وشفاعتهم ورضاهما وزيارتهم والدرجة الرفيعة والمنزلة العظيمة عندهما، وزد في حبنا لهما والبراءة من أعدائهما، آمين رب العالمين.

رجزه عليه السلام

لقد برز الفارس الطالبيّ والبطل الهاشميّ كليث يزأر في الميدان، يزجر
على الأعداء، وينقضّ عليهم كالصقرا إذا جلى ليختطف فريسته، فهو
بركان علويّ حسينيّ عقيليّ تفجّر على الطغام الفجرة والحقراء الأراذل
السفلة..

اندفع يقاتل، وقد ودّع سيّد الكونين في مكّة بعد أن ضرب له أجلاً
وحدّ له موعداً وقال له:

«وسيقضي الله من أمرك ما يحبّ ويرضى، وأنا أرجو أن أكون
أنا وأنت في درجة الشهداء» (١).

وربما رأى المولى الغريب عليه السلام ملاً العين - وفق الإخبارات النبوية والعلوية والحسنية والحسينية، التي سمعها ووعاها - كل ما سيجري في كربلاء بكل تفاصيلها، فهو يرى مرة بعد أخرى صوراً تترى ومشاهد تتحقق بعد أيام لم تكن طويلة.. يرى الأئصار وأهل البيت يتهاوون على الصعيد صرعى..

كأنني به يرى المخيم الذي تفرقت أشلاء رجاله، وتناثرت على الصعيد، وترملت وجوههم «كأنها الأقمار تسبح في غدير دماء».. يرى غربة سيد الشهداء عليه السلام وباقي النجوم الزواهر من بني عبد المطلب.. ويستشعر بكبده الحزى العطش الذي سيكظمهم جميعاً.. والظماً الذي سيفت أحشاءهم..

يسمع صرخات النساء الثواكل.. وأنين الأطفال الذين شحبت وجوههم، وذبلت شفاههم من العطش، وهم لا يكادون يرفعون أصواتهم المبحوحة.. يريدون أن يصرخوا ليصحروا عن الشفار التي تمزق أكبادهم ونيران الظماً والسغب التي تشعل صدورهم وأحشاءهم.. غير أنهم يجدون أصواتهم تتحشرج بين التراقي، وقد جفت حناجرهم من غربة الحرب والبيداء.. ورمال الصحراء والرمضاء..

انطلق نحو القوم وهو يرى سرادق العزالي ستخيم على الفواطم والمذايع من النساء والأطفال..

تقدّم للنزال كأنه في كربلاء، يقاتل بين يدي سيّد الشهداء ﷺ،
ويقتل قتلة أصحابه وإخوته وذويه.. تقدّم ليأخذ الثار منهم، لأنه يعلم
علم اليقين، وهو يرى ما سيقع بعد أيام لم تكن بعيدة، إذ سيهجم العدو
على الخيام، ويسلب أهله وحرمه، ويسوق بنات أمير المؤمنين وعياله
وزوجته ﷺ سبايا على أعجاف المطايا يتنقلون بهنّ بين أهل المناقل
والمناهل، يتصفّح وجوههنّ القريب والبعيد والشريف والدنيّ..

كأنّي به يقاتل وهو ينظر إلى ابنته «عاتكة» تسحقها حوافر الخيل،
وتطحن جناحها وأضلاعها الرقيقة سنايك الأعوجيّة، ويسمعها وهي
تئنّ وتتضوّر وتستغيث فلا تغاث..

فراح ينثر الموت عليهم نثراً.. ويذيقهم المنيّة نكالاً مرّاً..
برز مشمراً.. مستعدّاً لمقارعة الأعداء، وتطهير الأرض من الذوات
القدرة النكراء.. استنفّر ملك الموت وأعوانه.. وجعلهم يحومون
ويطوفون على شفرة سيفه.. استجاش الحماس عند مالك وزبانيته
ليرسل إلى جهنّم خطباً وحصباً، فازدحمت الأرواح الخبيثة على أبواب
جهنّم لا تدري من أين يأتيها الموت وتأخذها ملائكة العذاب.. نفيري في
الكوفة يتبعه نفيري في جهنّم!

إنّاه مسلم بن عقيل ﷺ يحصدهم حصداً، ويقضم بسيفه أنوف
الجبابة قضمًا.. يسحق بحافر فرسه أصنام الشرك.. ويدمدم على

الظالمين الأوغاد، ويزمجريزأر على دمي القروء المعلّقة بأعواد الشجرة الملعونة، وقد ترك الجرو الأمويّ ملتصقاً بجدران القصر عريداً رعيشاً يقرض ذيله من شدّة الهول والفرع..

رفع صوته إيلاً وشدّ بيده على مقبض مهنّده.. وهو يرتجز فيهم، فيخلع قلوبهم بصوته ورجزه.. ويزلزل الأرض تحت أقدامهم.. ويقلب الأرض عليهم ويطبق السماء عليها فما لها من فروج، وليس لهم من مفرّ، ولات حين مناص من ورود حياض المنية المرة المصبرة التي ساقهم إليها المولى الغريب كالأغنام، أو الفرار حيث يأمن من يدعي الشجاعة منهم من سطوات حملته..

زأر الليث الطالبيّ والشبل العقيليّ فيهم وهو يقول:
«أقسمت لا أقتل إلا حُرّاً إنّي رأيت الموت شيئاً نكراً»

إنّنا نستمع الآن إلى فرع من العترة النبوية التي آتاها الله ما لم يؤت أحداً من العالمين.. إنّه مسلم بن عقيل عليه السلام العالم، وهو يعني ما يقول.. ويطرّز رجزه بكلمات لها وقعها وجرسها وإيقاعها الحربيّ، وإنذارها القتاليّ وعمقها العلميّ..

رجز امتاز بألفاظ سهلة، ومعاني جزلة، وصور بعيدة الغور، متعدّدة المشاهد.. تتدافع فيها الكلمات لترسم المعاني الصاعقة التي تصدم قلوب الأعداء فتمزّق شغافها لتفرّ من الصدور...

فجدير بنا أن نقف لنصغي إلى هذا الرجز المعبر، والكلمات المؤثرة، ونستكشف ما فيها من روعة الجمال والحماس والألفاظ الفخمة، والمعاني الضخمة، والعلوم الجمّة..

وسنعمل ذلك ضمن لوحات نستطلعها ونستجلي ألوانها لعنا نستطيع الاقتراب من اللوحة التي أراد البطل العقيلي أن يرسمها من خلال رجزه الذي أطلقه ناراً حامية على آذان الأعداء..

ولكن قبل أن نرسم اللوحات لأبد من إعداد بعض الأدوات التي تعيننا على تصوير معاني الرجز، أو تنوّه إلى بعض الملاحظات والحقائق:

الأداة الأولى: وحدته وغربته

«اللهم إنّك أنس الآنسين لأوليائك، وأحضرهم بالكفاية للمتوكلين عليك، تشاهدهم في سرائرهم، وتطلع عليهم في ضمائرهم، وتعلم مبلغ بصائرهم، فأسرارهم لك مكشوفة، وقلوبهم إليك ملهوفة، إن أوحشتهم الغربة أنسهم ذكرك، وإن صبّت عليهم المصائب لجؤوا إلى الاستجارة بك، علماً بأنّ أزمّة الأمور بيدك، ومصادرها عن قضائك» (١) ...

قد يعيش المرء غربة في بلد لا يعرفهم ولا يعرفونه.. فهو غريب..

مستوحش لا يطمئن إلى أحد، ولا يستريح إلى ناس، يتوجّس من كلّ حركة، ويقلق من كلّ شاردة وواردة، ويحسب لكلّ شيء حساباً..

أمّا أن يقف رجل عظيم، وفارس همام، شامخ الرأس، شجاع قويّ أيد بين وحوش كاسرة تطبق عليه الحصار، وتحوطه كالحلقة، وتقرع طبول الحرب قرعاً عنيفاً، وتدلع ألسنتها لاهثة بانتظار اللحظة التي يسقط فيها الطود إلى الأرض، لأنها تعجز عن الدنوّ منه، وقد جلبت خيلها ورجلها، وتجهّزت بأنواع الأسلحة، وافترقت عليه فرقاً، وأهبت الأرض والسماء عليه ناراً ترميه كالشرر بأطراف القصب، ونار القصب شديدة، وجمره لا يخمد إذا اتّقد، وتمطر السماء عليه حجارة ونبلاً، وتزرع الفضاء عليه سيوفاً وأسنة ورماحاً، وتمزّق الأجواء بالزعقات والصرخات الطائشة المجنونة..

وهو يعلم أنّهم يعرفونه! يعرفون أنّه عترة النبي صلّى الله عليه وآله، ورسول سيّد شباب أهل الجنّة عليه السلام، وسليل إبراهيم الخليل عليه السلام، هو عزّهم وفخرهم.. غريب يعرف القوم ويعرفونه.. غريب يقاتل وحده بعيداً عن الأهل والوطن، وهم في عقرديارهم وبين أهليهم وضياعهم..

إنّه المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام غريب لا كباقي الغرباء..

لك الله يا غريب كوفان (١) ..

الأداة الثانية: الإنسان والموت

شاء الله أن يقهر عباده بالموت والفناء، ويجعل عمر الإنسان في هذه الدنيا محدوداً قصيراً ﴿أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾، وأيامه متصرمة في هذا العالم الفاني المتسرع إلى الاضمحلال والزوال، وجعل الله في أعماق هذا الإنسان الذي يعيش ضعفاً على وجه الأرض ريثما ينتقل إلى العالم الآخر حب الحياة ورغبة البقاء هنا، فزوده بالأمل، فحاجاته لا تنتهي، ورغباته لا تنقضي، وآماله لا يحدها سوى التراب الذي سيحشى عليه، ويحشوفه وعينيه ..

فالإنسان العادي يريد البقاء في هذه الدنيا، فيعمل لها دهره، ولا يفتر في ليل ولا نهار، ولكن الله كتب عليه الموت، وفرض عليه الجلاء

(١) في المحاسن للبرقي: ٢ / ٣٧٠: عن أبي عبد الله ﷺ قال: «إِنَّ الْغَرِيبَ إِذَا حضره الموت التفت يمنة ويسرة فلم ير أحداً رفع رأسه، فيقول الله - عز وجل -: إلى من تلتفت؟! إلى من هو خير لك مني؟! وعزتي وجلالي، لئن أطلقت عقدتك لأصيرتك إلى طاعتي، ولئن قبضتك لأصيرتك إلى كرامتي». وعن أبي عبد الله ﷺ قال: «ما من مؤمن يموت في أرض غربة يغيب عنه فيها بواكيه إلا بكته بقاع الأرض التي كان يعبد الله عليها وبكته أبوابها وبكته أبواب السماء التي كان يصعد فيها عمله وبكى الملكان الموكلان به».

والفناء.. فهو يموت إذ يموت وفي نفسه حاجات ومآرب تتعلّق بالحياة الدنيا، ووشائج وعواطف تشدّه إليها من القلق على الأهل والأولاد والأزواج والذريّة والمشاريع التي راح ينشئها بطول الأمل الذي يحدوه مدّة عمره منذ الطفولة حتّى اللحظة الأخيرة التي يتركها جميعاً لينزل إلى بيت الغربة والديدان..

ويعيش الإنسان في هذه الدنيا ليشهد معركة التوحيد والشرك، والهدى والضلال، والخير والشرّ، والفضيلة والرذيلة.. يراها بعينه ويشترك فيها بمواقفه وكوامنه، وينشدّ إليها بعواطفه وأفكاره ومعتقداته، فتملأ قلبه وعقله وأحاسيسه ومتبنياته ومركزاته، ويتمنّى أن يشهدها ماثلة قائمة تشمل أرجاء المعمورة وتظلّلها بظلالها وتحكمها بأحكامها..

فإذا كابد المؤمن في هذه الدنيا فنون طغيان المعتدين، وتجبرّ المستكبرين، وشاهد الرذيلة يتبجّح بها الأراذل، والشرّ يهجم كأثّه السيل العارم، والظلام يقتحم فيسدّ الآفاق، ويملأ الفجاج، ويعمي الأحداق، ورأى الحقّ لا يعمل به، والباطل لا يتناهى عنه، فإنّه سيرغب في لقاء الله، وتكون له الآخرة خير من الأولى، فيشتاقها ويتطلّع إليها، ويخطبها لنفسه، «فإنّ المؤمن في هذه الدنيا غريب وفي هذا

الخلق المنكوس حتى يخرج من هذه الدار إلى رحمة الله» (١).

قال سيد الشهداء ﷺ لأصحابه:

«قد نزل ما ترون من الأمور وإن الدنيا قد تنكرت وتغيرت وأدبر معروفها واستمرت حتى لم يبق منها إلا كصابة الإناء وإلا خسيس عيش كالمرعى الوبيل ألا ترون الحق لا يعمل به والباطل لا يتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله وإني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برماً» (٢).

فهو لا يخسر في هذه الدنيا شيئاً أبداً، ويربح كل الربح في الانتقال إلى العالم الذي يجد فيه كل التعويض عما يخاله الفرد العادي فقداً هنا.

فهنا الحياة زائلة مضمحلة فانية، سرعان ما تقهر بإرادة الله، وتنتهي إلى الفناء، «الحمد لله الذي قهر عباده بالموت والفناء»..

(١) كامل الزيارات لابن قولويه: ١٧٦ الباب ٩١ في كلام للإمام الباقر ﷺ مع محمد بن مسلم.

(٢) المناقب لابن شهر آشوب تحقيق السيد علي أشرف: ١٠ / ٧٥، حلية الأولياء: ٢ / ٣٩، المعجم الكبير للطبراني: ٣ / ١١٤ رقم ٢٨٤٢، تاريخ دمشق لابن عساکر: ١٤ / ٢١٧، تاريخ الطبري: ٤ / ٣٠٥، شرح الأخبار للقاضي النعمان: ٣ / ١٥٠ ح ١٠٨٨، إحياء العلوم للغزالي: ٤ / ٤٧٩، العقد الفريد: ٤ / ٣٨٠.

وهناك لا فناء، ولا نهاية، ولا زوال، خالدين فيها أبداً.. هناك تتحقق الآمال، وتنجز العداات، وتكون الأماني حقائق، ولا يرى فيها سوى الحق والعدل والحقيقة..

هناك لقاء الأحبة.. لقاء من هم أحب وأعز من الأهل والولد.. هناك سيد الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وآله، وسيد الأوصياء علي، وسيدة النساء فاطمة، وسيدا شباب أهل الجنة الحسن والحسين عليهما السلام وهكذا.. هناك وجه الله وجنب الله وجوار الله ورحمة الله وجنان الله..

وهذا مائز يفرق بين المؤمن وغيره من المخلوقات.. لأن المؤمن يفرح بلقاء الله، ويرنو إليه وينتظره، ويعلم علماً حتماً جزماً أن ما عند الله خير وأبقى..

ولانرى ضرورة في الاستطراد لذكر الأدلة والبراهين والآيات والروايات للبرهنة على ذلك..

وهذا كلامنا كله في المؤمن على نحو الإطلاق، فكيف بالأولياء والمقربين والشهداء والصالحين.. كيف بمولانا مسلم بن عقيل عليه السلام؟!

الأداة الثالثة: رجزه عليه السلام رداً على أمانهم

الأراجيز في الحروب تعدّ سلاحاً إعلامياً فتاكاً، حيث يخاطب المحارب عدوه بلغة الشعر المؤثرة، فيقتحم عقولهم وقلوبهم، وربما

لامس عواطفهم وأحاسيسهم، ونبش دفاتهم ليزيح عنها ما يغطيها من أحوال، وما ينهال عليها من غبار ورمال..

وربما ضمّن رجزه الكثير من المفاهيم والأفكار والمعتقدات واستدلّ عليها كما فعل صاحب ميمنة الحسين ﷺ زهير بن القين، وغيره من شهداء الطّف، وربما حمل على معتقدات العدوّ وصرّح أولّوح بمثالبه وخسّته ولؤومه وحقارته وجبنه، وغيرها من المناورات والمساجلات الكلاميّة التي تصطبح المناورات والمساجلات القتاليّة.

وربما استغرق المقاتل في التعريف بنفسه وبحسبه ونسبه وبطولاته وشجاعته وشجاعة آبائه وأجداده، مستخدماً الألفاظ والإيقاعات التي تهزّ أعماق العدوّ، وتهزّمه من الداخل عقائديّاً ونفسيّاً وحربيّاً، فيزلزل العدوّ، ويسلب قراره، ويحبّنه ويخوّفه، فيفتّ عضده، ويرجّ موقفه، ويفلّ عزمه وإرادته...

وربما ارتجز المقاتل ليدحض مزاعم العدوّ، ويكشف زيفه وكذبه، ويردّ عليه ويحجّبه..

وقد مزج المولى الغريب ﷺ هذه الأغراض مزجاً مليحاً قويّاً، فألفت ألفاظه وقعاً أخرس الأعداء، وكشف زيفهم، وردّ كيدهم إلى نحورهم، بعد أن أبان لهم معرفته بأغراضهم المنشودة من إعلان الأمان.

الأداة الرابعة: رجز الوالد والولد

اختيار مذهب، وإيقاع مروع.. حيث وظف عبد الله بن مسلم بن عقيل نفس الروي والقافية والإيقاع الذي استخدمه أبوه عليه السلام في رجزه في الكوفة!!

يا لها من مفاجأة مزللة.. كان عبد الله في الطريق حينما ارتجز أبوه البطل في الكوفة برجزه المشهور المعروف الذي حفظته الشجعان، واستظهرته الأبطال والصناديد والأقران..

بعد لم ينس أهل الكوفة رجز المولى مسلم بن عقيل عليه السلام الذي مَرَّقَ شملهم، وبدد جمعهم، وأتى على صناديدهم، وجبن شجعانهم، وجندل أبطالهم، إذ كانت تأتيه الكتائب فيطحنها بصمصامه، ويفنيها حسامه..

لقد أوقع الهزيمة فيهم من إيقاع رجزه.. حيث أعادهم إلى الميدان الذي هزمهم فيه أبوه قبل أيام...

نبرات الصوت.. قوة الرجز.. إيقاع الأبيات.. رنة الصرخة.. هدير الكلمات والروي والقافية.. كلّها عادت مرة أخرى نفسها تنطلق من حنجرة عبد الله..

من هذا الذي برز إليهم؟

أهو مسلم عليه السلام عاد مرة أخرى في كربلاء ليزيقهم الموت غصة بعد

غصّة، ويرمي بجيف رجالهم وجثثهم وينثرها في تلك الصحراء، ويكوّم
رؤوسهم أكداً كما فعل بهم بالأمس القريب في الكوفة؟!
لابد أن تكون شجاعته شجاعة أبيه ﷺ، وصولته صولة أبيه،
وحماسة حماس أبيه، وقوّته وسطوته في الميدان قوّة أبيه وسطوته.. فها
هو ذا مسلم! كآته يشخص أمامهم بذاته وروعته وجماله وبسالته ونفاذه
في أمر الله واستئصال أعداء الله (١)!

(١) انظر: كتاب «عبد الله بن مسلم بن عقيل ﷺ»، للمؤلف.

نصّ الرجز

قال الشيخ المفيد:

«فلما رأى ذلك خرج عليهم مصلتاً بسيفه في السكّة، فقال له
محمّد بن الأشعث: لك الأمان لا تقتل نفسك، وهو يقاتلهم
ويقول:

أقسمت لا أقتل إلاّ حرّاً إنّي رأيت الموت شيئاً نكراً
ويجعل البارد سخناً مرّاً ردّ شعاع الشمس فاستقرّاً
كلّ امرئ يوماً ملاقٍ شرّاً أخاف أن أكذب أو أغرّاً

فقال له محمّد بن الأشعث: إنك لا تكذب ولا تغرّ فلا تجزع،
إنّ القوم بنو عمّك، وليسوا بقاتليك ولا ضائريك».

وقال الطبري:

«فأقبل عليه محمد بن الأشعث فقال: يا فتى، لك الأمان، لا

تقتل نفسك، فأقبل يقاتلهم، وهو يقول:

أقسمت لا أقتل إلا حرًّا وإن رأيت الموت شيئاً نكراً

كلّ امرئ يوماً ملاقٍ شرًّا ويخلط البارد سخناً مرًّا

ردّ شعاع الشمس فاستقرّا أخاف أن أكذب أو أغرّا»

وقال ابن أعثم:

«فجعل محمد بن الأشعث يقول: ويحك يا ابن عقيل! لا تقتل

نفسك، لك الأمان! ومسلم بن عقيل يقول: لا حاجة إلى

أمان الغدرة، ثمّ جعل يقاتلهم وهو يقول:

أقسمت لا أقتل إلا حرًّا ولو وجدت الموت كأساً مرًّا

أكره أن أخدع أو أغرّا كلّ امرئ يوماً يلاقي شرًّا

أضربكم ولا أخاف ضرًّا

قال: فنادهه محمد بن الأشعث وقال: ويحك يا ابن عقيل! إنك

لا تكذب ولا تغرّ، القوم ليسوا بقاتليك، فلا تقتل نفسك.

قال: فلم يلتفت مسلم بن عقيل عليه السلام إلى كلام ابن الأشعث،

وجعل يقاتل»..

وقال الخوارزمي:

«فجعل محمد بن الأشعث يناديه: ويحك يا ابن عقيل! لا
تقتل نفسك، لك الأمان، فيقول مسلم: لا حاجة لي في أمان
الغدر الفجرة، وينشد:

أقسمت لا أقتل إلا حراً وإن رأيت الموت شيئاً مرّاً
كلّ امرئ يوماً ملاقٍ شرّاً ردّ شعاع الشمس فاستقرّاً
أضربكم ولا أخاف ضرّاً ضرب همّام يستهين الدهراً
وخلط البارد سخناً مرّاً ولا أقيم للأمان قدراً
أخاف أن أخدع أو أغرّاً»

وقال أبو الفرج:

«فأقبل يقاتلهم وهو يقول:
أقسمت لا أقتل إلا حراً وإن رأيت الموت شيئاً نكراً
أخاف أن أكذب أو أغرّاً أو يخلط البارد سخناً مرّاً
ردّ شعاع الشمس فاستقرّاً كلّ امرئ يوماً ملاقٍ شرّاً»
وقال ابن شهر آشوب:

«قال: ويحك! ابن عقيل لك الأمان، وهو يقول: لا حاجة لي
في أمان الفجرة، وهو يرتجز:
أقسمت لا أقتل إلا حراً وإن رأيت الموت شيئاً نكراً

أكره أن أخدع أو أغرأ كل امرئ يوماً يلاقي شرّاً
أضربكم ولا أخاف ضرّاً ضرب غلام قطّ لم يفزاً»

إطالة على الرجز

وردت نصوص الرجز في المصادر باختلافات تكاد تكون يسيرة، وقد مرّ معنا قبل قليل أنه عليه السلام حمل على القوم حملات متعدّدة، كما عرض عليه الأمان مرّات عديدة، فلا يبعد أن يكون قد ارتجز عليه السلام في كلّ حملة برجز يختلف عن الرجز الآخر، وزاد فيه أو نقص في كلّ موقف بما يناسب عروضهم وألفاظهم، وهو أدب عمل به الناس في حروبهم، بل ربما ارتجز المقاتل في حملة واحدة بعدّة أراجيز..

فقد روى ابن شهر آشوب في المناقب رجزاً للمولى الغريب عليه السلام في بداية حملته، ثمّ روى رجزه المشهور بعد أن عرض عليه الأمان، فقال:

«فحمل مسلم عليه السلام عليهم، وهو يقول:

هو الموت فاصنع ويك ما أنت صانع

فأنت بكأس الموت لا شكّ جارع

فصبراً لأمر الله جلّ جلاله

فحكم قضاء الله في الخلق ذائع» (١)

(١) المناقب لابن شهر آشوب: ١٠ / ٣٢٧.

وتعدّد الرجز يكشف عن قوّة المقاتل وقدرته وتسلّطه على مشاعره
وأحاسيسه وبواطنه، وعدم اكترائه بالحرب في أعماق قلبه.. والآن
نغني لنشاهد اللوحات في رجز المولى الغريب عليه السلام:

اللوحة الأولى: «أقسمت»

إنّه عليه السلام تقدّم نحو الأعداء.. والأعداء لا يصدّقون لأنهم نبتوا في
مزابيل المجتمع.. وارتضعوا الكذب وشبّوا عليه.. فهو يعلم أنّ الكاذب لا
يثق بنفسه، فكيف يثق بغيره..

والقسم عزم وإرادة وإبرام لا ينكته الأحرار والأوفياء..

والقسم تأكيد وترسيخ وتعزيز للموقف..

والقسم شاهد صدق على ما يعتلج في الخلد وكوامن النفس..

لقد عزم المولى مسلم بن عقيل عليه السلام، وأراد أن يصحّر عن عزمه
للملأ.. فوثّق عزمه بالقسم...

ختم الأمر.. ورسم الطريق إلى آخر نقطة ومنزل فيه.. أقسم وانتهى
كل شيء..

إنّ الأعداء يعرفون آل أبي طالب عليهم السلام ورجال سيّد الشهداء عليه السلام..
يعرفونهم تماماً.. ولا يشكّون أنهم عترة النبي صلى الله عليه وآله.. وأنهم آل الله، وأنهم
أهل دين وصدق ووفاء وأمانة.. فإذا أقسموا لا ولن يتردّدوا - حتّى

بأقل من لمح البصر - في انجاز ما أقسموا عليه، وإنفاذ ما عزموا عليه ..
فكل من يسمع القسم من الرائد مسلم عليه السلام يعلم أنه صادق برّوفاً
بالقسم ..

اللوحة الثانية: « لا أقتل إلا حرّاً »

أقسم المولى الغريب عليه السلام أنه لا يقتل إلا حرّاً.. فهو مقتول هذا
اليوم، لا محيص عن يوم خطّ بالقلم ..
إنه عازم على الشهادة كما أنّ العدو الغادر الدنيء عازم على قتله ..
إنه اختار الآخرة على الأولى، وقضى الأمر.. لا يريد أن يبقى في هذه
الدنيا.. يريد أن يرحل إلى فرطه .. يلحق الطيبين .. يرحل قبل سيده
وإمامه ..

غير أنه يريد أن يرحل من هذه الدنيا بجلية الأحرار.. بيّزة الأباة
الأبرار.. بزّي العبودية لله .. بالقباء المطرّز بالدماء وسيفه يحتلب أعناق
الأشرار..

أقسم ثمّ رصف كلماته في صيغة الاستثناء في سياق النفي!! وهي
صيغة تفيد العموم والشمول نتيجة الحصر ومفهومه، ليشمل قسمه كلّ
المفردات والحالات التي يمكن أن يتصوّرها السامع، فينفيا ويبعدها عن
الأذهان.. ليس ثمة حالة يمكن أن تثنيه عن خياره المقدّس.. وحياسة

«أن يقتل حرّاً»..

اللوحة الثالثة: «إني رأيت الموت شيئاً نكراً»

هذا المقطع من لوحة المولى الغريب عليه السلام يشبه تماماً ما قاله شبلة عبد الله في كربلاء أيضاً.. كما هو صدر رجزه.. إلّا أنّ الرواية وردت في رجز عبد الله: «وقد وجدت الموت شيئاً مرّاً»..
ويمكن أن يفهم بأحد فهمين:

الفهم الأول:

قال الدكتور يوسف خليف معلّقاً على رجز المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام:

«هو رجز من الناحية النفسية صادق كلّ الصدق، معبراً تعبيراً دقيقاً عن الموجات النفسية التي كانت تندفع في نفس الشاعر، وهو في موقفه الضيق الحرج، فهو قبل كلّ شيء مصمّ على أن يحتفظ بحريّته ولو أدّى هذا إلى قتله، وهو يعلن في صراحة وصدق أنّ الموت شيء منكر، ولا يقول هذا كما يقوله غيره ممّن يغالطون أنفسهم أنّ الموت شيء محبّب إلى نفسه، وإنّما يعبر عن نفسيّته تعبيراً صادقاً، فالموت شيء لا يحبّه، ولكنّه لا يفرّ منه ما دام قد صمّ على الاحتفاظ

بحرّيته .

ثمّ يحاول أن يهدئ من روعه، ويجعل هذه الموجة العالية
الرهيبية تنحسر عن نفسه دون أن يجذبها في تيّارات من الهلع
والفزع، فيحدّث نفسه بأنّ الدنيا متقلّبة، وكلّ امرئ فيها لابدّ
أن يلاقى ما يسوؤه، وهو يعرض هذا الحديث النفسى في صورة
فنية رائعة»..

وأضاف يقول:

«إنّّه غير حريص على الحياة، ولكنّه حريص على الحرّية،
وهذا يجعله متردّداً لأنّه يخشى - بل يخاف - أن يكذب عليه
أعداؤه أو يخدعوه، فيقتلوه دون محاولة منه لتنفيذ عهده بأن
يموت في سبيل حرّيته، أو يأسروه فيفقد حرّيته التي يحرص
عليها حرصه على الحياة.

أرأيت كيف استطاع أن يصوّر موقفه الضيق المخرج هذا
التصوير الفنّى الرائع الذي يشمل روعته من تعبيره عن
نفسيّته تعبيراً صادقاً لا رياء فيه ولا تضليل؟!

إنّ هذا هو السرّ الذي يجعل هذه السطور القليلة تؤثر في
نفوسنا تأثيراً يجعلنا نشعر بما كان يعانيه قائلها من صراع

داخليّ هائل لا يعدله إلا صراعه الخارجيّ مع أعدائه» (١) ..

* * * * *

نحن لا نريد هنا الوقوف مع هذا التحليل طويلاً، إلا بمقدار ما تدعو إليه الضرورة، ويستوجبه فرض الدفاع عن المحريم المقدّس لأولياء الله وسيوف الحسين عليه السلام ورجاله.

الوقفه الأولى: الموجات النفسيّة!!

إنّه يحكي عن الموجات النفسيّة التي كانت تندفع في نفس الشاعر، فيقول:

«معبراً تعبيراً دقيقاً عن الموجات النفسيّة التي كانت تندفع في نفس الشاعر، وهو في موقفه الضيق الحرج».

ويعدّ هذه الأبيات معبرة تعبيراً دقيقاً عن تلك الموجات النفسيّة!! ونفسيّة مولانا المعظم عليه السلام لا تهتزّ ولا تتحرّك أمواج المشاعر في أعماقه ما دام على الحقّ وفي طريق إمام زمانه، وهو لا يأبه بالموت ولا يخشاه ولا يخافه، وقد ذكرنا في الأداة الثانية ما يناسب هذا المقام.

(١) الشهيد الخالد مسلم بن عقيل عليه السلام للشيخ باقر شريف القرشي: ١٦٢ عن حياة الشعر في الكوفة: ٣٧١.

الوقفه الثانية: الموت منكر عند أخ الحسين عليه السلام!

«وهو يعلن في صراحة وصدق أنّ الموت شيء منكر... وإنما يعبر عن نفسيّته تعبيراً صادقاً، فالموت شيء لا يحبّه»..

حشا لمولاي أن تكون نفسيّته كما يزعم هذا المحلل - غفر الله له ولنا - إذ أنّ الموت لا ينكره الأولياء، ولا تمجّه طباعهم، ولا تستوحش منه نفوسهم، ولا تخشاه أرواحهم، إلّا أن يكون بديلاً عن القتل، فهم لا يرضونه لأنفسهم، كما سيأتي بعد قليل، إن شاء الله تعالى.

وربما لم يكن من الأدب الرفيع أن يقيس الإنسان العاديّ والفرد العامّ نفسيّة العظماء والأولياء على نفسيّته ونفسيّة نظرائه، ثمّ يحكم عليها ويفهمها من خلال مساحة أفقه المحدود، ونظراته القصيرة.

الوقفه الثالثة: من المغالط؟!!

ثمّ قال:

«وهو يعلن في صراحة وصدق أنّ الموت شيء منكر، ولا يقول هذا كما يقوله غيره ممّن يغالطون أنفسهم أنّ الموت شيء محبّب إلى نفسه»...

من ذا يغالط ويزعم أنّه يحبّ الموت وهو يكرهه ولا يحبّه؟! هل يفعل ذلك أولياء الله؟ أم أعداؤه؟

إنّما يكره الموت ويسخطه ولا يحبّه أعداء الله والذين لا يدخلون دائرة ولاية الله والسندج، أمّا الذين يعلمون صدقاً أنّ الدار الآخرة لهم عند الله خالصة من دون الناس فإنّهم يتمنون الموت، ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

هل كان رسول الله ﷺ يكره الموت ويغالط؟ هل كان أمير المؤمنين وسيّد الوصيّين ومولى الموحّدين عليّ بن أبي طالب يكره الموت ويغالط؟ هل كان سيّدا شباب أهل الجنّة وأمّهم سيّدة النساء عائشة رضي الله عنها يكرهون الموت ويغالطون؟

هل كان أولياء الله على مرّ العصور وكثر الدهور يكرهون لقاء الله ولا يحبّون الموت ويغالطون؟!

وهل كان المولى الغريب مسلم بن عقيل رضي الله عنه يكره الموت ولا يحب لقاء الله، فيصدق مع نفسه ولا يغالط؟!

يبدو أنّ هذا التحليل، وهذا الزعم ليس جميلاً إلى حدّ يقبح التوقّف معه طويلاً، ويكفي أن يقرأه المؤمن فيمجّه ويستعجل في المرور عليه.

الوقفه الرابعة: محاولة تهدئة النفس!!

قال:

«ثمَّ يحاول أن يهدئ من روعه، ويجعل هذه الموجة العالية
الرهيبة تنحسر عن نفسه دون أن يجذبها في تيارات من الهلع
والفزع»..

واللهِ إِنِّي لأستحي من مولانا الغريب عليه السلام حينما أقرأ هذه
التعبيرات..

«يحاول أن يهدئ من روعه».. «يجعل هذه الموجة العالية
الرهيبة».. «الموجة العالية الرهيبة».. «الرهيبة»! «تنحسر عن
نفسه».. «دون أن تجذبها في تيارات من الهلع والفزع»!!!

تعطي هذه المفردات المتهاكمة انطباعاً مروّعاً عند القارئ عن
الوضع النفسي للبطل الهمام والسيف الحسام من آل خير الأنام..

فالموجة العالية الرهيبة قد اجتاحت نفسه عليه السلام، فاضطرته أن
«يحاول» لتهدئة نفسه، ومنعها من الاستسلام لـ«تيارات الهلع والفزع»!
رهبة وخوف وهلع وفزع ونفس مضطربة تتجاوزها التيارات العاتية،
وتكتسحها الأمواج العالية!!

أهكذا يكون أيّ مقاتل مكثور، وفارس معروف بالشجاعة، حتّى لو

لم يكن من عترة النبي صلّى الله عليه وآله؟

لقد قرأنا في قصص العرب وغيرهم مواقف فرسان لا يشار إليهم
بالبنان، فوجدناهم يواجهون الموت في ساحة الحرب دون أن يعتريهم
ما صوّروه في المولى الغريب، فكيف بسليل إبراهيم الخليل عليه السلام الذي
يعدّ من فرسان مضر، وشجعان عدنان، وفتيان بني هاشم، ورجال أمير
المؤمنين والحسن والحسين عليهما السلام؟!

الوقفه الخامسة: الصراع الداخلي الهائل!!

«يجعلنا نشعر بما كان يعانيه قائلها من صراع داخلي هائل لا
يعدله إلا صراعه الخارجي مع أعدائه».

إنّ المولى الغريب عليه السلام لا يعاني «من صراع داخلي هائل» ولا غير
هائل، إنّ داخل أولياء الله والمؤمنين فضلاً عن ساداتهم، مستقرّ وادع،
تملؤه السكينة ويعلوه الوقار، ويحشوه التسليم والثبات والاطمئنان.. لا
يهتزّون ولا يتردّدون ولا تحركهم الأمواج ولا ترحزهم العواصف
والقواصف، فهم أثبت من الجبال الراسيات، وأعلى من الأمواج
العاتيات ...

أحسب أنّ هذه فريّة مقرفة، تأبى أن تنتسب إلى المولى
الغريب عليه السلام، «صراع داخلي هائل» يعاني منه البطل الوقور مسلم بن
عقيل عليه السلام؟! نستغفر الله ونتوب إليه، ونستجير به، اللهمّ سدّدنا وزيّنا
بأدب الحديث مع أوليائك، يا أرحم الراحمين.

الوقفه السادسة: تردده!

«إنّه غير حريص على الحياة، ولكنّه حريص على الحرّيّة، وهذا يجعله متردداً! لأنّه يخشى - بل يخاف - أن يكذب عليه أعداؤه أو يخدعوه»..

وهنا أيضاً يسهم الأستاذ في إضافة صورة من صور التردد للمولى الغريب عليه السلام، وكأنّ ما ألصقه به المؤرّخ من مواقف التردد منذ التطيّر والاستعفاء إلى التردد في قتل ابن زياد إلى التردد في الخروج! إلى القصر إلى غيرها من صور التردد المشؤوم المنسوب زوراً للفقير العالم من آل محمد صلّى الله عليه وآله..

فيتردّد هنا المولى عليه السلام بين قبول الأمان والخوف من الخديعة؟ ولاندرى من أين انبثق هذا التردد وأبيات المولى عليه السلام واضحة جليّة صريحة فصيحة قويّة تعلن بصراحة رفض الأمان وردّه، والعزم على الموت قتلاً، وقد أقسم على ذلك قسماً برّاً.

الوقفه السابعة: حرصه على الحياة

«لأنّه يخشى - بل يخاف - أن يكذب عليه أعداؤه أو يخدعوه، فيقتلوه دون محاولة منه لتنفيذ عهده بأن يموت في سبيل حرّيته، أو يأسروه فيفقد حرّيته التي يحرص عليها حرصه على الحياة».

ربما يقصد الإنسان أن يخدم ويمدح فينبو القلم وتكبوا الكلمات،
وترتج الصور، وتغبّش المشاهد، فيخرج بحصيلة ربما لم يقصد منها سوءاً
بيد أنّها تحصل! والله المسدّد والموقّق للصواب.

ولهذا نكتفي هنا بسؤال واحد نحسب أنّه كافٍ للتعليق على عبارة
الأستاذ:

هل مثل البطل المقدام مسلم بن عقيل عليه السلام الموعود بالقتل في
محبة خير الأنام يعبر عنه هذا التعبير، فيقال: إنّهُ يحرص على الحياة؟!

* * * * *

كيف كان! فإنّنا نعتذر للكاتب، ولانقصد من متابعة التحليل إلاّ
الدفاع عن ساحة المولى الغريب عليه السلام، ولاننسى -احترام من سبقونا
بالكتابة والهجرة إلى العلم وخدمة أهل البيت عليهم السلام، فجزاهم الله عن
أهل بيته خير الجزاء.

خلاصة الفهم الأوّل:

بغضّ النظر عن التعابير والجمل والألفاظ الموظّفة في التحليل
السابق، فإنّ الذي يهّمنا هنا تعبيره عن فهم يمكن أن يستفاد من
الشعر، وخلاصته:

إنّ المولى الغريب عليه السلام عبّر في رجزه عن حقيقة لا ينكرها البشر،

وهي: إنّ الموت شيء نكرمّر، لا يستسيغه طبع الإنسان، بيد أنّ الرجال الأحرار يتجرّعون مرارة الموت من أجل أن يموتوا أحراراً...

الفهم الثاني:

ربما كان هذا الفهم أقرب إلى التركيبة الهندسيّة في هذا البناء الشامخ المنيف من الصور والألفاظ المتدافعة في ساحة الحرب والجهاد. ويمكن تلخيصه بأن يقال:

إنّ صور مفارقة هذه الدنيا كثيرة إلّا أنّها تتناهى إلى عناوين كليّة محدودة، فهو:

إمّا أن يموت بالقتل حرّاً.

أو بالقتل غير حرّ.

أو يموت بأيّ صنف من صنوف الموت عدا القتل.

أمّا أن يقتل غير حرّ، فهذا أدون من أدنى صور الموت وهيئاته، وهو لا يكون في أهل البيت عليهم السلام أبداً.. فهو خارج عن مشاهد الرجز، لأنّه غير متصوّر.

تبقى المفاضلة بين الموت والقتل حرّاً.. وهو قد أقسم على أن يقتل حرّاً، وكشف عن علّة قسمه وسبب اختياره لهذا النمط من القتل.. فقال: «إنّي رأيت الموت شيئاً نكراً».

بـ«إنّ» للتحقيق والتأكيد، «والياء»، والرؤية والوجدان الثابت المنكشف تماماً أمام الناظر إليه ...

رأى العارف المتيقّن مسلم عليه السلام شيئاً.. رأى الموت ووجده.. تحسّسه واستشعره، فعاينه وذاقه.. فلما ذاقه وجده منكراً مراً مقرفاً مقزّزاً تنفّر منه الطباع السليمة، وتأنّفه الهمم العالية، وتأباه الهامات الشاحخة.. لمس الموت فعبر عمّا وجد ورأى وذاق واستطعم..

فهذه صورة الموت عند المولى مسلم عليه السلام.. إنه مرّ المذاق منكراً.. لا يحتمل ولا يطاق.. لأثّنه حرّ.

فهو يقول: إذا كان الموت مرّ المذاق منكراً صعباً لا يستساغ، فلماذا اختاره، ولا أختار القتل حرّاً، لأنّ الأحرار يستندوقون القتل ويأبسون به ولا يكرهونه، بل تألفه أرواحهم الحرّة السامية المحلّقة العالية..

القتل في سبيل الحبيب الحسين عليه السلام.. الموت بين يدي الحسين عليه السلام عند المولى مسلم عليه السلام تماماً هو كما عند بقيّة أهل بيته وأصحابه، وتتماً كما عبر عنه ابن عمّه القاسم عليه السلام: «أحلى من العسل»..

فخير نفسه بين الموت غصّة مصبّرة مرّة يشرق بها الحرّ الكريم.. وبين القتل حرّاً بين يدي إمامه وحبيبه الحسين عليه السلام، وهو حلّو أحلى من العسل، وأمرئ من لبن الأمّ الحنون.. هنيء سائع لورّاد حياض

السعادة..

فكأنه عليه السلام يقول: حينما «رأيت» وتحقق لي أنّ الموت نكرومّر.. أقسمت إذن أن لا أقتل إلاّ حرّاً، لأنّ القتل هو الموت اللذيذ الحلو الملائم لمذاق الأحرار..

قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«إنّ الموت لا يفوته المقيم، ولا يعجزه الهارب، ليس عن الموت محيد ولا محيص، من لم يقتل مات، وإنّ أفضل الموت القتل، والذي نفس علي بيده لألف ضربة بالسيف أهون من موتة واحدة على الفراش» (١).

وقال عليه السلام أيضاً:

«لتصبرن - يا أهل الكوفة - على قتال عدوّكم، أو ليسلطن الله عليكم قوماً أنتم أولى بالحقّ منهم فليعدّبنكم، أفمن قتلة بالسيف تحيدون إلى موتة على الفراش، والله لموتة على الفراش أشدّ من ضربة ألف سيف» (٢)..

ويبدو أنّ خطاب المولى الغريب عليه السلام لم يكن مع نفسه، إذ هو

(١) بحار الأنوار: ٣٢ / ٦٠.

(٢) شرح النهج: ٢ / ١٩٥.

يخاطب الأعداء ويعظمهم ويعرض بهم .. كأنه يقول لهم: ما لكم طبع الله على قلوبكم، أفلا تتفكرون؟! أفلا ترعون ..

إنكم حشرتم أنفسكم في مضيق حرج، ووقفتم بين خيارين هابطين:

فإمّا أن تقتلوا بأسيا فنا، وهي قتلة الأذلاء الحقرء الخاسئين الذين تسقط رؤوسهم من أبدانهم فتدحرج في وهاد جهنم ..

وإمّا أن تخرجوا من هذه الحرب فتموتوا، والموت على الفراش مرّ ثقيل عسير على أولياء الله، فكيف على أعدائه؟!

وهو يخاطبهم ليجيبهم على ما اقترحوه عليه من الأمان، فيقول لهم: إنّ غاية عاقبة أمانكم أن أعيش - على فرض السلامة - أياماً ثم أموت، وأنا لا أحب الموت على الفراش، وقد أمكنني الله من فرصة اللحاق بركب الشهادة الفاتح.

اللوحة الرابعة: اختلاف الألفاظ

اعتمدنا في تقرير الفهم الثاني في اللوحة السابقة على نصّ الشيخ المفيد: «إني رأيت»، ويبدو أنّ هذا الفهم ينسجم أيضاً مع اللفظ المشهور بين الكتّاب والخطباء الوارد في كثير من المصادر التاريخية: «وإن رأيت».

فقد وردت «إن» المكسورة المخففة على أوجه، واستعملت بمعاني شتى في اللغة العربية..

الوجه الأول: الشرطية

فجاءت بمعنى الشرطية نحو قوله: ﴿إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ﴾ و﴿إِنْ تَعُودُوا نَعُدْ﴾..

و«إن» تكون لعقد السببية والمسببية في المستقبل ^(١).
فالتعبير يفيد تعليل القسم على ترجيح أحد الخيارين، كما شرحناه قبل قليل.

الوجه الثاني: النافية

ربما جاءت «إن» نافية، وهي تدخل على الجملة الاسمية نحو: ﴿إِنْ أَمَّهُاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدَنَّهُمْ﴾ و﴿إِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾.

وتدخل على الجملة الفعلية أيضاً، نحو ﴿إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى﴾ و﴿وَتَنْظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾، و﴿إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾..

وتجيء «إن» النافية وحدها دون الحاجة لاستتباعها بـ«إلا» كما ذكرنا في الأمثلة سابقاً، من قبيل قوله تعالى: ﴿إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ

(١) انظر: مغني اللبيب لابن هشام: ١ / ٣٣٧.

بِهَذَا»، أو قوله: ﴿قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقْرَبُ مَا تُوعَدُونَ﴾ و﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ﴾.

فيكون المعنى حينئذ: «وما رأيت الموت شيئاً نكراً»، أي إنني سأقاتلكم حتى الموت الذي أراه شيئاً محبباً ولا أراه نكراً ولا أرضى بآمانكم الخائب.

الوجه الثالث: المخففة عن الثقيلة

أن تكون مخففة عن الثقيلة، فتدخل على الجملتين، الإسمية نحو: ﴿وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ و﴿وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾..

والفعلية، نحو: ﴿وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً﴾ و﴿وَإِنْ يَكَاذِبُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُرْلِقُونَكَ﴾..

فيكون المعنى على هذا الفرض يوافق نصّ الشيخ المفيد تماماً، ويدلّ على تأكيد الرؤية، ويجري ما ذكرناه آنفاً، فلا نعيد.

الوجه الرابع: الزائدة

قد تأتي «إن» زائدة نحو «ما إن أتيت بشيء أنت تكرهه...»، و«فما إن طَبْنَا جبن ولكن...».

وعلى هذا إذا اعتبرناها زائدة يكون التعبير: «ورأيت الموت...»،

فيرجع المعنى إلى ما ذكرناه أيضاً.

الوجه الخامس: بمعنى «قد»

قد تأتي «إن» بمعنى «قد»، واستشهدوا لذلك بقوله تعالى: ﴿إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ أي: قد نفعت.

وحيث أن يكون تعبير المولى وتعبير ولده في كربلاء واحد، إذ قال عبد الله بن مسلم: «وقد رأيت الموت...»، ويرجع المعنى إلى ما شرحناه أيضاً، لأن «قد» تفيد التحقيق والتأكيد.

الوجه السادس: بمعنى «إذ»

قد تأتي «إن» بمعنى «إذ»، نحو قوله تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، ﴿وَلْتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِينَ﴾، أي إذ شاء الله (١).

وعلى هذا الفرض يكون التعبير: «وإذ رأيت الموت...»، فيكون أقوى في التعبير عما ذكرناه، حيث يعلّل المولى عليه السلام قسمه وعزمه على القتل حرّاً، بسبب رؤيته للموت نكراً..

فهذه الوجوه كلّها لمعاني «إن» المكسورة المخففة تنسجم - بلا

(١) انظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام: ١ / ٣٣.

تكلف - مع ما شرحناه، بل ربما أعانت عليه وشهدت له وأيدته.

أمّا ما ورد في نصّ ابن أعثم: «ولو رأيت الموت ...» فإنّ «لو» على أيّ وجه تحمل من الوجوه المناسبة للمقام ^(١) فإنّها تناسب ما ذكرناه أيضاً.

وعلى فرض أنّها تساعد على الفهم الأوّل وتؤيّدّه، تبقى شاذّة وردت في مصدر واحد مقابل باقي المصادر التاريخية المتوفّرة لدينا.

اللوحة الخامسة: «كلّ امرئ يوماً ملاقٍ شرّاً»

هذا الشرط وما بعده يحتمل أن يفيد أكثر من مراد:

المراد الأوّل: تأكيد لما سبق

تأكيد لما ذكرناه في الفهم الثاني من اللوحة الثالثة، حيث يفيد أنّ الموت حتم لا بدّ منه، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾، وليس المولى الغريب ^(١) مستثنى من ذلك الحتم الذي قضاه الله على عباده، فإذا كان كلّ امرئ سيلقى حتفه يوماً ما، فلماذا يختار المولى الهاشمي الحصة التي تعدّ «شرّاً» بحساب الأولياء «باعتباره موتاً على الفراش مقابل الضرب بالسيف»، وتعدّ «شرّاً» بحساب الأعداء، لأنّها مفارقة للذائد

(١) انظر: مغني اللبيب لابن هشام: ١ / ٣٣٧.

الدنيا واقترب من عذابات الآخرة.

المراد الثاني: كلمهم بلغتهم

بناءً على ما قرّره سابقاً، فإنّ رجز المولى عليه السلام كان جواباً يردّ به خطاب الأعداء وأمانهم، فهو يتكلّم معهم وفق لغتهم وتصوّراتهم ومزاعمهم، فهم يدعونه إلى الأمان ويصوّرونه خيراً له، ويحذّرونه من الموت ويصوّرونه شراً له، لأنّهم هكذا يفكّرون ويعتقدون، وهذا هو مبلغ علمهم فيما يزعمون.

وكأنّ المولى الغريب عليه السلام يقول لهم: إن زعمتم أنّ الموت شراً وأمانكم خير، فإنّ هذا الشرحتم لابدّ منه لا يحيد عنه أحد من الناس، وأنا لا أفرّ منه ولا أبغي له عن هذا الموقف بدلاً، وقد اخترته ليكون قتلاً في سبيل سيّد الشهداء الحسين عليه السلام.

المراد الثالث: تقلّبات الدنيا

ربما يقال: إنّ المولى الغريب عليه السلام خاطبهم قائلاً: إنّ الدنيا متقلّبة بأحوالها، متصرّمة في أيامها، لا يدوم فيها حال، ولا يحضى الإنسان فيها بلذة إلاّ أعقبها غصّة، فإن كنتم تريدون لي الأمان وتزعمون أنّه خير، فلا بدّ أن يتبعه شرّ، فلا خير دائم في أمانكم حتّى أرّضيه لنفسي.

المراد الرابع: إن كان رفض الأمان..

ربما يقال أيضاً؛ إن كان ما تزعمونه أن رفض الأمان شرّاً، فإنّ كلّ امرئ يوماً يلاقي شرّاً، وهذا هو دين الحياة الدنيا، ولا عيب في أن يرفضه الإنسان الحرّ ولا منقصة.

المراد الخامس: عدّ الأمان في الشرّ

يفيد هذا التصوير لرجزه ﷺ: أنّ المولى الغريب ﷺ عدّ أمانهم من الشرّ، فقال لهم: إنكم عرضتم عليّ الأمان، وهو شرّ ممّوه بالخير أردتم أن تخدعوني به، وكلّ امرئ لابدّ أن يلاقي شرّاً في هذه الحياة الدنيا، بيد أن أولياء الله محفوظون مسدّدون لا ينالهم منه ضرر، ولا تنطلي عليهم حيل الأوغاد.

وربما كان لهذا الوجه من تفسير رجزه ﷺ مؤيّد في بقيّة أبياته، إذ يقول: «ويخلط البارد سخناً مرّاً».

اللوحة السادسة: «ويخلط البارد سخناً مرّاً»

في لفظ الشيخ المفيد: «ويجعل»..

ويمكن تصوير هذه اللوحة من رجز المولى ﷺ ضمن عدّة أشكال:

الشكل الأول: تصوير للأمان

ربما دسّ العدوّ السمّ بالعسل، والبادر بالحارّ الساخن، والحلو بالممرّ

العلقم، ليخدع به، والمولى الغريب عليه السلام خبير عالم عارف نافذ البصيرة صلب الإيمان، لا تخفى عليه سرائر العدو وخططه، ولا تفوته خدعه وأساليب غدره، فأعلنها على رؤوس الأشهاد من خلال تصويره الرائع للأمان المزعوم.

فالأمان حسب ما يصوّرونه برداً وسلاماً، والحال أنّهم خلطوه بالساخن المرّ، ليموّهوا على الناظر العاديّ، أمّا المولى الغريب عليه السلام فقد كشف لهم فعلتهم وميّز لهم خليطهم، وعزّفهم حقيقة أمانهم، وهو يرفض المرّ ولا يستسيغه، ويأباه ولا يرتضيه، ولو استجاب للأمان البارد، فإنّه سيعقبه الموت الساخن المرّ وربما كان تعبيراً عن القتل بعد الاستسلام.

وربما شهد لهذا الشكل النظم الوارد بنقل أبي الفرج:
«أخاف أن أكذب أو أغرّأ أو يخلط البارد سخناً مرّاً»

ويشهد له أيضاً مثل العرب للذي يظهر خلاف ما يضمن:
«حرّة تحت قرّة» (١).

الشكل الثاني: تتمة لما سبق

ربما كان هذا الشرط تنميماً للشرط السابق واستمراراً في بيان المراد الثالث من اللوحة الخامسة.

(١) انظر: لسان العرب: مادة «قرر».

فهو يقول: الدنيا متقلّبة، وكلّ امرئ يوماً يلاقي الشرّ، وهكذا هي الدنيا تخلط البارد بالساخن، والحلاوة بالمرارة، واللذة بالغصة، والدعة بالمعاناة، والراحة بالتعب، والصحة بالسقم، والأمل باليأس، وهكذا تتغيّر صروف الدنيا ولا تثبت على حال، فلا يأمن فيها أحد، ولا يطمئن لها عاقل، فلا يستسلم لها ولا يخلد إليها ولا يركن إلى وعود أهلها، لأنها متقلّبة وأهلها متقلّبون.

الشكل الثالث: القتل بارد حلو

روى الكليني في الكافي بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

«قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الخير كلّهُ في السيف، وتحت ظلّ السيف، ولا يقيم الناس إلّا السيف، والسيوف مقاليد الجنّة والنار» (١).

وقد اشتهر في المصادر قول النبي صلى الله عليه وآله:

«الجنّة تحت ظلال السيوف» (٢).

والظلّ: النّبيء الحاصل من الحاجز بينك وبين الشمس أي شيء كان، وقيل: هو مخصوص بما كان منه إلى الزوال، وما كان بعده فهو

(١) الكافي: ٥ / ٢.

(٢) جامع الأخبار للشعيري: ٨٣، بحار الأنوار: ٣٣ / ٤٥٧.

النفي^(١).

وفي بحار الأنوار عن صحيفة الرضا عليه السلام في حديث طويل عن الرضا عليه السلام عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام:

«... فإذا برزوا لعدوهم، وأشرعت الأسنة، وفوّقت السهام، وتقدّم الرجل إلى الرجل، حقّتهم الملائكة بأجنحتهم، ويدعون الله لهم بالنصر والتثبيت، فينادي مناد: الجنة تحت ظلال السيوف، فتكون الطعنة والضربة على الشهيد أهون من شرب الماء البارد في اليوم الصائف»^(٢)..

اقتحام ساحات الوغى، والارتقاء في لهوات المنيّة، ومقارعة أعداء الله، ومنازلة المحاربين لله ورسوله، ورفع السيوف فوق الهامات وهزّها في سبيل الله ظلال يتفيّؤه الأولياء، يستريحون إلى برد ذلك الظلال ويستعذبون برده.

أمّا الموت حتف الأنف وعلى الفراش، فهو حارّ^(٣) ساخن يكتوي به الأحرار ويتحاشونه وينأون بأنفسهم عنه.

(١) انظر: لسان العرب: مادة «ظلل».

(٢) بحار الأنوار: ٩٧ / ١٣ عن صحيفة الرضا عليه السلام: ٩٢.

(٣) انظر: الكافي للكليني: ٥ / ٦٤٠.

فيكون خطابه عَلَيْهِ السَّلَامُ لهم أنكم تريدون أن تخلطوا البارد الحلو الذي أحبه وأبتغيه بالساخن المرّ الذي تستعذبونه وتحبّونه، لأنكم تخلدون إلى الدنيا وترتكسون في وحل الشهوات ولذات الطين، بيد أن مزجكم هذا قد لا يلتفت إليه من هو من أبناء الدنيا وعبيدها، لكنّه لا يخفى على الأبرار الأخيار من ذوي الهمم العالية والحلوم الكاملة والعلوم الشاملة.

الشكل الرابع: الحديث عن نفسه

ربما كان هذا الشطر من رجزه يتحدّث فيه المولى الغريب عَلَيْهِ السَّلَامُ عن نفسه، وهو في مقام الردّ على أمانهم والجواب على خطابهم، فيقول لهم: إنّه سيجعل أمانهم البارد ساخناً مرّاً، إذ ستختلط دعوتهم إلى الأمان بشفرة سيفه وحدّ حسامه، فتتحوّل دعوتهم الفجّة الباردة إلى موت زؤام، وحتف ساخن يتجرّعونه كأساً مرّاً.

وقد يعبر عن القتال الشديد والضرب الألم في الحرب بالساخن (١).

وربما شهد لهذا الشكل النظم المنقول في المقتل للخوازمي:

(١) في لسان العرب مادة «سخن»: ضَرَبَ سَخِين: حَارَّ مُؤَلِّمٌ شَدِيد، قال ابن مقبل: ضَرَبًا تَوَاصَتْ بِهِ الْأَبْطَالُ سَخِينًا.

«أضربكم ولا أخاف ضراً ضرب همّام يستهين الدهرا
وخلط البارد سخناً مراً ولا أقيم للأمان قدراً»

الشكل الخامس: البارد الصباح

ربما كتّى المولى عليه السلام عن الصباح بـ«البارد (١)» لأنّ الهجوم عليه كان حسب مفاد المصادر في الصباح الباكر، فهذّدهم المولى الغريب عليه السلام أنّه سيخلط برودة صباحهم بحرارة قتاله ويجلعه عليهم ساخناً مراً، وهو تعبير عن رفضه للأمان وإصراره على القتال واستمراره في الإطاحة بتلك الرؤوس العفنة.

اللوحة السابعة: «ردّ شعاع الشمس فاستقرّ»

قبل أن ندخل في محاولات فهم هذه المفردات الأربعة التي صاغها المولى عليه السلام في هذا الشطر من رجزه، نحتاج إلى بعض الإشارات لعلّها تعيننا على فهم هذه التركيبة العميقة الأنيقة الجميلة بما فيها من معاني مترامية شاسعة واسعة ضغطت في ألفاظ محدودة تفيض منها روعة الجمال وقوّة الاسترسال.

(١) يقال: «سُرّ الشتاء السّخينُ أي الحارّ الذي لا برد فيه». انظر: لسان العرب

الإشارة الأولى: استعمال كُنَائِي

يبدو للسامع أنّ المولى عليه السلام لم يقصد معاني الألفاظ حينما تجتمع لتنشئ- صورة ما، بغضّ النظر عن مؤدّيات مجموع الصورة التركيبية والمزيج المنبثق عن اجتماع الصور وتجانسها لرسم غرض ما.

وحسب تعبير المتخصّصين في فنّ الأصول لا تكون الدلالات تصوّريّة وحدها هي المقصودة من هذا الاستعمال والصياغة التركيبية، إذ أنّ الإرادة الاستعماليّة وحدها لا تغني شيئاً، وهو يرتجى في ميدان الحرب والقتال، فلا بدّ من وجود دلالات تصديقيّة أولى وثانية، بل ربما كان تركيباً قصد منه الدلالات الالتزاميّة.

فهو صوّر لنا حدثاً من خلال مفردات اقترنت بعضها ببعض لترسم عودة شعاع الشمس واستقراره، ليكثّي به عن معنى يريد له أن يبلغ الشاهد والغائب.

الإشارة الثانية: الردّ للشعاع لا للشمس

يلاحظ أنّ المولى الغريب عليه السلام لم ينسب الردّ للشمس نفسها إنّما نسبه للشعاع، فلم يقل: ردّت الشمس، وإنّما قال: «ردّ شعاع الشمس»، ممّا يشعر أنّ الشمس التي يريد الإخبار عن شعاعها - الراجع ليستقرّ - ثابتة مستقرّة، كانت وستبقى غير أنّ شعاعها غيّب ثمّ ردّ فعاد.

الإشارة الثالثة: استقرار الشعاع

أخبر المولى الغريب ؑ في هذا الشطر خبرين مهمّين:

الخبر الأول: ردّ شعاع الشمس.

الخبر الثاني: استقرار هذا الشعاع.

فهو ؑ يخبر عن شمس لن تغيب، وعن شعاع لا يُحى بعد أن استقرّ، ولا يحجبه حجاب ولا يستره ساتر، ولا يحول دونه حائل، لأنّ مصدره ثابت وهو مستقرّ.

الإشارة الرابعة: لم يذكر الفاعل

المشهور في قراءة النصّ بناء «ردّ» للمجهول، فهو لم يذكر الفاعل للردّ ولم ينصّ عليه، حتّى لو قرئت على بناء المعلوم - وهو بعيد غاية البعد - يبقى أنّ المولى لم يذكر في هذا الشطر الفاعل، فينبغي البحث عنه في الأبيات السابقة أو اللاحقة، ولم نجد له أثراً فيها حسب فحصنا.

الإشارة الخامسة: الشمس.. الشعاع؟

يبدو أنّ المولى ؑ كَتى بالشمس والشعاع عن معنى، كما أشرنا إلى ذلك في الإشارة الأولى، فمن هو المقصود بالشمس، وما المقصود بالشعاع؟

هذا ما سنحاول استكشافه من خلال المعاني المحتملة

لكلامه ﷺ.

المعنى الأول: قيام سيّد الشهداء ﷺ

ربما يقال: إنّ المولى الغريب ﷺ كان يخاطب القوم الذين دعوه إلى الأمان، وردّ عليهم بهذه الأبيات السريعة من الرجز، فكثّر عن سيّد الشهداء ﷺ وعن الإمام بالشمس الثابتة التي لن تغيب، فهي إرادة ربّانية وتكليف إلهي، نصبه الله تعالى على عباده وفرض عليهم طاعته، ومعصية العباد وتمردهم على بارئهم لا يغيّر من الواقع شيئاً، فالإمام شمس أنعم به الله على الكائنات، وأنار به لكلّ المخلوقات، وقد غيّبت السقيفة شعاعها، بيد أنّ الإمام ﷺ يبقّى كالشمس إذا سترها السحاب، فهو نور الله الذي لا يخبو ولا يطفأ.

أجل، قد يحاول أعداء الله محاولات خائبة مدحوضة في التغطية على شعاعها وطمس العيون عن التزوّد بنورها، وخلط البارد بالساخن للتعمية على العمش القمش، ومزج ضغث الباطل بقليل من شوائب الحقّ في حركة النفاق التي رافقت حركة سيّد الأنبياء والمرسلين ﷺ، وقلب موازين الحقّ في معمل السقيفة.

فأشار لهم المولى الغريب ﷺ بهذه القولة الحكيمة البليغة إلى قيام سيّد الشهداء ﷺ، وأتته بدأ ليردّ شعاع الشمس الذي غيّبه منذ أيام السقيفة، وأنّ هذا القيام قد شرع وانطلق، وردّ الشعاع رداً مستقراً، فلا

يمنعه محاربتهم له ووقوفهم أمامه وتصديهم له.

لقد ارتفعت أشعة شمس سيد الشهداء عليه السلام، وستبقى نوراً متواصلاً مستقرّاً يخترق الأيام والسنين طول عمر البشرية ومدة زمان الدنيا. ومولانا مسلم بن عقيل عليه السلام جزء من هذا القيام، ورائد في هذه الحركة، ويومه يوم من أيام الحسين عليه السلام، فلا يمكن أن يقبل منهم الأمان، وهو موعود بالشهادة باعتباره من خيوط هذا الشعاع الذي ردّ فاستقرّ.

المعنى الثاني: إخبارهم بحقيقتهم

ربما كان المقصود بثبات الشمس حقيقة أمرهم، فأشار إلى عودة الحقيقة بانكشاف غدرهم واستقراره على الخيانة، وأنهم كانوا في فترة وجيزة على غير ما هم عليه حينما أعلنوا - كذباً وزوراً - أنهم ينصرون الحقّ ويتمسكون بالعروة الوثقى، فلما جدّ الجدّ ردّ شعاع الشمس، فكشف زيفهم وعزّاهم، واستقرّ حالهم على حقيقتهم القائمة على الغدر والخيانة والتمسك بأذيال القروء الأموية التي ترعى في السقيفة. فهو عليه السلام يخبرهم أنهم منكشفون أمامه يعرفهم تماماً، ولهذا فإنه لا يرضى بأمانهم، ولا يقبل الهوادة في حربهم وقتالهم.

المعنى الثالث: ثباته في موقفه

ربما كنّى المولى الغريب عليه السلام عن ثبات موقفه بصورة ثابتة يشهدها كل إنسان، ويعيش معها في كل يوم، فكما أنّ شعاع الشمس يردّ كل يوم والشمس تجري لمستقرّها، وسوف لن تتوقّف عن هذه الحركة حتّى يرث الله الأرض ومن عليها، وهذا الردّ والاستقرار حقيقة ثابتة يعاينها الناس ولا يشكّون فيها، فكذلك الأمر بالنسبة للمولى الغريب عليه السلام، واضح ثابت جليّ لا يشوبه شكّ ولا يعتريه تردّد، واثق من موقفه، مطمئنّ لعمله، ساكن إلى عاقبته الحسنة، متأكّد من فوزه بتسنّم المقام الرفيع في ركب الفتح بالشهادة.

فهو يقول لهم وفق هذا التصوير: لا تتصوّروا أنّي سأستجيب لأمانكم الغادر، فإنّي ثابت راسخ تماماً كما هي الشمس ثابتة مستقرّة تغدو على الدنيا كلّ يوم، فليكن الموقف عندهم واضحاً مفهوماً لا لبس فيه، فقد أوضح لهم الكلام وأتمّ لهم البيان، وقد استعملت العرب القرّ بمعنى:

«ترديدك الكلام في أذن المخاطب حتّى يفهمه»^(١).

(١) انظر: لسان العرب مادة «قرّ».

المعنى الرابع: الردّ بمعنى الكفّ

يمكن أن يقال: إنّه كناية عن ردّه شعاع الشمس، وردّه بمعنى صرفه ودفعه، فهو ردّ عنهم شعاع الشمس، وجعلها عليهم سوداء مظلمة بسيفه الذي حوّل عليهم النهار إلى ليل، فأفقدهم صوابهم، وأربك جيشهم، وسقّه أحلامهم وجبتهم.

المعنى الخامس: الإخبار عن يومه الأخير

ربما أشار المولى الغريب عليه السلام بهذا الشطر إلى أن شعاع الشمس قد ردّ وكفّ فاستقرّ فهو سيكون ثابتاً لا يتحرّك، وسيكون ذلك اليوم هو اليوم الذي سيتوقّف فيه من العودة مرّة ثانية.

ومن الواضح أنّ شعاع الشمس إذا كفّ ومنع عن الحركة، فهو يعني توقّف الزمن، ونهاية الدنيا بالنسبة لكلّ فرد ما لم تقم الساعة، لأنّ الشمس تجري وهي ترسل أشعتها دائماً، فإذا انقضى عمر الإنسان فإنّ الأيام بالنسبة إليه ستنتصرم وتوقّف الشمس عن دورانها بالنسبة إليه.

فهو كناية عن آخر يوم يعيشه عليه السلام في هذه الدنيا، فكأنّه يقول لهم: الدنيا بالنسبة لي قد انتهت، وهذا هو اليوم الأخير من عمري، وقد كفّ شعاعها وردّ واستقرّ فلا يمكن أن يجري حتّى يعود مرّة أخرى، فأنا أقاتلكم قتال المستميت الذي يعلم أنّه يرحل إلى الآخرة.

ويمكن حمل هذا المعنى على تعليل ردّ الأمان ورفضه، كما يمكن

حملة على التهديد والتخويف، فإنهم يقاتلون مستميتاً مستبسلاً وسوف لا يعطي بيده حتى يحصدهم حصداً.

ويمكن حملة على الكناية بمعنى أنه اليوم الأخير من أعمارهم بنفس التقريب السابق، ويكون تهديداً مهولاً، وتخويفاً مرعباً، لا شك أنهم سيدركون مغزاه، وهو يصدر عن معدن من معادن الشجاعة والقوة الهاشمية.

المعنى السادس: الإشارة إلى نهاية المعركة

يأتي القرُّ بمعنى: البرد، وقد عبّر العرب عن القتل الذريع بالحارّ الشديد من قولهم:

«استحرّ القتل أي اشتدَّ» (١).

فهو عَلِيٌّ يقول لهم: لقد ردّ شعاع الشمس، وانحسرت الحرارة في القتال، وشارف على النهاية بعد أن أثنى المولى الغريب عَلِيٌّ بالجراح، وانتقل القتال من حالة «استحرّ» إلى حالة «استقرّ»، إذ خمدت الفورة بعد أن جعلهم أشلاء متناثرة وفلولاً منتشرة، فلماذا يقبل الأمان وما زال هو الحاكم المتسلّط في الميدان.

(١) انظر: لسان العرب مادة «قرر».

المعنى السابع: الإشارة إلى برودة الهواء

ربما كان ردّ شعاع الشمس و«استقرّ» كناية عن انحسار موجة الحرّ التي كان يكابدها المولى الغريب عليه السلام في الحرب من جراء حرارة الشمس المحارقة، وشدة العطش المفتتة للكبد، فكأنّه يقول لهم: الآن طاب الضراب إذ ردّ شعاع الشمس واستقرّ «بمعنى» برد الهواء.

المعنى الثامن: الإشارة إلى نهاية النهار

ربما كان فيه نوع إشارة إلى أنّ النهار يكاد ينتهي والشمس تكاد تجبّ، وقد ردّ شعاعها، فاستقرّ الجوّ، وسيوقع الظلام حجاباً ويسدل سترّاً بين المتحاربين، ويفضي - إلى استراحة واستعداد جديد لقتال جديد في يوم جديد، يخاف منه الأعداء ويتنظرون الأبطال لخوض المعركة بقوى متجدّدة..

اللوحة الثامنة: «أخاف أن أكذب أو أغرّأ»

للخوف معاني كثيرة وردت في كتب اللغة، ويمكن أن يكون معنيان منهما يناسبان المقام حسب مفاد الرجز:

المفاد الأول:

ركّز الأوغاد على تخويف المولى الغريب عليه السلام من القتال والقتل، وهم ينادون: «لا تقتل نفسك!!»، فكان جواب المولى صاعقاً مدمراً أصاب

الهدف المسموم فزّقه تمزيقاً، فقال لهم:

«لا حاجة إلى أمان الغدرة الفجرة، ولا خوف من القتل والقتال، هيهات ما يأخذ مسلم الدنيّة، أبى الله له ذلك ورسوله، وجدود طابت، وحجور طهرت، وأنوف حميّة، ونفوس أبيّة، لا تؤثر مصارع اللئام على مصارع الكرام»^(١)..

الخوف من خوض المنايا في سبيل الله لا يكون في بني هاشم.. وخصوصاً بني أبي طالب عليه السلام الذي لو ولد الناس كلّهم لكانوا شجعاناً كما قال أصدق الخلق وأعرفهم بالخلق رسول الله صلّى الله عليه وآله..

فهو عليه السلام لا يخاف من القتل، ولكنّه يخاف أن يكذب أو يغترّ، وإنّما ذكر هذا الخوف ونصّ عليه المولى عليه السلام بإزاء الخوف الذي أرادوا أن يلصقونه به، فكأنّه يقول لهم: ما يستحقّ الخوف منه إنّما هو أن يخدع المرء أو يكذب أو يغترّ ولا يلتفت إلى ذلك إلّا بعد فوات الأوان، لا أن يخاف القتل وهو في صفّ الحقّ ونصرة الإمام المظلوم عليه السلام.

المفاد الثاني:

قال ابن منظور في لسان العرب: «الخوف: العلم»^(٢)، فيكون مفاد

(١) انظر: بحار الأنوار: ٤٥ / ٩.

(٢) انظر: لسان العرب مادة «خوف».

كلام المولى الغريب عليه السلام: أني أعلم ألكم تريدون أن تكذبوني وتغروني،
فلا تنظلي عليّ حيلكم، ولا تخفي عليّ مراداتكم.

اللوحة التاسعة: «أضربكم ولا أخاف ضراً»

«الضَرْبُ بالضمّ: الضرر في النفس من مرض وهزال، والضرر علة
تمنعه من الجهاد مثل الزمانة، والضَرْبُ أيضاً هو حال الضَّير، وهو
الزَّمن، والضرر: الضَّيق، والضَّر والمضارة الاجتماع والإزدحام
عند النظر إلى شيء» (١).

وعلى أيّ المعاني حملت رجز المولى عليه السلام فهو تعبير عن غاية
الشجاعة ومنتهى الاستقامة والثبات في القتال أمام تلك الجموع،
فهو عليه السلام يضربهم ولا يخاف من شعل النيران والحجارة والسيوف والرماح
التي جعلته جرحاً واحداً من قرنه حتّى قدميه الشريفتين، لأنّ أعداء
الله القساة انهالوا عليه بكلّ أسلحتهم يحوطونه من جميع الجهات، وهو
يقاتلهم فرداً وترّاً لا ناصر له ولا معين.

فإن كانت الجراحات قد أخذت من بدنه المبطّع مأخذاً جسيماً،
وبلغ به العطش مبلغاً عظيماً، فإنّ شيئاً من ذلك لا يتسرّب إلى عزمه
وإرادته وهّمته وإقدامه واسترساله في الحرب والقتال، لا يخاف الضّر ولا

(١) انظر: لسان العرب، ومجمع البحرين مادة «ضرر».

يخاف القتل عند الملتقى.

وربما كان هذا الشطر تأكيداً لما ذكرناه في اللوحة الثامنة، إذ يقول لهم: إني لا أخاف ضراً تهدّدوني به وسأقاتلكم وأضربكم ضرباً طالبيّاً لئلا تطمعون في ما تحالونه خديعة تخدعونني بها.

اللوحة العاشرة: «ضرب همام يستهين الدهرا»

الهمام: السيّد الشجاع السخي، والهمام: الأسد، والهمام: اسم من أسماء الملك لعظم همته، ولأنّه إذا همّ بأمر أمضاه لا يردّ عنه، بل ينفذ كما أراد.

دمدم المولى الغريب عَلَيْهِ السَّلَام عليهم بضرباته، فسعر الأرض تحت أقدامهم جحيماً لا يطاق، فاضطرّهم إلى التوسّل به والتماس الميل إلى قبول الأمان، وهو يردّ عليهم بوصف ضرباته، ضربات همام بطل ضرغام يستهين الدهر، ضرب مستميت شجاع متمكّن يمضي في ما عزم عليه وأراد لا يردّ، بل ينفذ كما أراد، وهو يريد أن يهجم فيكرو ولا يفرّ يضرّهم ضرب زاهد في الدنيا راغب في الآخرة، معرض عن زهرة الحياة مقبل على إبادة الجيف التي يعلم أنّها ستقف - إن بقيت على قيد الحياة - في صفوف عسكر السقيفة لتقاتل ريحانة رسول الله ﷺ ...

اللوحة الحادية عشرة: «ضرب غلام قطّ لم يفرّاً»

استمرار في وصف ضرباته القاصمة، إنها ضربات الشباب المملوء بالحيويّة والقوّة والنشاط، ضربات الثابت الذي وتّد في الأرض قدمه، وأعار الله جمجمته، ورمى بنظره أقصى القوم، ضربات الراسخ الذي لا يتزحزح، يستقبل جموع الوحوش فيفري رقابها، ويستحلب أعناقها دماً..

تأكيد تلو التأكيد، ونفي بعد نفي، «قطّ» «لم» يفرّاً.. هكذا هو المولى الغريب عليه السلام لا يعرف الفرار ولا يخطر له على بال..

اللوحة الثانية عشرة: «ولا أقيم للأمان قدراً»

كيف يقيم المولى الغريب وسليل إبراهيم الخليل عليه السلام وعترته النبي صلى الله عليه وآله وصهر أمير المؤمنين وأخ سيّد الشهداء الحسين عليه السلام لأمانهم قدراً وصارمه بيمينه، وعينه تطرف، ودماء أبي طالب عليه السلام تجري في عروقه، لقد بدأها بقولته: «لا حاجة إلى أمان الغدرة الفجرة»، وها هو ذا يسفّه مقالهم، وينفي أيّ قيمة وقدر لأمانهم..

مشهد اللوحات

نرى المولى الغريب عليه السلام في رجزه المدمدم في ميدان القتال وقد برز ليواجه أكداس السلاح وقطعان الذئاب والوحوش الكاسرة المكشّرة

عن أنيابها شهوة في تمزيق أوصال الهيكل المقدّس، وقد دلعت ألسنتها
الحداد لتلغ في دماءه الزكيّة في حرب غطّى قتامها شعاع الشمس..
وأحرقت شعل نيرانها كلّ التاريخ.. وخلعت أفئدة الأحباب، وأذلت
قلوب المؤمنين دموعاً لا ترقأ إلى يوم الحساب.. ويقشعرّ الجلد من
سماع أخبارها.. ويهتزّ كيان الكون من تذكّار مآسيها..

إلا أنّ المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام وقف مطمئنّ النفس،
واثق الخطى، راسخ اليقين، ثابت الجنان، لا يكثرث بالأعداء.. ولا يعدّ
فيهم شجاعاً يستحقّ أن يحسب له حساب في موازين القتال، ولا
رجلاً يُحترم له مقال، فرفض أمانهم وأبى أن يستسلم لهم وهو يقوى
على المصاولة والنزال.

فحرام - والله - أن ينسب له أي تردّد أو كراهيّة للموت، أو خوف
من جراحة، أو ضعف في القتال، أو قبول للأمان وقد نفاه صراحة، إنّما
هي المقادير تجري كما أراد لها المقدّر المتعال..

عطشه عليا

قال ابن قتيبة:

«.. فلما أسربعت الرجال، فقال: اسقوني ماءً.

قال: ومعه رجل من بني أبي معيط، ورجل من بني سليم يقال له: شهر بن حوشب، فقال له شهر بن حوشب: لا أسقيك إلا من البئر، فقال المعيطي: والله لا نسقيه إلا من الفرات.
قال: فأمر غلاماً له، فأتاه بإبريق من ماء، وقدح قوارير ومنديل.

قال: فسقاه، فتمضمض مسلم، فخرج الدم، فما زال يمسح

الدم، ولا يسيغ شيئاً منه حتى قال: أخرّوه عني» (١) ...

وقال ابن أعثم والخوارزمي:

«ثم رجع موضعه فوقف وقال: اللهم! إنّ العطش قد بلغ منّي.

قال: فلم يجسر أحد أن يسقيه الماء ولا قرب منه ...

.. فجعل يقول: اسقوني شربة من الماء! فقال له مسلم بن

عمرو الباهلي: والله لا تذوق الماء يا ابن عقيل أو تذوق

الموت!

فقال له مسلم بن عقيل: ويلك يا هذا! ما أجفاك وأفظك

وأغلظك! أشهد عليك أنك إن كنت من قريش فأنتك ملصق،

وإن كنت من غير قريش فأنتك مدّع إلى غير أبيك، من أنت

يا عدوّ الله؟

فقال: أنا من عرف الحقّ إذ أنكرته، ونصح لإمامه إذ غششته،

وسمع وأطاع إذ خالفته، أنا مسلم بن عمرو الباهلي!

فقال له مسلم بن عقيل: أنت أولى بالخلود والحميم، إذ أثرت

طاعة بني سفيان على طاعة الرسول محمد صلّى الله عليه وآله.

ثمّ قال مسلم بن عقيل عليه السلام: ويحكم يا أهل الكوفة! اسقوني

شربة من ماء!

فأتاه غلام لعمر بن حريث الباهليّ بقلّة فيها ماء وقدح فيها،
فناولهُ القلّة، فكلّمَا أراد أن يشرب امتلأ القدح دماً، فلم يقدر
أن يشرب من كثرة الدم، وسقطت ثنيتاه في القدح، فامتنع
مسلم بن عقيل رضي الله عنه من شرب الماء» (١) ..

وقال ابن شهرآشوب:

«فضربه بكير بن حمران الأحمريّ على شفته العليا، وضربه
مسلم في جوفه فقتله، وطعن من خلفه فسقط من فرسه
فأسر.

فقال مسلم: اسقوني شربة من ماء، فأتاه غلام عمرو بن
حريث بشربة زجاج، وكانت تملأ دماً، وسقطت فيه
ثنيتاه» (٢) ..

(١) الفتوح لابن أعمش: ٥ / ٥٣ وما بعدها، مقتل الحسين رضي الله عنه للخوارزمي: ١ / ٢٠٨
وما بعدها.

(٢) المناقب لابن شهرآشوب: ١٠ / ٣١٩.

تنبيهات

التنبيه الأول: الاستسقاء

الاستسقاء وطلب الماء ليس فيه هوان، ولانزول إلى الدنيّة، ولا يخالف الإباء والحفاظ والأنفة والعزّة، وهو يختلف عن شكاية الجوع وطلب الطعام..

فالماء قد وفّره الله وجعله للمخلوقات شرعاً سواءً، وغطّى به وجه البسيطة حتّى صار الماء فيها أكثر من اليابسة، وجعل صبر الإنسان على الطعام أشدّ وأكثر من صبره على الماء والظمأ، وسرعان ما يؤثّر العطش في الأعضاء، فيحول بين الظمآن وبين السماء كالدخان، فلا يقوى على النظر ويمنعه من الرؤية، ويفتّ الكبد ويلهبه بسعيه، ويحرق حبة القلب، ويحجّف الفم واللسان، ويشلّ اليد والرجل وباقي الأعضاء،

ويكبس الروح ويخنقها..

أما الطعام والكلاء فقد جعله الله لمن يجد ويعمل ويحاول ويحتال في طلبه، وأمره أن يسعى لتحصيله بحول الله وقوته.

قال الصادق ؑ في حديث المفضل المعروف:

«واعلم - يا مفضل - أن رأس معاش الإنسان وحياته الخبز والماء فانظر كيف دبر الأمر فيهما، فإن حاجة الإنسان إلى الماء أشد من حاجته إلى الخبز، وذلك أن صبره على الجوع أكثر من صبره على العطش، والذي يحتاج إليه من الماء أكثر مما يحتاج إليه من الخبز، لأنه يحتاج إليه لشربه ووضوئه وغسله وغسل ثيابه وسقي أنعامه وزرعه، فجعل الماء مبدولاً لا يشتري، لتسقط عن الإنسان المؤونة في طلبه وتكلفه، وجعل الخبز متعذراً لا ينال إلا بالحيلة والحركة» (١) ..

وقد نشأت الأخلاق والشيم عند الإنسان المتخلق بالأخلاق الحميدة على ذلك، فهم لا يرون في الاستسقاء وطلب الماء عيباً ولا عاراً ولا منقصة ولا مذلة، ولا خادشاً للعفة والحياء والعزة والإباء، فيما يترفعون عن شكاية الجوع والاستطعام.

قال الشيخ التستري في الخصائص الحسينية:

«إِنَّ الطَّعَامَ كَانَ مَفْقُوداً عَنْهُمْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَلِذَا قَالَ السَّجَّادُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): قَتَلَ ابْنُ رَسُولِ اللَّهِ جَائِعاً، قَتَلَ ابْنُ رَسُولِ اللَّهِ عَطْشَاناً، لَكِنْ مِنْ جَهَةِ شِدَّةِ الْعَطَشِ لَمْ يَتَحَقَّقْ ذِكْرُ الْإِسْطِعَامِ، لِأَنَّهُ مَذَلَّةٌ عَظِيمَةٌ لَا تَحْمِلُهَا النُّفُوسُ الْأَبْيَّةُ، بَلْ وَتَسْتَنْكَفُ الْإِطْعَامَ وَإِنْ حَصَلَ بِدُونِ اسْتِعْطَامٍ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ. وَلِذَا لَمَّا أُطْعِمَ أَهْلُ الْكُوفَةِ الْأَطْفَالَ التَّمْرَ وَالْجُوزَ صَاحَتْ بِهِمْ أُمُّ كَلْثُومٍ (عَلَيْهَا السَّلَامُ): يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ إِنَّ الصَّدَقَةَ عَلَيْنَا حَرَامٌ، وَأَخَذَتْ هِيَ وَزَيْنَبُ مَا فِي أَفْوَاهِ الْأَطْفَالِ، وَرَمَتْهُ إِلَيْهِمْ، فَإِنَّ الطَّعَامَ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ صَدَقَةٌ فِيهَا إِهَانَةٌ وَذَلَّةٌ، فَيَحْرَمُ عَلَيْهِمْ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ زَكَاةً».

التنبيه الثاني: العطش وطبيعة الحرب

إِنَّ طَبِيعَةَ الْحَرْبِ وَالْقِتَالِ، وَالْمُبَارَاةَ وَالْمُصَاوَلَةَ، وَثُورَانَ النَّقْعِ وَالنَّجِيعِ، وَالنَّزْفَ وَالْجَرَاحَاتِ تَقْتَضِي الْعَطَشَ، بَغْضَ النَّظَرِ عَنْ وَقُوعِ ذَلِكَ فِي الصَّيْفِ أَوْ فِي الشِّتَاءِ، وَفِي الْحَوْ الْبَارِدِ أَوْ الْحَوْ الْحَارِّ، وَفِي الْقَرَأِ الْحَرِّ.

التنبيه الثالث: الإباء الطالبِي

رغم ما ألّم بالبطل الهاشمي من جراح وغربة بحيث لم تسلم فيه من جارحة، وصار كأثّة الشجرة، لأنه كان مشتجراً للسهم والرماح، ورغم النزف الذي جعل من بدنه كالقوّارة من الدماء، ورغم أسره بعد أن بذل غاية المجهود وأعذر في قتال الأعداء.

بيد أنّه ردّ على الوغد الوقح الذي تجاسر على ساحته، فلئن كلّ السيف والسنان، فإنّ سلاحه الماضي لا يكلّ، فكان لسانه الهاشمي العقيليّ أشدّ عليهم من السيوف والأسنة والرماح، فردّ على الجبان قولته بقصف عنيف، ونزلت كلماته عليهم أشدّ من الصواعق، وألذع من لهب النيران..

التنبيه الرابع: مواساة سيّد الشهداء عليه السلام

المواساة طبع غرسه الله في الإنسان وجعل معرفتها تحسّ بالفطرة، وجعل العلم بها ممّا يكون فيه صلاح الدين والدنيا.

قال الإمام الصادق عليه السلام في حديث المفضّل المعروف:

«فكر - يا مفضّل - فيما أعطي الإنسان علمه وما منع، فإنّه أعطي جميع علم ما فيه صلاح دينه ودنياه، فمّا فيه صلاح دينه معرفة الخالق - تبارك وتعالى - بالدلائل والشواهد القائمة

في الخلق ومعرفة الواجب عليه من العدل على الناس كافة
وبرّ الوالدين وأداء الأمانة ومواساة أهل الخلّة، وأشباه ذلك ممّا
قد توجد معرفته والإقرار والاعتراف به في الطبع والفطرة من
كلّ أمة موافقة أو مخالفة» (١) ..

ومواساة سيّد الشهداء عليه الرتبة ومقام ومنزلة ودرجة رفيعة لا
تتنسّى لكلّ أحد، فقد تنافس فيها الأنبياء والأوصياء من قبل أن تزدهر
هذه الدنيا بنور الوجود العنصريّ لسيّد الشهداء عليه.

روى ابن قولويه في كامل الزيارات عن أبي عبد الله عليه قال:

«إِنَّ إِسْمَاعِيلَ الَّذِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ: ﴿وَاذْكُرْ فِي
الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ لَمْ
يَكُنْ إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ، كَانَ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ بَعَثَهُ اللَّهُ
إِلَى قَوْمِهِ، فَأَخَذُوهُ فَسَلَخُوا فَرْوَةَ رَأْسِهِ وَوَجْهَهُ، فَأَتَاهُ مَلِكٌ عَنْ
اللَّهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكَ، فَمُرْنِي بِمَا
شِئْتُ، فَقَالَ: لِي أَسْوَةٌ بِمَا يَصْنَعُ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ» (٢).

وروى المجلسي في البحار:

(١) توحيد المفصل: ٨١.

(٢) كامل الزيارات لابن قولويه: ٦٤ باب ١٩.

«إِنَّ آدَمَ لَمَّا هَبَطَ إِلَى الْأَرْضِ لَمْ يَرْحَوْا، فَصَارَ يَطُوفُ الْأَرْضَ فِي طَلِبِهَا، فَمَرَّ بِكَرْبَلَاءَ فَاغْتَمَّ وَضَاقَ صَدْرُهُ مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ، وَعَثَرَ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي قُتِلَ فِيهِ الْحُسَيْنُ حَتَّى سَالَ الدَّمُ مِنْ رِجْلِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ: إِلَهِي، هَلْ حَدَثَ مِنِّي ذَنْبٌ آخَرُ فَعَاقَبْتَنِي بِهِ؟! فَإِنِّي طُفْتُ جَمِيعَ الْأَرْضِ وَمَا أَصَابَنِي سَوْءٌ مِثْلَ مَا أَصَابَنِي فِي هَذِهِ الْأَرْضِ!!

فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: يَا آدَمُ مَا حَدَثَ مِنْكَ ذَنْبٌ، وَلَكِنْ يَقْتُلُ فِي هَذِهِ الْأَرْضِ وَلَدُكَ الْحُسَيْنَ ظُلْمًا، فَسَالَ دَمُكَ مُوَافَقَةً لِدَمِهِ» (١) ..

وهكذا كان مع غيرهما من الأنبياء والأوصياء ؑ، فربما استعمل المواساة كما فعل إسماعيل ؑ، أو استعمل المحاكاة والموافقة كما حدث لآدم ؑ وغيره.

والمولى الرائد مسلم بن عقيل ؑ في درجته الرفيعة، ومقامه السامي، ومنزلته الخاصة عند الله وعند الأئمة ؑ تسبم ذرى الشرف بمواساته لسيد الشهداء ؑ في غربته ووحدته وعطشه ومحاصرته وتكاثرهم عليه، وكثرة جراحاته وافتراق القوم عليه فرقاً ضرباً بالسيوف،

وطعناً بالرماح، ورمياً بالسهم، ورضخاً بالحجارة والنار..

التنبيه الخامس: شكى عطشه إلى الله أولاً

لقد بلغ العطش بمولانا الغريب عليه السلام مبلغاً عظيماً، فجعله يشكو حاله إلى الله أولاً «ثم رجع موضعه فوقف وقال: اللهم! إنَّ العطش قد بلغ منِّي».

وربما كانت الشكوى هذه تعبيراً عن «غاية المجهود» الذي بذله بحيث أثر فيه العطش تأثيراً بالغاً عظيماً وجراحاته تشخب دماً، فحال دون استمراره في القتال، فجاءته الطعنة ليسقط إلى الأرض.

التنبيه السادس: امتناعه عن شرب الماء

أرأيت طهارة ونبلاً وسموّاً ورفعة وخلقاً رفيعاً وتقوى وورعاً وصبراً مثل ما ترى في رجال سيّد الشهداء عليه السلام وسيوفه، وفي المولى الطالبّي الغريب عليه السلام؟

عطش وجراح مَزَّقَت بدنه تمزيقاً، ونزف سيّال غسل أعضائه غسلًا وضمّخه تضيخاً حتّى صار كياقوتة حمراء من رأسه حتّى قدميه - فداء لكلّ جرح من جروحه - وهو مع ذلك يأبى أن يشرب الماء وقد امتزج بدمه المتدفّق من شفتيه.

قاتلهم الله ولعنهم لعناً يرضي مولانا الغريب عليه السلام وفوق الرضا، أما

كان فيهم مخلوق قد شَمَّ في يوم من أيّام حياته رائحة الإحساس والوجدان، أو هبّت عليه في ساعة من ساعاته نسمة من ضمير أو شعور؟!

أما كان فيهم من يستلّ نصلاً من تلك النصال التي غرزت في بدن المولى الشريف أو يتناول كسراً من الرماح المتكسّرة عليه ويتخذ من أنابيب القنا وسيلة يطبق عليها المولى عليه السلام شفّتيه فيمرّ الماء إلى أحشائه ويبرد كبده قبل أن يختلط بها الماء؟

التنبيه السابع: سُقي وهو مكتوف

يبدو أنّ الجبناء «لم يجسر أحد منهم أن يسقيه الماء ولا قرب منه» (١) خوفاً وقرقاً من المولى عليه السلام، ولم يقترب منه أحد إلا بعد أن أوثقوه كثافاً، ويشهد لذلك إضافة إلى تعبير ابن قتيبة في الإمامة والسياسة، قال:

«فسقاه، فتمضمض مسلم، فخرج الدم، فما زال يمسح الدم، ولا يسيغ شيئاً منه حتّى قال: أخروه عني» (٢) ...

ولو كانت يد المولى عليه السلام خارج الكتاف لدفعه إليهم بيده وقال:

(١) انظر: الفتوح لابن أعمش: ٥ / ٥٣، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ٢٠٨.

(٢) الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ٢ / ١٠.

خذوه، مثلاً، فلمّا قال لهم: «أَحْرَوْه عَنِّي» أي أَحْرُوا الإِنَاءَ أو الماء وأبعدوه، يلزم أن يكون المتصرّف بالإِنَاء غيره.

التنبيه الثامن: سقوط ثنایاه

«وسقطت ثنیتاه في القدح، فامتنع مسلم بن عقيل من شرب الماء» (١) ..

لقد كانت ضربة اللعين بالسيف معترضاً وجه المولى المذكّر برسول الله ﷺ ضربة قاسية همجية نزلت على محيّا الغريب ﷺ لتشكّل زاوية منفرجة تقوم على حدّ السيف من جهة وأعلى الشفة دون الأنف الشامخ من جهة ثانية، لأنّها استطاعت أن تقطع الشفة وتغوص إلى الأسنان الشريفة ثمّ تسرع في الشفة السفلى.

ويبدو أنّها كانت ضربة بطرف السيف، وأنّ اللعين ضربه وهو في أقصى ما يكون مبتعداً عن المولى ﷺ مستفيداً من مسافة مدّ يده منبسطة وطول السيف كلّه، وبذلك يستطيع أن يوظّف انحناءتين أحدهما انحناء الضربة، والثانية انعطاف طرف السيف.

ورغم تعبير المؤرّخ عن الثنايا أنّها نصلت غير أنّ سقوطها في الإِنَاء

(١) الفتوح لابن أعمش: ٥ / ٥٣ وما بعدها، مقتل الحسين ﷺ للخوارزمي: ١ / ٢٠٨ وما بعدها.

يعني أنها كانت لا زالت عالقة في فمه الشريف.

فلما سقي الماء، لابد أن يكون الإناء قد عمل فيها فأسقطها، إمّا لعدم وجود شفة تحميها، أو لارتجاف الساقى وارتعاش يده خوفاً من اقترابه من المولى عليه السلام، أو لفظاظة الساقى وتعامله بجلفية وقساوة مع المولى عليه السلام بالخصوص إذا قلنا أن المولى عليه السلام سُقي وهو مكتوف الوثاق.

التنبيه التاسع: خسة العدو ونذالته

أتبلغ الخسة والنذالة واللؤم والانحطاط والتكر للقيم بمخلوق إلى حدّ يمتنع فيه عن سقي الماء، ويمتنع عن سقي الماء العذب ويعدل عنه إلى ماء البئر، وماء البئر أجاج مالح يزيد العطشان عطشاً، ويحرق الجرح ويؤجج الألم، وهم يعلمون أن المولى الغريب عليه السلام بطل همام وضرغام من آل خير الأنام وقد رأوا بطولاته وشجاعته وكرامته وكرمه.

هكذا هم أعداء سيّد الشهداء عليه السلام لا يبغيون حولاً عن سلاح الجبناء وطريقة الحقراء وأولاد البغايا الرخيصات التنتات.

لك الله يا غريباً، يا وحيداً، يا وتركوفان، يا عطشاناً، يا دمعة سيّد الرسل ﷺ ودمعة الإمام الغريب العطشان عليه السلام ..

بأبي أنت وأمي ونفسي ومالي وأهلي .. فداك روحي، يا مظلوماً على مرّ العصور وكرّ الدهور وطول الزمان، «حتى يبعث الله قائماً يفرّج عنا ألهم والكربات» ..

موادّ البحث

إنّ ما مرّ من دراسة وبحث احتوت على نصوص تكرر توظيفها أحياناً بحكم الحاجة إليها في مواضع متعدّدة، أو لحاظات شتّى مختلفة. وثمة نصوص أخرى استفدنا منها مرّة واحدة بحكم الحاجة إليها. وسنذكر هنا النصوص الأكثر استخداماً، لتكون في متناول القارئ الكريم، فربما قرأها وفهم منها غير ما فهمنا، أو تلقّف ما فاتنا وكان بالإمكان الاستفادة منه في بحثنا فلم نثبتته، هذا من جهة. ومن جهة أخرى ربما فاتنا في موضع من مواضع البحث أن نرجع إلى المصدر، فاتّه سيجده هنا، إن شاء الله تعالى.

ابن سعد (ت ٢٣٠):

«وجاء الليل، فهرب! مسلم حتّى دخل على امرأة من كندة

يقال لها: طوعة، فاستجار بها.

وعلم بذلك محمد بن الأشعث بن قيس، فأخبر به عبيد الله ابن زياد، فبعث إلى مسلم، فجيء به، فأثبه وبكته، وأمر بقتله» (١).

ابن قتيبة (ت ٢٧٦):

«قال: وأرسل جماعة إلى مسلم بن عقيل، فخرج عليهم بسيفه، فما زال يقاتلهم حتى أخرج وأسر.

فلما أسربعت الرجال، فقال: اسقوني ماءً، قال: ومعه رجل من بني أبي معيط، ورجل من بني سليم يقال له: شهر بن حوشب، فقال له شهر بن حوشب: لا أسقيك إلا من البئر، فقال المعيطي: والله لا نسقيه إلا من الفرات.

قال: فأمر غلاماً له، فأتاه بإبريق من ماء، وقدح قوارير ومنديل.

قال: فسقاه، فتمضمض مسلم، فخرج الدم، فما زال يمسح الدم، ولا يسيغ شيئاً منه حتى قال: أخروه عني» (٢) ...

(١) الطبقات الكبرى: خ ٥ / ٤٦١.

(٢) الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ٢ / ١٠.

البلاذري (ت ٢٧٩):

«فوجّه ابن زياد من الوجوه من يأتيه به، وفيهم محمد بن الأشعث، فلما أحسّ مسلم برسول ابن زياد، خرج بسيفه، واقتحموا عليه الدار، فاختلف هو وبكير بن حمران الأحمريّ ضربتين، فضرب بكير فم مسلم، فقطع شفته العليا، وأسرع في شفته السفلى، فنصّلت ثنيتاه، وضرب (مسلم عليه السلام) بكيراً ضربة على رأسه وأخرى على حبل عاتقه.

(وأخذ مسلم عليه السلام) فأتي به ابن زياد، وقد آمنه (محمد) ابن الأشعث فلم ينفذ أمانه» (١)..

البلاذري:

«فجاء رجل إلى محمد بن الأشعث وهو جالس عند ابن زياد فأخبره بذلك، فقال (ابن الأشعث) لابن زياد: إنّه قال لي: إنّ مسلماً في دار فلان، فقال: ائتوني به.

فدخل (ابن الأشعث) عليه وهو عند امرأة قد أوقدت ناراً، فهي تغسل عنه الدم، فقالوا له: انطلق إلى الأمير.

فقال: عفواً.

قالوا: ما نملك ذلك.

فانطلق معهم فلما رآه أمر به فكتف» (١) ..

الدينوري (ت ٢٨٢):

«فقال ابن زياد: ما سار به ابنك؟

قال: أخبرني إن مسلم بن عقيل في بعض دورنا.

فقال: انطلق، فأتني به الساعة.

وقال لعبيد بن حريث: ابعث مائة رجل من قريش، وكره أن

يبعث إليه غير قريش خوفاً من العصبية أن تقع.

فأقبلوا حتى أتوا الدار التي فيها مسلم بن عقيل، ففتحوها،

فقاتلهم، فرمي، فكسرفوه، وأخذ، فأتي بيغلة فركبها، وصاروا

به إلى ابن زياد» (٢) ..

اليعقوبي (ت ٢٩٢):

«فقام فخرج من عنده، ووجه بالشرط يطلبون مسلماً، وخرج

وأصحابه، وهو لا يشك في وفاء القوم، وصحة نياتهم، فقاتل

(١) أنساب الأشراف: ٣ / ٢٢٤.

(٢) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٤٠.

عبيد الله، فأخذه، فقتله عبيد الله» (١) ..

الطبري (ت ٣١٠)، الشجري، المزي (٧٤٢)، ابن حجر:

«فبعث عبيد الله عمرو بن حريث المخزومي - وكان صاحب شرطه - إليه، ومعه عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، فلم يعلم مسلم حتى أحيط بالدار، فلما رأى ذلك مسلم خرج إليهم بسيفه فقاتلهم، فأعطاه عبد الرحمن الأمان، فأمكن من يده، فجاء به إلى عبيد الله» (٢) ..

الطبري:

«فنخس بالقضيب في جنبه ثم قال: قم فأتني به الساعة. قال أبو مخنف: فحدّثني قدامة بن سعيد بن زائدة بن قدامة الثقفي: أنّ ابن الأشعث حين قام ليأتيه بآبن عقيل بعث إلى عمرو بن حريث، وهو في المسجد خليفته على الناس: أن ابعث مع ابن الأشعث ستين أو سبعين رجلاً كلّهم من قيس وإنما كره أن يبعث معه قومه، لأنه قد علم أنّ كلّ قوم يكرهون

(١) تاريخ يعقوبي: ٢ / ٢٤٣.

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٠، الأمالي للشجري: ١ / ١٩١، تهذيب الكمال للمزي:

٦ / ٤٢٦، تهذيب التهذيب لابن حجر: ٢ / ٣٥١.

أن يصادف فيهم مثل ابن عقيل فبعث معه عمرو بن عبيد
الله بن عباس السلمي في ستين أو سبعين من قيس، حتى
أتوا الدار التي فيها ابن عقيل.

فلما سمع وقع حوافر الخيل وأصوات الرجال عرف أنه قد أتى،
فخرج إليهم بسيفه، واقتحموا عليه الدار، فشده عليهم يضربهم
بسيفه حتى أخرجهم من الدار.

ثم عادوا إليه، فشده عليهم كذلك، فاختلف هو وبكير بن
حمران الأحمري ضربتين، فضرب بكير فم مسلم فقطع شفته
العليا، وأشرع السيف في السفلى، ونصلت لها ثنيتاه، فضربه
مسلم ضربة في رأسه منكرة، وثنى بأخرى على حبل العاتق
كادت تطلع على جوفه.

فلما رأوا ذلك أشرفوا عليه من فوق ظهر البيت، فأخذوا يرمونه
بالحجارة، ويلهبون النار في أطنان القصب، ثم يقلبونها عليه
من فوق البيت.

فلما رأى ذلك خرج عليهم مصلتاً بسيفه في السكة فقاتلهم،
فأقبل عليه محمد بن الأشعث فقال: يا فتى، لك الأمان، لا
تقتل نفسك، فأقبل يقاتلهم، وهو يقول:

أقسمت لا أقتل إلا حراً وإن رأيت الموت شيئاً نكراً

كَلَّ امرئ يوماً ملاقٍ شَرًّا ويخلط البارد سخناً مرًّا
رَدَّ شعاع الشمس فاستقرًّا أخاف أن أكذب أو أغرًّا

فقال له محمد بن الأشعث: إئتكَ لا تكذب ولا تخدع ولا تغرّ،
إنَّ القوم بنو عمّك، وليسوا بقاتليك ولا ضاريك، وقد أئخن
بالحجارة، وعجز عن القتال وانهر، فأسند ظهره إلى جنب
تلك الدار، فدنا محمد بن الأشعث فقال: لك الأمان، فقال:
آمن أنا؟ قال: نعم، وقال القوم: أنت آمن، غير عمرو بن عبيد
الله بن العباس السلمي، فإِنَّه قال: لا ناقة لي في هذا ولا
جمل، وتنحى.

وقال ابن عقيل: أما لو لم تؤمنوني ما وضعت يدي في أيديكم.
وأتي ببغلة فحمل عليها، واجتمعوا حوله، وانتزعوا سيفه من
عنقه، فكأته عند ذلك آيس من نفسه، فدمعت عيناه، ثم
قال: هذا أول الغدر، قال محمد بن الأشعث: أرجو ألا يكون
عليك بأس، قال: ما هو إلا الرجاء، أين أمانكم! إنا لله وإنا
إليه راجعون! وبكى.

فقال له عمرو بن عبيد الله بن عباس: إنَّ من يطلب مثل
الذي تطلب إذا نزل به مثل الذي نزل بك لم يبك.

قال: إني والله ما لنفسِي أبكي، ولأها من القتل أرثي، وإن

كنت لم أحب لها طرفة عين تلفاً، ولكن أبكي لأهلي المقبلين
إليّ، أبكي لحسين وآل حسين!

ثم أقبل على محمد بن الأشعث فقال: يا عبد الله، إنّي أراك
- والله - ستعجز عن أمانى، فهل عندك خير! تستطيع أن
تبعث من عندك رجلاً على لساني يبلغ حسيناً، فإنّي لا أراه
إلا قد خرج إليكم اليوم مقبلاً، أو هو خرج غداً هو وأهل بيته،
وإنّ ما ترى من جزعى لذلك، فيقول: إنّ ابن عقيل بعثني
إليك، وهو في أيدي القوم أسير لا يرى أن يمسي. حتّى يقتل،
وهو يقول: ارجع بأهل بيتك، ولا يغرك أهل الكوفة، فإنّهم
أصحاب أبيك الذي كان يتمنى فراقهم بالموت أو القتل، إنّ
أهل الكوفة قد كذبوك وكذبوني، وليس لمكذب رأي.

فقال ابن الأشعث: والله لأفعلنّ، ولأعلمنّ ابن زياد أنّي قد
أمنتك.

قال أبو مخنف: فحدّثني جعفر بن حذيفة الطائيّ - وقد عرف
سعيد بن شيبان الحديث - قال:

دعا محمد بن الأشعث أياس بن العثّل الطائيّ من بني مالك
ابن عمرو بن ثمامة، وكان شاعراً، وكان لمحمد زوّاراً، فقال له:
القي حسيناً فأبلغه هذا الكتاب، وكتب فيه الذي أمره ابن

عقيل، وقال له: هذا زادك وجهازك، ومتعة لعيالك، فقال: من أين لي براحلة، فإنّ راحلتي قد أنضيتها؟ قال: هذه راحلة فاركبها برحلتها.

ثمّ خرج فاستقبله بزباله لأربع ليال، فأخبره الخبر، وبلغه الرسالة، فقال له حسين:

كلّ ما حمّ نازل، وعند الله نحتسب أنفسنا وفساد أمتنا» (١).

الطبري:

قال: إنّ مسلماً في دار فلان، قال ابن زياد لرجلين: انطلقا فأتياي به، فدخلا عليه وهو عند امرأة قد أوقدت له النار، فهو يغسل عنه الدماء، فقالا له: انطلق، الأمير يدعوك، فقال: اعقدا لي عقداً، فقالا: ما نملك ذاك، فانطلق معهما حتّى أتاه فأمر به فكتف» (٢) ..

ابن أعثم (ت ٣١٤):

«قال: ثمّ أمر عبيد الله بن زياد خليفته عمرو بن حريث

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧٣ وما بعدها، البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥٨،

نفس المهموم للقمي: ١١٣.

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٩١.

المخزومي أن يبعث مع محمد بن الأشعث ثلاثمائة راجل من صناديد أصحابه.

قال: فركب محمد بن الأشعث حتى وافى الدار التي فيها مسلم ابن عقيل.

قال: وسمع مسلم بن عقيل وقع حوافر الخيل وزعقات الرجال، فعلم أنه قد أتى في طلبه، فبادر عليه السلام إلى فرسه فأسرجه وألجمه، وصبّ عليه درعه، واعتجربعمامة، وتقلّد بسيفه، والقوم يرمون الدار بالحجارة، ويلهبون النار في نواحي القصب.

قال: فتبسّم مسلم عليه السلام، ثم قال: يا نفس! اخرجي إلى الموت الذي ليس منه محيص ولا محيد.

ثم قال للمرأة: أي رحمك الله وجزاك عني خيراً! اعلمي إنما أوتيت من قبل ابنك، ولكن افتحي الباب.

قال: ففتحت الباب، وخرج مسلم في وجوه القوم كأنه أسد مغضب، فجعل يضاربهم بسيفه حتى قتل منهم جماعة.

وبلغ ذلك عبيد الله بن زياد، فأرسل إلى محمد بن الأشعث وقال: سبحان الله! يا عبد الله! بعثناك إلى رجل واحد تأتيننا به فأثلم في أصحابي ثلثة عظيمة.

فأرسل إليه محمد بن الأشعث: أيها الأمير! أما تعلم أنك بعثتني

إلى أسد ضرغام، وسيف حسام، في كف بطل همام، من آل
خير الأنام..

قال: فأرسل إليه عبيد الله بن زياد: أن أعطه الأمان، فإنك لن
تقدر عليه إلا بالأمان.

فجعل محمد بن الأشعث يقول: ويحك يا ابن عقيل! لا تقتل
نفسك، لك الأمان! ومسلم بن عقيل يقول: لا حاجة إلى
أمان الغدرة، ثم جعل يقاتلهم وهو يقول:

أقسمت لا أقتل إلا حرًا ولو وجدت الموت كأساً مرًا
أكره أن أخدع أو أغرًا كل امرئ يوماً يلاقي شرًا
أضربكم ولا أخاف ضرًا

قال: فناده محمد بن الأشعث وقال: ويحك يا ابن عقيل! إنك
لا تكذب ولا تغرّ، القوم ليسوا بقاتليك فلا تقتل نفسك.

قال: فلم يلتفت مسلم بن عقيل رضي الله عنه إلى كلام ابن الأشعث،
وجعل يقاتل حتى أثنى بالجراح وضعف عن القتال، وتكاثروا
عليه، فجعلوا يرمونه بالنبل والحجارة.

فقال مسلم: ويلكم! ما لكم ترمونني بالحجارة كما ترمى
الكفار! وأنا من أهل بيت الأنبياء الأبرار، ويلكم! أما ترعون
حق رسول الله صلى الله عليه وآله وذريته.

قال: ثمّ حمل عليهم على ضعفه، فكسرهم وفرّقهم في الدروب، ثمّ رجع وأسند ظهره إلى باب دار هناك، فرجع القوم إليه فصاح بهم محمّد بن الأشعث: ذروه حتّى أكلمه بما يريد.

قال: ثمّ دنا منه ابن الأشعث حتّى وقف قبالة وقال: ويلك! يا ابن عقيل! لا تقتل نفسك، أنت آمن ودمك في عنقي.

فقال له مسلم: أنظنّ - يا ابن الأشعث - أنّي أعطي بيدي أبداً، وأنا أقدر على القتال! لا والله لا كان ذلك أبداً! ثمّ حمل عليه حتّى ألحقه بأصحابه.

ثمّ رجع موضعه فوقف وقال: اللهم! إنّ العطش قد بلغ منّي. قال: فلم يجسر أحد أن يسقيه الماء ولا قرب منه.

فأقبل ابن الأشعث على أصحابه وقال: ويلكم! إنّ هذا هو العار والفشل أن تجزعوا من رجل واحد هذا الجزع، احملوا عليه بأجمعكم حملة واحدة.

قال: فحملوا عليه وحمل عليهم، فقصد من أهل الكوفة رجل يقال له: "بكير بن حمران الأحمري"، فاختلفا بضربتين، فضربه بكير ضربة على شفته العليا، وضربه مسلم بن عقيل ضربة فسقط إلى الأرض قتيلاً.

قال: فطعن من ورائه طعنة، فسقط إلى الأرض، فأخذ أسيراً،

ثمّ أخذ فرسه وسلاحه .

وتقدّم رجل من بني سليمان يقال له: "عبيد الله بن العباس"

فأخذ عمامته، فجعل يقول: اسقوني شربة من الماء!

فقال له مسلم بن عمرو الباهليّ: والله لا تذوق الماء يا ابن

عقيل أو تذوق الموت!

فقال له مسلم بن عقيل: ويلك يا هذا! ما أجفاك وأفظّك

وأغلظك! أشهد عليك أنّك إن كنت من قريش فإثك مصلق،

وإن كنت من غير قريش فإثك مدّع إلى غير أبيك، من أنت

يا عدوّ الله؟

فقال: أنا من عرف الحقّ إذ أنكرته، ونصح لإمامه إذ غششته،

وسمع وأطاع إذ خالفته، أنا مسلم بن عمرو الباهليّ!

فقال له مسلم بن عقيل: أنت أولى بالخلود والحميم، إذ آثرت

طاعة بني سفيان على طاعة الرسول محمد ﷺ.

ثمّ قال مسلم بن عقيل رحمته الله: ويحكم يا أهل الكوفة! اسقوني

شربة من ماء!

فأتاه غلام لعمر بن حريث الباهليّ بقلة فيها ماء وقدر فيها،

فناولها القلة، فكلّمها أراد أن يشرب امتلاً القدح دماً، فلم يقدر

أن يشرب من كثرة الدم، وسقطت ثنيتاه في القدح، فامتنع

مسلم بن عقيل عليه السلام من شرب الماء.

قال: وأتي به حتى أدخل على عبيد الله بن زياد» (١) ..

ابن عبد ربّه (ت ٣٢٨):

«وأرسل إلى مسلم بن عقيل، فخرج إليهم بسيفه، فما زال

يقاتلهم حتى أثنوه بالجراح، فأسروه» (٢) ..

المسعودي (ت ٣٤٦):

«فمضى ابن الأشعث إلى ابن زياد فأعلمه، فقال: انطلق فأتني

به، ووجه معه عبد الله بن العباس السلمي في سبعين رجلاً،

فاقتحموا على مسلم الدار، فثار عليهم بسيفه، وشدّ عليهم

فأخرجهم من الدار، ثمّ حملوا عليه الثانية، فشدّ عليهم

وأخرجهم أيضاً.

فلما رأوا ذلك علوا ظهر البيوت فرموه بالحجارة، وجعلوا

يلهبون النار بأطراف القصب، ثمّ يلقونها عليه من فوق

البيوت، فلما رأى ذلك قال: أكلّ ما أرى من الأجلاب لقتل

(١) الفتوح لابن أعمش: ٥ / ٥٣ وما بعدها.

(٢) العقد الفريد لابن عبد ربّه: ٥ / ١٢٧، جواهر المطالب للباغوني: ٢ / ٢٦٨.

مسلم بن عقيل؟ يا نفس اخرجي إلى الموت الذي ليس عنه
محيص، فخرج إليهم مصلاً سيفه إلى السكة، فقاتلهم،
واختلف هو وبكير بن حمران الأحمري ضربتين: فضرب بكير فم
مسلم فقطع السيف شفته العليا وشرع في السفلى، وضربه
مسلم ضربة منكرة في رأسه، ثم ضربه أخرى على حبل
العاتق، فكاد يصل إلى جوفه، وهو يرتجز ويقول:

أقسم لا أقتل إلا حراً وإن رأيت الموت شيئاً مرّاً
كل امرئ يوماً ملاقٍ شراً أخاف أن أكذب أو أغرّاً

فلما رأوا ذلك منه تقدّم إليه محمد بن الأشعث فقال له: فإنك
لا تكذب ولا تغرّ، وأعطاه الأمان، فأمكنهم من نفسه، وحملوه
على بغلة وأتوا به ابن زياد وقد سلبه ابن الأشعث حين أعطاه
الأمان سيفه وسلاحه، وفي ذلك يقول بعض الشعراء في كلمة
يهجو فيها ابن الأشعث:

وتركت عمك أن تقاتل دونه فشلاً ولولا أنت كان منيعاً
وقتلته وافد آل بيت محمد وسلبت أسياً فآله ودروعاً» (١)

ابن حَبَّان (ت ٣٥٤):

«فأنفذ عبيد الله بن زياد إلى دار المرأة محمد بن الأشعث بن قيس في ستين رجلاً من قيس، فجاءوا حتى أحاطوا بالدار، فجعل مسلم يحاربهم عن نفسه حتى كلّ وملّ، فآمنوه فأخذوه» (١)..

أبو الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦):

«.. فنخسه ابن زياد بالقضيب في جنبه ثم قال: قم فأتني به الساعة.

قال أبو مخنف: فحدّثني قدامة بن سعد بن زائدة الثقفي: أنّ ابن زياد بعث مع ابن الأشعث ستين أو سبعين رجلاً كلّهم من قيس، عليهم [عمرو بن] عبيد الله بن العبّاس السلمي حتى أتوا الدار التي فيها ابن عقيل.

فلما سمع وقع حوافر الخيل وأصوات الرجال، عرف أنّه قد أتى، فخرج إليهم بسيفه، فاقتحموا عليه الدار، فشدّ عليهم كذلك. فلما رأوا ذلك أشرفوا عليه من فوق السطوح وظهروا فوقه، فأخذوا يرمونه بالحجارة، ويلهبون النيران في أطنان القصب ثمّ

يقذفونها عليه من فوق السطوح.

فلَمَّا رأى [ذلك] قال: أَكَلَمَّا أرى من الإِجْلاب لقتل ابن عَقيْل؟ يا نفس اخرجي إلى الموت الذي ليس منه مَحْيَص، فخرج رضوان الله عليه مصلتاً سيفه إلى السكّة، فقاتلهم، فأقبل عليه مُحَمَّد بن الأشعث، فقال: يا فتى، لك الأمان، لا تقتل نفسك. فأقبل يقاتلهم وهو يقول:

أقسمت لا أقتل إلا حراً وإن رأيت الموت شيئاً نكراً
أخاف أن أكذب أو أغرأ أو يخلط البارد سخناً مرأ
ردّ شعاع الشمس فاستقرأ كل امرئ يوماً ملاقٍ شراً
قال له مُحَمَّد بن الأشعث: إنك لا تكذب ولا تغرأ، إن القوم
ليسوا بقاتليك ولا ضاربك.

وقد أثنى بالجراح وعجز عن القتال فأنهر، وأسند ظهره إلى دار
بجنب تلك الدار، فدنا منه مُحَمَّد بن الأشعث فقال له: لك
الأمان، فقال له مسلم: آمن أنا؟ قال: نعم أنت آمن، فقال
القوم جميعاً: نعم غير عبيد الله بن العباس السلمي، لأنه قال:
لا ناقة لي في هذا ولا جمل، وتنحى. فقال ابن عقيْل: إني والله
لولا أمانكم ما وضعت يدي في أيديكم.

وأتى ببغلة فحمل عليها، فاجتمعوا عليه، فنزعوا سيفه من

عنقه، فكأنه آيس من نفسه، فدمعت عينه، وعلم أن القوم قاتلوه، وقال: هذا أول الغدر.

فقال له محمد بن الأشعث: أرجو ألا يكون عليك بأس.
فقال: ما هو إلا الرجاء، فأين أمانكم إنّا لله وإنّا إليه راجعون، وبكى.

فقال له عبيد الله بن العباس السلمي: إنّ مثلك، ومن يطلب مثل الذي طلبت، إذا نزل به مثل الذي نزل بك لم يبك.
قال: إني والله ما أبكي لنفسي، ولا لها من القتل أرثي، وإن كنت لم أحب لها طرفة عين تلفاً، ولكي أبكي لأهلي المقبلين إليّ، أبكي للحسين وآل الحسين.

ثم أقبل على ابن الأشعث فقال: إني - والله أظنك - ستعجز عن أمانني، وسأله أن يبعث رسولاً إلى الحسين بن علي يعلمه الخبر، ويسأله الرجوع فقال له ابن الأشعث: والله لأفعلن» (١) ..

الشيخ المفيد (ت ٤١٣)، الفتال (ت ٥٠٨):

«فأقبل عبد الرحمن حتّى أتى أباه وهو عند ابن زياد، فسارّه

(١) مقاتل الطالبين لأبي الفرج: ١٠٦.

فعرّف ابن زياد سراره فقال له ابن زياد بالقضيب في جنبه: قم فأتني به الساعة، فقام، وبعث معه قومه، لأنه قد علم أنّ كلّ قوم يكرهون أن يصاب فيهم مسلم بن عقيل، وبعث معه عبيد الله بن عباس السلمي في سبعين رجلاً من قيس حتّى أتوا الدار التي فيها مسلم بن عقيل رحمته الله.

فلَمّا سمع وقع حوافر الخيل وأصوات الرجال علم أنّه قد أتى، فخرج إليهم بسيفه، واقتحموا عليه الدار، فشَدّ عليهم يضربهم بسيفه حتّى أخرجهم من الدار، ثمّ عادوا إليه، فشَدّ عليهم كذلك، فاختلف هو وبكر بن حمران الأحمريّ، فضرب فم مسلم، فشَقَّ شفته العليا، وأسرع السيف في السفلى، ونصّلت له ثنيتاه، وضربه مسلم في رأسه ضربة منكّرة، وثناه بأخرى على حبل العاتق كادت تطلع على جوفه.

فلَمّا رأوا ذلك أشرفوا عليه من فوق البيت، فأخذوا يرمونه بالحجارة، ويلهبون النار في أطنان القصب، ثمّ يلقونها عليه من فوق البيت.

فلَمّا رأى ذلك خرج عليهم مصلاًّ بسيفه في السكّة، فقال له محمّد بن الأشعث: لك الأمان لا تقتل نفسك، وهو يقاتلهم ويقول:

أقسمت لا أقتل إلا حرًا إني رأيت الموت شيئاً نكراً
ويجعل البارد سخناً مرًا ردّ شعاع الشمس فاستقرّا
كلّ امرئ يوماً ملاقٍ شرًّا أخاف أن أكذب أو أغرّا
فقال له محمد بن الأشعث: إنك لا تكذب ولا تغرّ فلا تجزع،
إنّ القوم بنو عمّك، وليسوا بقاتليك ولا ضائريك.

وكان قد أثنى بالحجارة وعجز عن القتال فانبهر، وأسند ظهره
إلى جنب تلك الدار، فأعاد ابن الأشعث عليه القول: لك
الأمان، فقال: آمن أنا؟ قال: نعم، فقال للقوم الذين معه: لي
الأمان؟ فقال القوم له: نعم، إلّا عبيد الله بن العباس السلمي
فإنّه قال: لا ناقة لي في هذا ولا جمل، وتنحّي.

فقال مسلم: أما لو لم تؤمنوني ما وضعت يدي في أيديكم.
وأتي ببغلة فحمل عليها فاجتمعوا حوله وانتزعوا سيفه، فكأّنه
عند ذلك آيس من نفسه! ودمعت عيناه، ثمّ قال: هذا أوّل
الغدر.

قال له محمد بن الأشعث: أرجو أن لا يكون عليك بأس،
فقال: وما هو إلّا الرجاء، أين أمانكم؟ إنّ الله وإنا إليه
راجعون، وبكى.

فقال له عبيد الله بن العباس السلمي: إنّ من يطلب مثل

الذي تطلب إذا نزل به مثل الذي نزل بك لم يبك!
قال: إني والله ما لنفسى بكيت، ولا لها من القتل أرثي، وإن
كنت لم أحب لها طرفة عين تلفاً، ولكن أبكي لأهلي المقبلين
إليّ، أبكي للحسين عليه السلام وآل الحسين.

ثم أقبل على محمد بن الأشعث فقال: يا عبد الله! إني أراك
- والله - ستعجز عن أماني، فهل عندك خير؟ تستطيع أن
تبعث من عندك رجلاً على لساني أن يبلغ حسيناً، فإني لا
أراه إلا قد خرج إليكم اليوم مقبلاً، أو هو خارج غداً وأهل
بيته، ويقول له: إن ابن عقيل بعثني إليك وهو أسير في أيدي
القوم لا يرى أنه يمسي حتى يقتل، وهو يقول: ارجع فداك أبي
وأمي بأهل بيتك، ولا يغرك أهل الكوفة، فإنهم أصحاب أبيك
الذي كان يتمنى فراقهم بالموت أو القتل، إن أهل الكوفة قد
كذبوك وليس لمكذوب رأي.

فقال ابن الأشعث: والله لأفعلنّ، ولأعلمنّ ابن زياد أني قد
آمنتك» (١).

أبو علي مسكويه (ت ٤٢١):

«فنخس بالقضيب في جنبه، وقال: قم، وأتني به الساعة، وبعث إلى خليفته، وهو في المسجد أن: ابعث مع ابن الأشعث سبعين رجلاً من قيس، وإنما كره قومه لأنه علم أن قومه يكرهون أن يصاب فيهم مثل ابن عقيل.

ففعل ذلك، وسار محمد بن الأشعث، حتى أطاف بالدار. فلما سمع مسلم وقع الحوافر، بادر إلى سيفه، وخرج إليهم، فاقتحموا عليه، فردّهم، ثم عادوا، فردّهم، حتى ضربه رجل منهم بسيفه، فقطع شفته، وثناياه، وضربه مسلم بأعلى رأسه، كادت تأتي عليه، ولكن سلم.

فلما رأى الناس ذلك، أخذوا يرمونه من فوق البيت. فأقبل عليه محمد بن الأشعث، فقال: إنك أئخنت، وعجزت عن القتال، فلم تقتل نفسك، أقبل إليّ، ولك الأمان. فقال: آمن أنا؟ قال: نعم، وقال القوم: أنت آمن.

فأمكن من نفسه، فدنوا منه، وحملوه، فقال: يا محمد بن الأشعث، أراك ستعجز عن أمانى، وذلك أنه نزع سيفه من عاتقه، فاستوحش ... فهل لك في خير؟ تستطيع أن تبعث رجلاً من عندك على لساني يبلغ حسيناً، فإنّي أراه قد خرج،

أو هو خارج غداً، فيقول له: إنّ ابن عقيل بعثني، وهو أسير، لا يرى أنّه يمسي وهو يقتل، وهو يقول لك: ارجع بأهل بيتك، ولا يغرك أهل الكوفة، فإنّهم أصحاب أبيك، الذي كان يتمنى فراقهم بالموت، أو القتل، إنّ أهل الكوفة قد كذبوك، وكذبوني، وليس لكذوب رأي. فقال ابن الأشعث: والله، لأفعلن، ولأعلمنّ الأمير عبيد الله، أنّي آمنتك» (١).

الشجري (ت ٤٩٩):

«فبعث رجلاً من بني سليم في مائة فارس إلى الدار، فأخذ فواتها، فقال عبيد الله على المنبر: يا أهل الكوفة، والله لا أدع في الكوفة بيت مدر إلاّ هدمته، ولا بيت قصب إلاّ أحرقته» (٢).

الطبرسي (ت ٥٤٨):

«قال: قم فأتني به الساعة، فقام وبعث عبيد الله بن العباس السلمي في سبعين رجلاً حتّى أتوا الدار التي فيها مسلم، فلمّا سمع وقع الحوافر وأصوات الرجال علم أنّه قد أتى العدو، فخرج

(١) تجارب الأمم لمسكويه: ٢ / ٥٢.

(٢) أمالي الشجري: ١ / ١٦٧.

إليهم بسيفه واقتحموا عليه الدار، فشَدَّ عليهم يضربهم بسيفه حتى أخرجهم من الدار، واختلف هو وبكر بن حمران الأحمري، فضرب بكرم مسلم، فقطع شفته العليا، وأسرع في السفلى، وضربه مسلم على رأسه ضربة منكرة، وثنى بأخرى على حبل العاتق، وخرج عليهم مصلاً بسيفه، فقال له محمد بن الأشعث: لك الأمان لا تقتل نفسك، وهو يقاتلهم ويقول:

أقسمت لا أقتل إلا حراً إني رأيت الموت شيئاً مراً
كل امرئ يوماً ملاقٍ شراً أخاف أن أكذب أو أغراً

فقال له محمد بن الأشعث: إنك لا تكذب ولا تغرّ، فلا تجزع، إنَّ القوم بنو عمّك، وليسوا بقاتليك.

فقال مسلم: أما لو لم تؤمنوني ما وضعت يدي في أيديكم، فأتي ببغلة فركبها، واجتمعوا حوله وانتزعوا سيفه، فكأنه آيس هناك من نفسه، فدمعت عيناه وقال: هذا أول الغدر.

وأقبل على محمد بن الأشعث وقال: إني أراك - والله - ستعجز عن أماني، فهل عندك خير؟ تستطيع أن تبعث من هناك رجلاً على لساني أن يبلغ حسيناً، فإني لا أراه إلا خرج إليكم اليوم أو هو خارج غداً ويقول: إنَّ ابن عقيل بعثني إليك، وهو أسير في أيدي القوم، ما أرى أن يمسي. حتى يقتل، وهو يقول:

ارجع فداك أبي وأمي بأهل بيتك يا ابن عمي، ولا تغتر بأهل الكوفة، فإنهم أصحاب أبيك الذي يتمي فراقهم بالموت أو القتل، إن أهل الكوفة كذبوك وليس لكذب رأي.

فقال ابن الأشعث: لأفعلن، ولأعلمن ابن زياد أنني قد آمنتك» (١) ..

الخوارزمي: (ت ٥٦٨)

«ثم أمر ابن زياد خليفته عمرو بن حريث المخزومي أن يبعث مع محمد بن الأشعث ثلاثمائة رجل من صناديد أصحابه.

فركب محمد بن الأشعث حتى وافى الدار التي فيها مسلم بن عقيل، فسمع مسلم وقع حوافر الخيل وأصوات الرجال، فعلم أنه قد أتى، فبادر مسرعاً إلى فرسه فأسرجه وأجمه وصب عليه درعه واعتجربعمامته وتقلد سيفه، والقوم يرمون الدار بالحجارة ويلهبون النار في هوارى القصب، فتبسّم مسلم ثم قال: يا نفسي! اخرجي إلى الموت الذي ليس منه محيص ولا محيد.

ثم قال للمرأة: رحمك الله وجزاك خيراً، اعلمي إنّي ابتليت من

قبل ابنك، فافتحي الباب، ففتحته وخرج مسلم في وجوه القوم كالأسد المغضب، فجعل يضاربهم بسيفه حتى قتل جماعة، وبلغ ذلك ابن زياد، فأرسل إلى محمد بن الأشعث: سبحان الله! أبا عبد الرحمن! بعثناك إلى رجل واحد لتأتينا به، فثلم من أصحابك ثلثة عظيمة، فأرسل إليه محمد بن الأشعث: أيها الأمير! أتظن أنك بعثتني إلى بقال من بقاquil الكوفة، أو جرمقاني من جرامة الحيرة، أفلا تعلم أيها الأمير أنك بعثتني إلى أسد ضرغام، وبطل همام، في كفه سيف حسام، يقطر منه الموت الزؤام، فأرسل إليه ابن زياد: أن أعطه الأمان فإني لن تقدر عليه إلا بالأمان المؤكد بالأيمان.

فجعل محمد بن الأشعث يناديه: ويحك يا ابن عقيل! لا تقتل نفسك، لك الأمان، فيقول مسلم: لا حاجة لي في أمان الغدرة الفجرة، وينشد:

أقسمت لا أقتل إلا حرًا وإن رأيت الموت شيئاً مرًا
كل امرئ يوماً ملاق شرًا ردّ شعاع الشمس فاستقرًا
أضربكم ولا أخاف ضرًا ضرب همام يستهين الدهرا
وخلط البارد سخناً مرًا ولا أقيم للأمان قدرا

أخاف أن أخدع أو أغرًا

فناداه محمد بن الأشعث: يا ويحك! يا مسلم! إنك لن تغزولن
تخدع والقوم ليسوا بقاتليك فلا تقتل نفسك، فلم يلتفت إليه،
فجعل يقاتلهم حتى أئخن بالجراح وضعف عن الكفاح،
وتكاثروا عليه من كل جانب وجعلوا يرمونه بالنبل والحجارة،
فقال مسلم: ويلكم ما لكم ترموني بالحجارة كما ترمى الكفار،
وأنا من أهل بيت النبي المختار، ويلكم أما ترعون حق رسول
الله ولا حق قرباه، ثم حمل عليهم في ضعفه فهزمهم وكسرهم
في الدروب والسكك، ثم رجع وأسند ظهره على باب دار من
تلك الدور، ورجع القوم إليه، فصاح بهم محمد بن الأشعث:
ذروه حتى أكلّمه بما أريد، فدنا منه وقال: ويحك يا ابن عقيل
لا تقتل نفسك، أنت آمن ودمك في عنقي وأنت في ذمتي!!

فقال مسلم: أتظنّ - يا ابن الأشعث - أنني أعطي بيدي وأنا
أقدر على القتال، لا والله لا يكون ذلك أبداً، ثم حمل عليه
فألحقه بأصحابه، ثم رجع إلى موضعه وهو يقول: اللهم إنّ
العطش قد بلغ منّي فلم يجترء أحد أن يسقيه الماء ويدنو منه.
فقال ابن الأشعث لأصحابه: إنّ هذا هو العار والشنار،
أتجزعون من رجل واحد هذا الجزع؟! احملوا عليه بأجمعكم
حملة رجل واحد، فحملوا عليه وحمل عليهم وقصده رجل من

أهل الكوفة يقال له: بكير بن حمران الأحمري، فاختلفا بضربتين، ضربه بكير على شفته العليا، وضربه مسلم، فبلغت الضربة جوفه فأسقطه قتيلاً وطعن من ورائه فسقط إلى الأرض فأخذ أسيراً، ثم أخذ فرسه وسلاحه.

وتقدّم رجل من بني سليم يقال له: عبيد الله بن العباس فأخذ عمامته، فجعل يقول: اسقوني شربة من الماء، فقال له مسلم بن عمرو بن عمرو الباهلي: لا والله لا تذوق الماء يا ابن عقيل حتى تذوق الموت، فقال له مسلم: ويلك ما أجفاك وأفظك وأقسى قلبك، أشهد عليك إن كنت من قريش فإنك ملصق، وإن كنت من غير قريش فأنت دعي، من أنت يا عدوّ الله؟ قال: أنا من عرف الحق إذ أنكرته، ونصح الإمام إن غششته، وأطاع إذ خالفته، أنا مسلم بن عمرو الباهلي.

فقال له مسلم: لأمك الهبل يا ابن باهلة، أنت أولى بالمجيم، والخلود في نار المجيم، إذ آثرت طاعة آل أبي سفيان على طاعة آل محمد، ثم قال: ويحكم يا أهل الكوفة! اسقوني شربة من ماء.

فأتاه غلام لعمر بن حريث المخزومي بقلّة فيها ماء، وقدر من قوارير فصّب القلّة في القدر وناولها، فأخذ مسلم القدر

بيده، فكلّما أراد أن يشرب امتلأ القدرح دمًا، فلم يقدر أن يشرب من كثرة الدم وسقطت ثنيتاه في القدرح، فامتنع من شرب ذلك الماء.

وفي رواية: إنّ محمّد بن الأشعث لما أعطاه الأمان رمى بسيفه، فأخذه وحملوه على بغلة، فدمعت عيناه، فقال محمّد: إنّني لأرجو أن لا بأس عليك، فقال: ويحك! ما هو إلا الرجاء، فأين أمانكم، إنّنا لله وإنا إليه راجعون، وبكى.

فقال عبيدالله بن العباس السلمي: من يطلب مثل الذي طلبت لا يبكي.

فقال: إنّني والله، ما على نفسي أبكي، لكنّي أبكي على أهلي المقبلين إليكم، أبكي على الحسين وآل الحسين.

ولما ركب على البغلة ونزع منه السيف استرجع وقال: هذا أول الغدر، وأيس من نفسه، وعلم أن لا أمان له من القوم، فقال لمحمّد بن الأشعث: إنّني لأظنّك أن تعجز عن أمانني، أفستطيع أن تبعث رجلاً عن لساني يبلغ حسيناً فإنّي لا أراه إلا قد خرج إلى ما قبلكم هو وأهل بيته، فيقول له: إنّ مسلماً بعثني إليك وهو أسير في يد العدو، يذهبون به إلى القتل، فارجع بأهلك ولا يغرنك أهل الكوفة فإنّهم أصحاب أبيك الذي كان

يتمنى فراقهم بالموت أو القتل، إنَّ أهل الكوفة قد كذبوني فكتبت إليك وليس لمكذوب رأي.

فقال محمد: والله لأفعلن، ودعا بأياس الطائي وكتب معه إلى الحسين ما قاله مسلم عن لسان مسلم، وأعطاه راحلة وزاداً، فذهب فاستقبل الحسين بربالة، وكان مسلم حين تحوّل إلى دار هاني كتب إلى الحسين كتاباً ذكر فيه كثرة من بايعه، فهو قوله: كذبوني فكتبت إليك. ثم أتى به فأدخل على ابن زياد» (١).

الخوارزمي:

«أخبرنا الشيخ الإمام الزاهد أبو الحسن علي بن أحمد العاصمي، أخبرنا شيخ القضاة أبو علي إسماعيل بن أحمد بن الحسين البيهقي، عن أبيه، أخبرنا أبو الحسين بن بشران، أخبرنا أبو عمرو بن السماك، حدّثنا حنبل بن إسحاق، حدّثنا الحميدي، حدّثنا سفيان بن عينية، حدّثنا عمرو بن دينار قال: أرسل الحسين عليه السلام مسلم بن عقيل إلى الكوفة، وكان مثل الأسد، لقد كان من قوّته أنّه يأخذ الرجل بيده فيرمي به

(١) مقتل الحسين للخوارزمي: ١ / ٢٠٨ وما بعدها.

فوق البيت إلى أن قتل بالكوفة» (١).

ابن شهر آشوب (ت ٥٨٨):

«فأنفذ عبيد الله عمرو بن حريث المخزومي ومحمد بن الأشعث في سبعين رجلاً حتى أطافوا بالدار، فحمل مسلم عليهم وهو يقول:

هو الموت فاصنع ويك ما أنت صانع

فأنت بكأس الموت لا شك جارح

فصبر لأمر الله جلّ جلاله

فحكم قضاء الله في الخلق ذائع

فقتل منهم واحداً وأربعين رجلاً، فأنفذ ابن زياد اللائمة إلى ابن الأشعث، فقال: أيها الأمير! إنك بعثتني إلى أسد ضرغام وسيف حسام في كفّ بطل همام من آل خير الأنام، قال: ويحك! ابن عقيل لك الأمان، وهو يقول: لا حاجة لي في أمان الفجرة، وهو يرتجز:

أقسمت لا أقتل إلا حرّاً وإن رأيت الموت شيئاً نكراً

(١) مقتل الحسين للخوارزمي: ١ / ٢١٤، بحار الأنوار للمجلسي: ٤٤ / ٣٥٤، العوالم

للبحراني: ١٧ / ٢٠٣، نفس المهموم للقمي: ١١١.

أكره أن أخدع أو أغرأ كل امرئ يوماً يلاقي شراً
أضربكم ولا أخاف ضراً ضرب غلام قط لم يفرأ
فضربوه بالسهم والأحجار حتى عيي، واستند حائطاً، فقال:
ما لكم ترموني بالأحجار كما ترمى الكفار، وإنا من أهل بيت
الأنبياء الأبرار، ألا ترعون حق رسول الله في ذرّيته.
فقال ابن الأشعث: لا تقتل نفسك وأنت في ذمتي.
قال: أؤسروني طاقة؟ لا والله لا يكون ذلك أبداً.

وحمل عليه فهرب منه، فقال مسلم: اللهم إن العطش قد بلغ
متي، فحملوا عليه من كل جانب، فضربه بكير بن حمران
الأحمري على شفته العليا، وضربه مسلم في جوفه فقتله،
وطعن من خلفه فسقط من فرسه فأسر.

فقال مسلم: اسقوني شربة من ماء، فأتاه غلام عمرو بن
حريث بشربة زجاج، وكانت تملئ دماً، وسقطت فيه
ثنيته» (١)..

ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ):

«فبعث عبيد الله إليه صاحب الشرطة عمرو بن حريث، ومعه

عبد الرحمن بن محمّد الأشعث! فلم يعلم مسلم حتّى أحيط بالدار، فخرج إليهم بسيفه فقاتلهم، فأعطاه عبد الرحمن الأمان، فأمكنه من يده، فحملوه على بغلة، وانتزعوا سيفه منه، فقال: هذا أوّل الغدر، وبكى.

ف قيل له: من يطلب مثل هذا الذي تطلب إذا نزل به مثل هذا لم يبك.

فقال: والله ما أبكي على نفسي، بل على حسين وآل حسين. ثمّ التفت إلى عبد الرحمن فقال: هل يستطيع أن يبعث من عندك رجلاً على لساني، يبلغ حسيناً، فإنّي لا أراه إلّا قد خرج إليكم، فيقول له: ارجع ولا تغتربأهل الكوفة. فبعث رجلاً، فلقى الحسين بربالة، فأخبره الخبر، فقال: كلّ ما حمّ نازل» (١).

ابن الأثير (ت ٦٣٠):

«فقال له ابن زياد: قم فأتني به الساعة، وبعث معه عمرو بن عبيد الله بن عبّاس السلمي في سبعين من قيس حتّى أتوا الدار التي فيها ابن عقيل.

فلَمَّا سمع الأصوات عرف أنه قد أتى، فخرج إليهم بسيفه حتَّى أخرجهم من الدار، ثمَّ عادوا إليه فحمل عليهم فأخرجهم مراراً، وضرب بكير بن حمران الأحمريّ فم مسلم فقطع شفته العليا وسقطت ثنيتاه، وضربه مسلم على رأسه وثنّى بأخرى على جبل العاتق كادت تطلع على جوفه.

فلَمَّا رأوا ذلك أشرفوا على سطح البيت، وجعلوا يرمونه بالحجارة، ويلهبون النار في القصب ويلقونها عليه.

فلَمَّا رأى ذلك خرج عليهم بسيفه فقاتلهم في السكّة، فقال له محمّد بن الأشعث: لك الأمان فلا تقتل نفسك! فأقبل يقاتلهم وهو يقول:

أقسمت لا أقتل إلاّ حرّاً وإن رأيت الموت شيئاً نكراً

أو يخلط البارد سخناً مرّاً ردّ شعاع الشّمس فاستقرّاً

كلّ امرئ يوماً يلاقي شرّاً أخاف أن أكذب أو أغرّاً

فقال له محمّد: إنك لا تكذب ولا تخدع، القوم بنو عمّك وليسوا بقاتليك ولا ضاربك.

وكان قد أنخن بالحجارة وعجز عن القتال، فأسند ظهره إلى

حائط تلك الدار، فأمنه ابن الأشعث والناس غير عمرو بن

عبيد الله السلميّ فإنّه قال: لا ناقة لي في هذا ولا جمل.

وأتي ببغلة فحمل عليها وانتزعوا سيفه، فكأنه آيس من نفسه، فدمعت عيناه ثم قال: هذا أوّل الغدر.

قال محمّد: أرجو أن لا يكون عليك بأس. قال: وما هو إلاّ الرجاء، أين أمانكم؟ ثم بكى.

فقال له عمرو بن عبّيد الله بن عبّاس السلمي: من يطلب مثل الذي تطلب إذا نزل به مثل الذي نزل بك لم يبك! فقال: ما أبكي لنفسي، ولكني أبكي لأهلي المنقلبين إليكم، أبكي للحسين وآل الحسين.

ثم قال لمحمّد بن الأشعث: إنّي أراك ستعجز عن أمانى فهل تستطيع أن تبعث من عندك رجلاً يخبر الحسين بحالي ويقول له عني ليرجع بأهل بيته ولا يغره أهل الكوفة فإنهم أصحاب أبيك الذين كان يتمنى فراقهم بالموت أو القتل؟

فقال له ابن الأشعث: والله لأفعلن! ثم كتب بما قال مسلم إلى الحسين، فلقى الرسول بزيالة فأخبره، فقال: كلّ ما قدرنازل، عند الله نحسب أنفسنا وفساد أمتنا» (١).

سبط ابن الجوزي (ت ٦٥٤):

«فأخبر ابن زياد فبعث إليه عمرو بن حريث المخزومي، وكان على شرطته ومعه محمد بن الأشعث، فأحاطوا بالدار، فخرج إليهم مسلم يقاتل فآمنه ابن الأشعث، وجاء به إلى ابن زياد» (١).

السيد ابن طاووس (ت ٦٦٤):

«فعلم به ولدها فوشى الخبر بطريقه إلى ابن زياد، فأحضر محمد بن الأشعث وضم إليه جماعة، وأنفذه لإحضار مسلم، فلما بلغوا دار المرأة، وسمع مسلم وقع حوافر الخيل لبس درعه، وركب فرسه وجعل يحارب أصحاب عبيد الله حتى قتل منهم جماعة، فنادى إليه محمد بن الأشعث وقال: يا مسلم لك الأمان، فقال مسلم: وأي أمان للغدة الفجرة.

ثم أقبل يقاتلهم ويرتجز بأبيات حمران بن مالك الخثعمي يوم القرن:

أقسمت لا أقتل إلا حرًا وإن رأيت الموت شيئاً نكراً
أكره أن أخدع أو أغرّ أو أخلط البارد سخناً مرّاً

(١) تذكرة الخواص: ٢١٩.

كل امرئ يوماً يلاقي شراً أضربكم ولا أخاف ضراً

فنادوا إليه أنه لا يكذب ولا يغرّ، فلم يلتفت إلى ذلك، وتكاثروا عليه بعد أن أثنى بالجراح، فطعنه رجل من خلفه، فخرّ إلى الأرض فأخذ أسيراً»^(١).

النويري (ت ٧٣٣):

«فأخبر محمد بن الأشعث ابن زياد، فقال له: قم فأتني به الساعة، وبعث معه عمرو بن عبيد الله بن عباس السلمي في سبعين من قيس، فأتوا الدار، فخرج ابن عقيل إليهم بسيفه حتّى أخرجهم من الدار، ثمّ عادوا إليه، فحمل عليهم فأخرجهم مراراً، وضربه بكر بن حمران الأحمرى فقطع شفته العليا وسقط سنّته، وضربه مسلم على رأسه، وثنى بأخرى على حبل العاتق، فكادت تطلع على جوفه.

فلما رأوا ذلك أشرفوا على سطح البيت، وجعلوا يرمونه بالحجارة، ويلهبون النار في القصب ويلقونها عليه، فلما رأى ذلك خرج عليهم بسيفه فقاتلهم في السكّة، فقال له محمد بن الأشعث.

(١) اللهوف للسيد ابن طاووس: ٥٤.

لك الأمان فلا تقتل نفسك، فأقبل يقاتلهم ويقول:

أقسمت لا أقتل إلا حراً وإن رأيت الموت شيئاً نكراً
ويخلط البارد سخناً مراً ردّ شعاع النفس مستقراً
كل امرئ يوماً ملاق شراً أخاف أن أكذب أو أغتراً

فقال له محمد بن الأشعث: إنك لا تكذب ولا تخدع، القوم بنو
عمك وليسوا بقاتليك ولا ضاربك، وكان قد أنخن بالحجارة،
وعجز عن القتال، وأسند ظهره إلى حائط تلك الدار، فأمنه
ابن الأشعث والناس غير عمرو بن عبيد الله السلمي، فإنه
قال: لا ناقتي فيها ولا جملي.

وأتي ببغلة فحمل عليها، وانتزعوا سيفه، فكأنه أيس من
نفسه، فدمعت عيناه وقال: هذا أول الغدر، قال محمد: أرجو
ألا يكون عليك بأس.

قال: وما هو إلا الرجاء! أين أمانكم! ثم بكى، فقال له عمرو
ابن عبيد الله: من يطلب الذي تطلب إذا نزل به مثل الذي
نزل بك لم يبك.

فقال: ما أبكي لنفسي، ولكن أبكي لأهلي المنقلبين إليكم:
أبكي للحسين وآل الحسين.

ثم قال لمحمد بن الأشعث: إنني أراك تعجز عن أمانى، فهل

تستطيع أن تبعث من عندك رجلاً يخبر الحسين بحالي، ويقول له عني: ليرجع بأهل بيته، ولا يغرّه أهل الكوفة، فإنهم أصحاب أبيك الذي كان يتمنى فراقهم بالموت أو القتل؟ فقال ابن الأشعث: والله لأفعلن، وفعل، وأبى الحسين الرجوع» (١).

الذهبي (ت ٧٤٨):

«فبعث عبيد الله الشرط إلى مسلم، فخرج وسل سيفه، وقاتل، فأعطاه ابن الأشعث أماناً، فسلم نفسه» (٢).

ابن كثير (ت ٧٧٤):

«فأخبره الخبر فنخس بقضيب في جنبه وقال: قم فأتني به الساعة.

وبعث ابن زياد عمر بن حريث المخزومي - وكان صاحب شرطته - ومعه عبد الرحمن ومحمد بن الأشعث في سبعين أو ثمانين فارساً، فلم يشعر مسلم إلا وقد أحيط بالدار التي هو فيها، فدخلوا عليه، فقام إليهم بالسيف، فأخرجهم من الدار ثلاث مرّات، وأصيبت شفته العليا والسفلى، ثم جعلوا يرمونه

(١) نهاية الإرب: ٢٠ / ٤٠٠.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي: ٣ / ٢٠٨.

بالحجارة، ويلهبون النار في أطناب القصب، فضايق بهم ذرعاً، فخرج إليهم بسيفه فقاتلهم، فأعطاه عبد الرحمن الأمان فأمكنه من يده، وجاءوا ببغلة فأركبوه عليها، وسلبوا عنه سيفه، فلم يبق يملك من نفسه شيئاً، فبكى عند ذلك وعرف أنه مقتول، أبكى على الحسين، وآل الحسين، إنه قد خرج إليكم اليوم أو أمس من مكة.

ثم التفت إلى محمد بن الأشعث فقال: إن استطعت أن تبعث إلى الحسين على لساني تأمره بالرجوع فافعل، فبعث محمد بن الأشعث إلى الحسين يأمره بالرجوع، فلم يصدق الرسول في ذلك، وقال: كل ما حمّ الإله واقع» (١).

ابن نما (ت ٨٤١):

«ووصل الخبر إلى عبيد الله، فأخبر محمد بن الأشعث، وقيل: عبد الله بن عباس السلمي في سبعين رجلاً من قيس حتى أتوا دار طوعة، فسمع مسلم وقع حوافر الخيل علم أنه قد أتى، فلبس لامته وركب فرسه وضر بهم بسيفه حتى أخرجهم من الدار، ثم عادوا فشدوا عليه، فقتل منهم جماعة.

ثمّ أشرفوا عليه من فوق البيت ورموه بالحجارة، فقال له محمّد ابن الأشعث: لك الأمان لا تقتل نفسك.

وهو يقاتلهم، ويرتجز بأبيات حمران بن مالك الخثعمي يوم القرن:

أقسمت لا أقتل إلا حراً وإن رأيت الموت شيئاً نكراً
أكره أن أخدع أو أغرأ أو أخلط البارد سخناً مرأ
ردّ شعاع الشمس فاستقرأ كل امرئ يوماً يلاقي شراً
أضربكم ولا أخاف ضراً

فقال له محمّد بن الأشعث: إنك لا تكذب ولا تغرّ، وكان قد أثنى بالجراح، وكلّ عن القتال، فأعاد محمّد بن الأشعث القول، فقال: أنا آمن؟ قال: نعم.

فانتزعوا سيفه، فأتي ببغلة فركبها، فكأّنه عند ذلك يتّس من نفسه، فدمعت عيناه، فقال له عبيد الله بن العباس: إن من يطلب مثل ما تطلب لا يجزع.

فقال: والله ما لنفسي أجزع، وإن كنت لا أحبّ لها ضرراً طرفة عين، ولكن جزعي للحسين وأهل بيته المغتربين بكتابي، وقال: هذا أوان الغدر.

فأقبلوا به أسيراً حتّى دخل على عبيد الله فلم يسلم

عليه» (١) ..

ابن حجر (ت ٨٥٢):

«فلم يفجئ مسلماً إلّا والدار قد أحيط بها، فلمّا رأى ذلك خرج بسيفه يدفعهم عن نفسه، فأعطاه محمّد بن الأشعث الأمان، فأمكن من يده» (٢) ..

الطريحي (ت ١٠٨٥):

«ثمّ إنّ ابن زياد دعا بمحمّد بن الأشعث الكنديّ، وضّم إليه ألف فارس وخمسمائة راجل، وأمرهم بالانطلاق إلى مسلم، فسار ابن الأشعث حتّى وصل الدار، ولما سمعت المرأة صهيل الخيل وقعقة اللجم، أقبلت إلى مسلم وأخبرته بذلك، فلبس درعه وشدّ وسطه وجعل يدير عينيه، فقالت المرأة: ما لي أراك تهيّأت للموت؟

فقال: ما طلبت القوم غيري، وأنا أخاف أن يهجموا عليّ في الدار ولا يكون لي فسحة ولا مجال.

(١) مثير الأحزان لابن نما: ٣٥.

(٢) الإصابة لابن حجر: ٢ / ٧١.

ثمّ إنّ عمداً إلى الباب وخرج إلى القوم، فقاتلهم قتالاً عظيماً حتّى قتل منهم خلقاً كثيراً، فلمّا نظر ابن الأشعث إلى ذلك، أنفذ إلى ابن زياد يستمدّه بالخيّل والرّجال، فأنفذ إليه ابن زياد يقول: ثكلتك أمّك! رجل واحد يقتل منكم هذه المقتلة العظيمة، فكيف لو أرسلتك إلى من هو أشدّ منه قوّة وبأساً؟! (يعني الحسين عليه السلام).

فبعث إليه الجواب: عساك أرسلتني إلى بَقال من بقاquil الكوفة أو إلى جرمقان من جرامقة الكوفة، وإنّما أرسلتني إلى سيف من أسياf محمد بن عبد الله.

فلمّا بلغ ذلك ابن زياد، أمّده بالعسكر الكثير، فلمّا رأى مسلم ذلك، رجع إلى الدار وتهيّأ وحمل عليهم حتّى قتل كثيراً منهم، وصار جلده كالقنفذ من كثرة النبل.

فبعث [ابن الأشعث] إلى ابن زياد يستمدّه بالجند والرجال، فأرسل إليه بذلك وقال لهم: يا ويلكم! أعطوه الأمان وإلاّ أفناكم عن آخركم.

فنادوه بالأمان، فقال لهم: لا أمان لكم يا أعداء الله وأعداء رسوله.

ثمّ حمل عليهم فقاتلهم، ثمّ إنهم احتالوا عليه وحفروا له حفرة

عميقة في وسط الطريق، وأخفوا رأسها بالدغل والتراب، ثم انطردوا بين يديه، فوقع بتلك الحفرة وأحاطوبه، فضربه ابن الأشعث على محاسن وجهه، فلعب السيف في عرزين أنفه ومحاجر عينيه، حتى بقيت أضراسه تلعب في فمه، فأوثقوه وأخذوه إلى ابن زياد» (١) ..

أبو مخنف المشهور:

«ثم دعا بمحمد بن الأشعث وضمَّ إليه خمسمائة فارس وقال له: انطلق مع هذا الغلام وأتني بمسلم بن عقيل عليه السلام قتيلاً أو أسيراً.

فساروا حتى أتوا دار العجوز فسمعت صهيل الخيل وقعقة اللُجم وزعقات الرجال فأخبرت مسلم بذلك.

فقال مسلم: ما طلب القوم غيري فقال لها: هاتي سيني.

فقام وشدَّ وسطه بمنطقته وتدرَّع بدرعه وخرج إلى القوم وهو يهزُّ سيفه فقالت له العجوز: يا سيدي أراك تأهبت للموت.

قال: والله أجل لأبد من الموت.

ثم عمَد إلى الباب واقتلعه وكان ضخم الدسيعة وخرج إلى

القوم وقاتلهم قتالاً شديداً وقتل منهم مائة وثمانين فارساً
وانهزم الباقون.

فلما نظر ابن الأشعث إلى شجاعة مسلم عليه السلام أرسل إلى ابن
زياد - لعنه الله - أدركني بالخيـل والرجـال، فأرسل إليه
خمسائة فارس، فخرج إليهم مسلم بن عقيل عليه السلام فقتل منهم
مقتلة عظيمة، فأرسل ابن الأشعث إلى ابن زياد - لعنه الله -
أدركني بالخيـل والرجـال.

فأنفذ إليه ابن زياد - لعنه الله - يقول: ثكلتك أمك وعدموك
قومك رجل واحد يقتل منكم هذه المقتلة العظيمة؟ فكيف لو
أرسلتك إلى من هو أشدُّ بأساً وأصعب مراساً - يعني بذلك
الحسين عليه السلام -، فكتب إليه محمد بن الأشعث يقول: أنتظرُ
أَنَّكَ أرسلتني إلى بَقال من بَقايل الكوفة أو إلى جرمقان من
جرامقة الحيرة ألم تعلم أَنَّكَ وجَّهتني إلى بطل ضرغام وليث
همام وسيف من أسياف رسول الله.

فأنفذ إليه ابن زياد - لعنه الله - خمسائة فارس وقال: يا
ويلكم اعطوه الأمان وإلا أفناكم عن آخركم.

فصاحوا به: يا مسلم بن عقيل عليه السلام، لك الأمان، فقال: لا
أمان لكم يا أعداء الله وأعداء رسوله.

ثم خرج إليهم وقاتلهم قتالاً شديداً، فاختلف هو وبكر بن
حران بضربتين فعاجله مسلم فضربه على أم رأسه فقتله ثم
عطف على آخر فقتله.

قال: فأشرف القوم على السطوح وجعلوا يلهبون عليه النيران،
فبرز إليهم وهو يقول:

أقسمت لا أقتل إلا حرّاً وإن رأيت الموت شيئاً نكراً
أخاف إن اخدع أو أغرّاً ردّ شعاع الشمس فاستقرّاً
أضربكم ولا أخاف ضرّاً فعل غلام قطّ لن يفرّاً
وكلّ ذي غدر سيلقي غدرّاً أيضاً ويصلّى في المجيم حرّاً
ثمّ حمل على القوم وقاتلهم قتالاً شديداً وقتل منهم خلقاً كثيراً
فأقبل عليهم لعين وقال لهم: أنا أنصب له شركاً لا يخلص منه.
قالوا: بماذا؟

قال: نحفر له بئراً في الطريق ونظّمها بالدغل والتراب ونحمل
عليه وننهزم قدّامه، وأرجو أن لا يفلت منها، ففعلوا ذلك
ومسلم عليه السلام لا يعلم بما فعلوا من المكر.

ثمّ حملوا عليه وحمل عليهم فانهزموا بين يديه فوقع في البئر،
فأحاطوا به من كلّ جانب ومكان فأخرجوه إليهم.

فضربه ابن الأشعث - لعنه الله - على محاسن وجهه فلعب

السَّيف في عرّنين أنفه، فسقطت أضرّاسه وأخذوه أسيراً إلى ابن زياد - لعنه الله -^(١).

القندوزي (ت ١٢٩٢):

«.. فأرسل ابن زياد محمّد بن الأشعث الكنديّ، وضّمّ إليه ألف فارس وخمسمائة راجل إلى قتال مسلم، فقاتلهم قتالاً شديداً حتى قتل منهم خلقاً كثيراً، فأرسل ابن الأشعث إلى ابن زياد يستمدّه بالخيّل والرجال.

فكتب إليه: إنّ رجلاً واحداً يقتل منكم خلقاً كثيراً، فكيف لو أرسلتك إلى من هو أشدّ منه قوّة وبأساً - يعني الحسين - . فكتب في الجواب: إنّما أرسلتني إلى سيف من أسياف آل محمّد. فأمدّه بالعسكر الكثير.

ثمّ حمل مسلم عليهم أيضاً فقتل منهم خلقاً كثيراً وصار جلده كالقنفذ من كثرة السهام. فقال ابن الأشعث: لك الأمان يا مسلم!

فقال لهم: لا أمان لكم يا أعداء الله وأعداء رسوله.

ثمّ إنهم حفروا له حفيرة في وسط الطريق، وأخفوا رأسها

(١) مقتل أبي مخنف المشهور: ٣٣ وما بعدها.

بالدغل والتراب، فوقع مسلم في تلك الحفيرة، وأحاطوا به
فضربه ابن الأشعث على وجهه بالسيف فشقه، فأوثقوه وآتوه
إلى ابن زياد» (١).

(١) ينابيع المودة لذوي القربى للقندوزي تحقيق السيّد علي أشرف: ٣ / ٥٨.

محتويات الكتاب

• بين المسجد الأعظم ودار طوعة •

المقدمة.....	٧
خبر الساعة الأخيرة.....	١١
ثغرات الخبر.....	١٥
الثغرة الأولى: وحدته عليه السلام في الازدحام.....	١٧
الثغرة الثانية: تشخّص البطل الهاشمي مسلم عليه السلام	١٨
الثغرة الثالثة: لِمَ لم يقتلوه وهم يطلبونه؟	١٩
الثغرة الرابعة: فرية التلدد.....	٢٠
الردّ الأول: معنى التلدد.....	٢٠
الردّ الثاني: تجاوز حدود الأدب.....	٢٥

- الردّ الثالث: إقامة المولى الغريب مسلم عليه السلام بالكوفة عدّة سنوات ... ٢٦
- الردّ الرابع: إقامة المولى الغريب مسلم عليه السلام خلال السفارة ٢٧
- الردّ الخامس: تصوير المؤرّخ ٢٧
- الثغرة الخامسة: التدبير قبل العمل ٣٠
- الثغرة السادسة: التعبيرات الموهنة والمواقف التي لاتليق بالبطل الهاشميّ المطهر ٣٤
- الثغرة السابعة: كيف تفرّق الجمع وولّى الدبر ٣٦
- الثغرة الثامنة: المولى الغريب مسلم عليه السلام لا يعرف طريق منزله! .. ٣٧
- الثغرة التاسعة: هرب المولى الغريب مسلم عليه السلام ٣٨
- الثغرة العاشرة: الاختلاف في العدد المتبقّي ٣٩
- السبب الأول: استناد الأعداد إلى التخمين ٤٤
- السبب الثاني: اختلاف التوقيت ٤٤
- الثغرة الحادية عشر: الاختلاف في وقت التفرّق ومكانه ٤٥
- الثغرة الثانية عشر: الاختلاف في عدد من استجاب لنداء المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام ٥١
- الأعداد باختصار ٥٦
- الاجتماع التدريجيّ ٥٨
- إستكشاف المواقف ٥٩

- ٦١ الموقف الأول: موقف الأبرار.....
- ٦١ الضوء الأول: المقصود بالبحث في الموقف الأول.....
- ٦٢ القسم الأول: سيوف الإمام الحسين عليه السلام.....
- ٦٣ القسم الثاني: رجال الشيعة الكبار.....
- ٦٤ الضوء الثاني: صحة مواقف الأولياء.....
- ٦٤ الضوء الثالث: تحديد مهمة المولى مسلم بن عقيل عليه السلام.....
- ٦٦ الضوء الرابع: هم الأنصار للحاق بالحسين عليه السلام.....
- ٦٩ الضوء الخامس: صدور الأوامر لبعضهم بالخروج.....
- ٧١ الضوء السادس: مصادر لم تذكر تقسيم الرايات ..
- ٧٢ الضوء السابع: وجود ثلثة مع المولى عليه السلام.....
- ٧٣ الضوء الثامن: بعض الأنصار خرج بمهمة.....
- ٧٤ الضوء التاسع: استشهاد البعض قبل النداء وحبس آخرين.....
- ٧٥ الضوء العاشر: حملة ألوية المولى الغريب عليه السلام.....
- ٧٦ الضوء الحادي عشر: حامل اللواء لا يفر.....
- ٧٩ الاحتمالات التي يمكن أن تعالج الموقف.....
- ٧٩ الاحتمال الأول: فرار أولياء الله وأصحاب سيّد الشهداء عليه السلام!! ..
- ٨١ الاحتمال الثاني: كمنوا في الليل لينطلقوا صباحاً.....
- ٨٢ الاحتمال الثالث: العمل وفق الصلاحيات العامة.....

- ٨٢..... الأمر الأول: حامل اللواء لا يفرّ.
- ٨٣..... الأمر الثاني: التزامهم الشرعيّ.
- ٨٣..... الاحتمال الرابع: عملوا وفق الأوامر الصادرة لهم مسبقاً.
- ٨٤..... الاحتمال الخامس: صدرت لهم الأوامر بعد الرجوع إلى مراكزهم.
- ٨٤..... الاحتمال السادس: تدخل العشائر.
- ٨٦..... الاحتمال السابع: هم الذين لازموه وصلّوا خلفه.
- ٩١..... الاحتمال الثامن: بقاؤهم مع المولى الغريب عليه السلام كحرس.
- ٩٢..... الاحتمال التاسع: التوقّف في أصل القصّة.
- ٩٣..... الصنف الأول: قتال حتّى الأسر.
- ٩٤..... الصنف الثاني: الهروب قبل القتال!!
- ٩٥..... الموقف الثاني: موقف الغوغاء والخونة.
- ٩٧..... الموقف الثالث: موقف الجرو المسعور ابن زياد وأعوانه.
- ٩٩..... الموقف الرابع: موقف المولى مسلم بن عقيل عليه السلام.
- ٩٩..... اللفتة الأولى: النهاية المريبة.
- ١٠٠..... اللفتة الثانية: رفض أيّ تصوير لا يناسب المولى عليه السلام.
- ١٠١..... اللفتة الثالثة: الباب الذي خرج منه المولى الغريب عليه السلام.
- اللفتة الرابعة: دلالات صلاة البطل الهاشميّ مسلم بن عقيل عليه السلام في
- ١٠٢..... المسجد الأعظم.

- ١٠٢ الدلالة الأولى: السيطرة على الوضع الاجتماعي ..
- ١٠٤ الدلالة الثانية: خلوّ المسجد من جرذان السقيفة
- ١٠٤ الدلالة الثالثة: جبن الجرو الممطور ابن زياد وجرذانه
- ١٠٥ الدلالة الرابعة: شجاعة الفارس الطالبّي
- ١٠٦ الدلالة الخامسة: تكذيب تلذّده
- ١٠٧ مشاهد لتصوير موقف المولى مسلم بن عقيل عليه السلام
- ١٠٧ المشهد الأول: انتهاء المشهد دون قتال ..
- القسم الأول: قرار الرجوع بعد تحاذل القوم قبل أن يبقى وحده ١٠٧
- ١١٢ النتيجة
- ١١٢ النتيجة الأولى:
- ١١٣ النتيجة الثانية:
- ١١٦... النتيجة الثالثة:
- ١١٦... النتيجة الرابعة:
- القسم الثاني: قرار التوجّه إلى بيت طوعة بعد أن بقي وحيداً. ١١٧
- ١١٨ المشهد الثاني: خرج إلى دار طوعة متسلّلاً
- ١١٨ مناقشة المشهد
- ١٢٠... المشهد الثالث: استمرار القتال إلى بيت طوعة ..
- ١٢٤... المشهد الرابع: قصده بيت طوعة

- المشهد الخامس: ذهب إلى دار طوعة بعد هدنة ١٢٥
- المشهد السادس: طوعة هي التي دعتة ١٢٦
- المشهد السابع: قاتل حتّى الأسر ١٢٨
- الصورة الأولى: رواية الطبري ١٢٨
- مناقشة الخبر ١٣٠
- الصورة الثانية: رواية ابن قتيبة واليعقوبي ١٣٣
- المشهد الثامن: قاتل الأنصار لينجو المولى عليه السلام ١٣٨
- المشهد التاسع: دخل المسجد في ثلّة وخرج وحيداً ١٤١
- المشهد العاشر: دخل المسجد وخرج فارساً ١٤٢
- المشهد الحادي عشر: الخروج من الكوفة ١٤٣
- المشهد الثاني عشر: الهرب!!! ١٥٢
- طوعة واللقاء ١٥٥
- ولأؤها ١٥٧
- القول الأول: من حرائر كندة ١٥٧
- القول الثاني: أمّ ولد للأشعث ١٥٩
- القول الثالث: ابنها مولى لمحمّد بن الأشعث ١٥٩
- القول الرابع: الولاء الاجتماعي ١٦٠
- القول الخامس: من بني هاشم ١٦٠

- ١٦٣ نسبها ونسبتها... ..
- ١٦٣ السبب الأول: خدرها ..
- ١٦٤ المثال الأول: زوجة علي بن مظاهر الأسدي
- ١٦٦ المثال الثاني: دهم زوجة زهير بن القين
- ١٦٧ المثال الثالث: المرأة من آل بكر بن وائل ...
- ١٦٨ المثال الرابع: الأسدي الذي كان ينتظر الحسين عليه السلام في كربلاء
- ١٦٩ السبب الثاني: كونها أمة
- ١٧١ زوجها
- ١٧٧ عمرها ...
- ١٨١ محلّتها ...
- ١٨٢ القسم الأول: الحيرة
- ١٨٣ القسم الثاني: الكوفة
- ١٨٣ العنوان الأول: لم تحدّد المنطقة .
- ١٨٤ العنوان الثاني: حيّ كندة
- ١٨٦.. العنوان الثالث: دور بني جبلة من كندة
- ١٨٦ الإشارة الأولى: لم يكن بيتها قريباً من المسجد
- ١٨٧ الإشارة الثانية: بيتها في زقاق
- ١٨٩ صفة الدار ..

- سبب وقوفها على الباب ١٩٣
- الوقفة الأولى: مصادر لم تذكر وقوفها ١٩٣
- الوقفة الثانية: لم تكن واقفة على الباب ١٩٤
- الوقفة الثالثة: كانت واقفة على الباب من دون ذكر السبب ١٩٥
- الوقفة الرابعة: كانت واقفة تنتظر ولدها ١٩٦
- ملاحظات ١٩٨
- الملاحظة الأولى: أول من روى الانتظار الطبري ١٩٨
- الملاحظة الثانية: تحليل المؤرخ ١٩٨
- كيف حصل اللقاء ٢٠١
- الصورة الأولى: دخل عليها واستجار بها! ٢٠١
- الصورة الثانية: استسقى ثم طلب المأوى ٢٠٣
- الصورة الثالثة: طرق الباب ٢٠٣
- الصورة الرابعة: نزل على باب ٢٠٤
- الصورة الخامسة: كانت تنتظر ولدها فأدخلته ٢٠٤
- الصورة السادسة: جلس فخرجت إليه ٢٠٥
- الصورة السابعة: كانت جالسة فوقف عليها ٢٠٦
- حوار الباب ٢٠٧
- القسم الأول: مصادر لم تذكر حواراً ٢٠٧

- القسم الثاني: مصادر ذكرت الحوار ٢٠٨
- الحوار الأول: البلاذري ٢٠٨
- الحوار الثاني: الطبري، الشجري، المزني، ابن حجر ٢٠٩
- الحوار الثالث: الطبري ٢٠٩
- الحوار الرابع: ابن أعثم ٢١١
- الحوار الخامس: ابن الأثير ٢١٢
- الحوار السادس: نور العين في مشهد الحسين عليه السلام ٢١٣
- كلمة عجلان ٢١٤
- التذكير الأول: من عرف مسلماً ٢١٤
- التذكير الثاني: الميزان العام ٢١٤
- ولدها ٢١٧
- ابن من؟ ٢١٧
- اسمه ٢١٨
- النص على خيائته لضيّفه ٢١٨
- لمن أخبر؟ ٢١٩
- الإخبار الأول: أخبر عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ٢١٩
- الإخبار الثاني: محمد بن الأشعث ٢٢٠
- الإخبار الثالث: أخبر ابن زياد ٢٢١

- ٢٢٢..... المصادر التي لم تنسب الخيانة له..
- ٢٢٣..... ما هي الضرورة لقبول خيانة ابن طوعة
- ٢٢٧ كانت مَمَّنْ خَفَّ مع المولى الغريب عليه السلام
- ٢٢٨ الفائدة الأولى: مشاركة طوعة في الأحداث
- ٢٢٨ الفائدة الثانية: قصد المولى بيتها.....
- ٢٢٨ الفائدة الثالثة: دخوله البيت دون حوار.....
- ٢٢٩ الفائدة الرابعة: إدخالها المولى إلى بيتها لأنها كانت من أنصاره..
- ٢٣٣..... موقوفها
- ٢٣٥..... نهايتها
- ٢٣٩..... قالوا في طوعة.....
- ٢٣٩ السيد حسين البراقى رحمته الله (ت ١٣٣٢).....
- ٢٣٩ السيد المقرم رحمته الله.....
- ٢٤١..... الشيخ عبد الواحد المظفر رحمته الله.....
- ٢٤١..... الشيخ باقر شريف القرشي رحمته الله.....
- ٢٤١..... الأستاذ محمد نعمة السماوي حفظه الله.....
- ٢٤٣..... مواد البحث.....
- ٢٥٩..... طوعة واللقاء في المصادر.....

• الحرب الأخيرة •

٢٩٣	المقدّمة
٢٩٧	الحرب الأخيرة
٢٩٩	القسم الأول: مصادر لم تذكر القتال
٢٩٩	المستوى الأول: الاختصار
٣٠٠	المستوى الثاني: الاستسلام
٣٠٥	القسم الثاني: مصادر ذكرت القتال
٣٠٥	الرواية الأولى: خبر ابن قتيبة واليعقوبي
٣٠٨	الرواية الثانية: الخبر المشهور
٣٠٩	المحتوى الأول: قائد عسكر السقيفة
٣٠٩	المجموعة الأولى: المجملّة
٣١٠	المجموعة الثانية: نصّت على بعض الأسماء
٣١١	الاسم الأول: محمّد بن الأشعث وبعض الوجوه! ...
٣١١	الاسم الثاني: محمّد بن الأشعث وقريش
	الاسم الثالث: عمرو بن حريث المخزوميّ وعبد الرحمن بن محمّد
٣١٢	ابن الأشعث
٣١٣	الاسم الرابع: عمرو بن حريث ومحمّد بن الأشعث
٣١٣	الاسم الخامس: محمّد بن الأشعث
٣١٥	الاسم السادس: محمّد بن الأشعث وعبد الله السلميّ

- الاسم السابع: محمد بن الأشعث وابنه وعمرو بن حريث ٣١٥
- الاسم الثامن: محمد بن الأشعث أو عبد الله السلمي ٣١٥
- المحصلة ٣١٦
- عدد العسكر ٣١٩
- الإرسال الأول ٣١٩
- العدد الأول: الإجمال ٣١٩
- العدد الثاني: مائة كلهم من قريش ٣٢٠
- العدد الثالث: ستون أو سبعون كلهم من قيس ٣٢٠
- العدد الرابع: ثلاثمائة راجل من الصناديد ٣٢٢
- العدد الخامس: سبعون رجلاً ٣٢٢
- العدد السادس: سبعون أو ثمانون فارساً ٣٢٢
- العدد السابع: ألف فارس وخمسمائة راجل ٣٢٣
- العدد الثامن: خمسمائة فارس ٣٢٣
- المحصلة ٣٢٤
- الاستعداد ٣٢٥
- أين وقع القتال؟ ٣٢٩
- الموقع الأول: الدارة التي يسكنها البطل الهاشمي مسلم عليه السلام ٣٣٠
- الموقع الثاني: داخل دار طوعة ٣٣٠
- الموقع الثالث: خارج دار طوعة ٣٣١

٣٣٣	الموقع الرابع: اقتحموا عليه الدار فأخرجهم مراراً
٣٣٥	الموقع الخامس: قاتل خارج الدار فارساً
٣٣٧	موقف المولى عليه السلام حينما علم بوصول الخيل والرجال
٣٣٧.	المرحلة الأولى: الاستعداد العام
٣٣٨	الداعي الأول: علم المولى عليه السلام بشهادته في الكوفة ..
٣٣٩	الداعي الثاني: معرفة المولى عليه السلام بالمجتمع الكوفي يومذاك ..
٣٣٩	الداعي الثالث: إنّه عليه السلام الطلبة الأولى ..
٣٤١	الداعي الرابع: سلوك الجرو المسعور
٣٤١	المرحلة الثانية: الاستعداد الخاص
٣٤٧	موقف طوعة
٣٤٩	الإقدام الأول: إخباره
٣٥٠	الإقدام الثاني: ناولته سلاحه
٣٥١	الإقدام الثالث: فتح الباب
٣٥١	الإقدام الرابع: التلهّف والتحسّر
٣٥٢	الفهم الأول: التلهّف والحسرة
٣٥٣	الفهم الثاني: التعجّب
٣٥٥.	قوة المولى عليه السلام وشجاعته
٣٥٩	معنى الشجاعة لغة
٣٦٢	صور ومشاهد من شجاعة البطل الهاشمي

- الصورة الأولى: دخوله عليه السلام الكوفة لانجاز المهمة وحده ٣٦٢
- الصورة الثانية: صلاته عليه السلام في المسجد الأعظم واثقاً مطمئناً رغم إحاطة الأعداء به ٣٦٤
- الصورة الثالثة: بقاءه عليه السلام وحده بعد أحداث المسجد ٣٦٥
- الصورة الرابعة: مبيته عليه السلام في بيت طوعة ٣٦٥
- الصورة الخامسة: عدم اكترائه عليه السلام بالعسكر القادم ٣٦٦
- الصورة السادسة: تكثر حملاته عليه السلام على القوم ٣٦٦
- الصورة السابعة: تغييرهم الخطة الحربية ٣٦٧
- الصورة الثامنة: اللجوء إلى عرض الأمان ٣٦٧
- الصورة التاسعة: السكنية والوقار ٣٦٧
- الصورة العاشرة: استقباله عليه السلام القتال والموت مبتسماً ٣٦٨
- الصورة الحادية عشرة: خروجه عليه السلام إليهم ٣٦٩
- الصورة الثانية عشرة: أجوبته وردوده عليه السلام بعد الأسر ٣٧٠
- الصورة الثالثة عشرة: إقرار القوم بشجاعته ٣٧١
- الحرب بالحجارة والنار والنبال ٣٧٧
- جراحاته عليه السلام ٣٨٣
- الأسر ٣٨٥
- المشهد الأول: قصّة الأمان ٣٨٧
- مناقشة النصوص ٣٩٠

٣٩٠	النص الأول
٣٩٠.....	النص الثاني
٣٩١	المناقشة الأولى: إلحاح المؤرخ على صورة بذاتها
٣٩٢	المناقشة الثانية: تصديق ابن زياد
٣٩٤.....	المناقشة الثالثة: معرفة المولى بغدراًهل الكوفة
٣٩٥	المناقشة الرابعة: معرفة المولى بابن الأشعث
٣٩٥	المناقشة الخامسة: رجزه دليل رفضه
٣٩٦	المناقشة السادسة: إباء بني هاشم
٣٩٧	المناقشة السابعة: معرفته بمصيره ..
٤٠٣	المشهد الثاني: قصة الحفيرة
٤٠٥	المناقشة الأولى: الأصل في القصة
٤٠٥	المناقشة الثانية: وقوع الفرس والفراس ..
٤٠٦	المناقشة الثالثة: كان يقاتل راجلاً ..
٤٠٧	المناقشة الرابعة: فارساً كان أورا جلاً ..
٤٠٧	المناقشة الخامسة: تتميم للمناقشة السابقة
٤٠٨	المناقشة السادسة: هل قصد الحفيرة ...
٤٠٩	المناقشة السابعة: عودة إلى قصة المؤرخ ..
٤١١	المشهد الثالث: قاتل حتى الأسر
٤١٣	الميزة الأولى: شجاعة المولى ﷺ

- ٤١٥..... الميزة الثانية: إباء المولى
- ٤١٧..... الميزة الثالثة: معرفة المولى عليه السلام بغدرهم
- ٤١٧..... الميزة الرابعة: تكثر وسائل القتال
- ٤١٧..... الميزة الخامسة: لا يشير النص إلى قصة الحفيرة
- ٤١٨..... الميزة السادسة: مباشرة القتال حتى اللحظة الأخيرة
- ٤١٨..... الميزة السابعة: أسر الضرغام العباس
- ٤١٩..... رجاء من الخطباء
- ٤٢١..... سلبه عليه السلام
- ٤٢٢..... فرسه عليه السلام
- ٤٢٣..... سيفه عليه السلام
- ٤٢٣..... الطائفة الأولى: نزع من عنقه ضمن قصة الأمان
- ٤٢٣..... الطائفة الثانية: سلب منه ضمن قصة الأمان
- ٤٢٤..... الطائفة الثالثة: مطلقة
- ٤٢٤..... الحاصل
- ٤٢٥..... سالب السيف
- ٤٢٦..... عمامته عليه السلام
- ٤٢٩..... رسالة المولى للحسين عليه السلام
- ٤٣٠..... الفائدة الأولى: انجاز المهمة
- ٤٣٣..... الفائدة الثانية: إقامة الحجّة

- ٤٣٤ الفائدة الثالثة: أبان لهم المحجة
- ٤٣٥... الفائدة الرابعة: همّه الإمام الحسين عليه السلام
- ٤٣٦ الفائدة الخامسة: السكينة والوقار
- ٤٣٧ الفائدة السادسة: عدم الاكتراث بالعدوّ
- ٤٣٨ الفائدة السابعة: عدم المبالاة بالموت
- ٤٣٩ الفائدة الثامنة: بكاء المولى الغريب مسلم على الحسين وآله عليهم السلام
- ٤٤١ الفائدة التاسعة: الاسترجاع
- ٤٤٢ الفائدة العاشرة: كلام السلميّ
- الفائدة الحادية عشرة: حبّ المولى الغريب مسلم لسيّده
- ٤٤٣ الحسين عليه السلام
- ٤٤٥ رجزه عليه السلام
- ٤٤٩ الأداة الأولى: وحدته وغربته
- ٤٥١ الأداة الثانية: الإنسان والموت
- ٤٥٤ الأداة الثالثة: رجزه عليه السلام ردّاً على أمانهم
- ٤٥٦ الأداة الرابعة: رجز الوالد والولد
- ٤٥٩ نصّ الرجز
- ٤٦٢ إطلالة على الرجز
- ٤٦٣ اللوحة الأولى: «أقسمت»
- ٤٦٤ اللوحة الثانية: «لا أقتل إلّا حراً»

- ٤٦٥ اللوحة الثالثة: «إني رأيت الموت شيئاً نكراً»
- ٤٦٥ الفهم الأول
- ٤٧٤ الفهم الثاني
- ٤٧٧ اللوحة الرابعة: اختلاف الألفاظ
- ٤٧٨ الوجه الأول: الشرطية
- ٤٧٨ الوجه الثاني: النافية
- ٤٧٩ الوجه الثالث: المخففة عن الثقيلة
- ٤٧٩ الوجه الرابع: الزائدة
- ٤٨٠ الوجه الخامس: بمعنى «قد»
- ٤٨٠ الوجه السادس: بمعنى «إذ»
- ٤٨١ اللوحة الخامسة: «كل امرئ يوماً ملاقٍ شراً»
- ٤٨١ المراد الأول: تأكيد لما سبق
- ٤٨٢ المراد الثاني: كلمهم بلغتهم
- ٤٨٢ المراد الثالث: تقلبات الدنيا
- ٤٨٣ المراد الرابع: إن كان رفض الأمان
- ٤٨٣ المراد الخامس: عدّ الأمان في الشر
- ٤٨٣ اللوحة السادسة: «ويخلط البارد سخناً مرّاً»
- ٤٨٣ الشكل الأول: تصوير للأمان
- ٤٨٤ الشكل الثاني: تتمّة لما سبق

٤٨٥	الشكل الثالث: القتل بارد حلو.....
٤٨٧	الشكل الرابع: الحديث عن نفسه.....
٤٨٨	الشكل الخامس: الباراد الصباح.....
٤٨٨	اللوحة السابعة: «ردّ شعاع الشمس فاستقرّا».....
٤٨٩	الإشارة الأولى: استعمال كنائِي.....
٤٨٩	الإشارة الثانية: الردّ للشعاع لا للشمس..
٤٩٠	الإشارة الثالثة: استقرار الشعاع.....
٤٩٠	الإشارة الرابعة: لم يذكر الفاعل.....
٤٩٠	الإشارة الخامسة: الشمس.. الشعاع؟.....
٤٩٦	اللوحة الثامنة: «أخاف أن أكذب أو أغرّا».....
٤٩٦	المفاد الأول.....
٤٩٧	المفاد الثاني.....
٤٩٨	اللوحة التاسعة: «أضربكم ولا أخاف ضرا».....
٤٩٩	اللوحة العاشرة: «ضرب همّام يستهين الدهرا».....
٥٠٠	اللوحة الحادية عشرة: «ضرب غلام قطّ لم يفزّا».....
٥٠٠	اللوحة الثانية عشرة: «ولا أقيم للأمان قدرا».....
٥٠٠	مشهد اللوحات.....
٥٠٣	عطشه عليه السلام.....
٥٠٧	تنبيهات.....

- التنبيه الأول: الاستسقاء ٥٠٧
- التنبيه الثاني: العطش وطبيعة الحرب ٥٠٩
- التنبيه الثالث: الإباء الطالبى ٥١٠
- التنبيه الرابع: مواساة سيد الشهداء عليه السلام ٥١٠
- التنبيه الخامس: شكى عطشه إلى الله أولاً ٥١٣
- التنبيه السادس: امتناعه عن شرب الماء ٥١٣
- التنبيه السابع: سقى وهو مكتوف ٥١٤
- التنبيه الثامن: سقوط ثنياه ٥١٥
- التنبيه التاسع: خسة العدو ونذالته ٥١٦
- مواد البحث ٥١٧

